العدد (٥٤١) رمضان ١٤٣١هـ - أغسطس- سبتمبر ٢٠١٠م

أسست عام ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

الوعي الإسلامي

AL-Waei AL-islami

مجلة كويتية شهرية جامعة

البعد الحضاري لأيام العطلة الأسبوعية

الإمساكية الرمضانية

الكويت في عيون الشعراء

المنهج السياقي ودوره في فهم النص

دور المرأة المكية في إنعاش الحركة العلمية

Ministry Of Awqaf and Islamic Affairs
إدارة الثقافة الإسلامية

دولة الكويت
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
قطاع الشؤون الثقافية

إصدارات شهرية في الفكر والأدب والثقافة

- منبر فكري وثقافي وأدبي .
- إسهام متنوع في موضوعاته ومناهجه ومصادره .
- رؤية تأصيلية للمفاهيم والأفكار .
- بيئة تواصلية مع المفكرين والأدباء و الكتاب لنشر إنتاجهم العلمي ضمن سلسلة « روافد » .

(00965) 22487310 - 99255322

www.islam.gov.kw/thaqafa www.islam.gov.kw/rawafed

الافتتاحية

شهر القرآن

دعانا الله إلى بابه، وأنعم علينا بإنزال كتابه، أنزله ليكون للعالمين سراجًا منيرًا، وأرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، فالقرآن حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو العروة الوثقى، لا تنقضي عجائبه، ولا تتناهى غرائبه، لا يحيط بفرائده عند أهل العلم تحديد، ولا يخلقه عند أهل التلاوة ترديد، وقد جاء القرآن العظيم، في مثل هذا الشهر الكريم، يقص على الناس من أنباء السابقين، لترى فيها الأجيال المتعاقبة صور الماضي، فتعرف الخير وأسبابه، والشر وأعقابه.

ولقد استجاب أسلافنا للقرآن، فاستجاب الله لهم، ومكّن لهم في الأرض دينهم الذي ارتضى لهم.

وفي شهر رمضان أنزل القرآن، ليكون المعجزة لسيد ولد عدنان، ولقد عُني المسلمون منذ فجر الإسلام، في ربوع العالم بالقرآن الكريم، مصدر الهداية، ومنبع الإشراق، وكان له آثاره المباركة الطيبة في حياة الإنسان، ولقد تكفل الله بحفظه، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

إن القرآن يهدي الساري، ويرشد العابر، من سار على ضوئه نجا ووصل، ومن أعرض عنه ضل وهلك.

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن للتالين مستمتع، ويتلى فيه بين أظهرنا ويسمع، وهو الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا يتصدع، فلا قلب يخشع، ولا عين تدمع، ولا صيام يصان عن الحرام فينفع، ولا قيام استقام فيرجى أن ينفع، كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة! وكم يتوالى علينا الشهر وحالنا فيه كحال أهل الشقوة! لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة، ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة.

تقربوا إلى الله بتلاوة القرآن، واشغلوا ألسنتكم بالذكر، وسيظل نور القرآن ساطعًا يبهر الأبصار، ويجلجل الأسماع، حتى يبلغ الكتاب أجله، وهو شهر حافل بالأحداث العظيمة التي نصر الله فيها دينه، وأعلى كلمته.. رزقنا حلاوة مناجاته، وجعل قرة أعيننا في تلاوة آياته.

ولا تزكين واردًا لا تعلم ثمرته، فليس المراد من السحابة وجود الإمطار، وإنما المراد منها وجود الإثمار.

رئيس التحرير

فيصل يوسف العلي

في هذا العدد

الوعي الإسلامي
مجلة كويتية شهرية جامعة
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي
العدد ٥٤١
العام السابع والأربعون
رمضان ١٤٣١ هـ
اغسطس - سبتمبر ٢٠١٠ م

رئيس التحرير
فيصل يوسف العلي

سكرتير التحرير
سليمان خالد الرومي

التحرير
تمام أحمد الصباغ
د. طاهر خذيري
عبادة السيد نوح

التنفيذ والجرافيك
أبورواش زكي محمد

الإشراف الفني
الشركة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع

المراسلات
رئيس التحرير - مجلة الوعي الإسلامي
صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ - الكويت - هاتف: ٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦
فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩
للإعلان : ١٨٤٤٠٤٤ داخلي ٣٠٦ - ٣٠١
البريد الالكتروني:
info@alwaei.com
manager@alwaei.com

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر.
والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة.

الشعور بالمسؤولية ٦

حوار مع مفتي أوغندا الشيخ موجابي ٨

مفهوم الأمية في العصر الجاهلي ١٤

الصوم وأثره في تعزيز قيم الحرية ٢٢

الصلاة على الكرسي ٣٨

ضوابط التداوي بالأعشاب الطبية ٤٦

التوزيع
وكيل التوزيع: المجموعة التسويقية لتوزيع الصحف والمطبوعات
هاتف: ٢٤٩١٩٦٢٠ - فاكس : ٢٤٨٣٩٤٨٧

- السودان . الخرطوم - العمارات - شارع ٧٣ - ص.ب ١١١٦ - دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع - ت ٧٩٣٢٨٣ (٠٠٢٤٩١١) نقال ٢٩٩٥ (٠٠٢٤٩١٢٣٠) ف ٧٩٣٢٨٤ (٠٠٢٤٩١١)
- اليمن - عدن - ص.ب ٦٤٨ - ت ٢٥٥٦٩٢ / ٢٥٥١٧٠ (٠٠٩٦٧٢) ف ٢٥٩١٦٣ - دار ومكتبة ٢٦ سبتمبر
- لبنان - شركة الناشرون لتوزيع الصحف والمطبوعات - ت ٢٧٧٠٨٨ / ٢٧٧٠٠٧ ٠١ (٠٠٩٦١) ص.ب ٢٥/ ١٨٤
- سوريا - دمشق - برامكة - ص.ب ١٢٠٣٥ - ت ٢١٢٦٢٩٨ / ٢١٢٠٣٢٩ (١١ ٠٠٩٦٣) ف ٢١٢٢٥٣٢ - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
- الأردن - عمان - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ . رمز بريدي ١١١١٨ - ت ٤٦٣٠١٩١ / ٤٦٣٠١٩٢ (٦٢٦٩٠٠) ف ٤٦٣٥١٥٢
- مصر - القاهرة - شارع الجلاء . رمز بريدي ١١٥١١ - ت ٥٧٩٦٩٩٧ (٠٠٢٠٢) ف ٣٣٩١٠٩٦
- المغرب - الدار البيضاء - ص.ب ١٣٦٨٣ - ملتقى زنقة رحال بن أحمد وزنقة سان ساتس - ٢٠٣٠٠ الدار البيضاء ت ٢٤٠٠٢٢٣ (٠٠٢٠١٢٢) ف ٢٢٤٩٥٥٧ - الشركة
- مملكة البحرين - المنامة - ص.ب ٣٢٦٢ - ت ٧٢٥١١١ (٠٠٩٧٣) ف ٧٢٣٧٦٣ - مؤسسة الأيام للنشر والتوزيع
- الإمارات العربية المتحدة ٢٦٦٥٣٩٤ - ٠٠٩٧١٤ - شركة دار الحكمة للنشر والتوزيع - دار الأهرام
- المملكة العربية السعودية - الرياض - ص.ب ٨٤٥٤٠ الرياض ١١٦٧١ - ت ٤٨٧١٤١٤ (٠٠٩٦٦١) ف ٤٨٧١٤٦٠ - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع الشريفية للتوزيع والصحف
- سلطنة عُمان - مسقط - ص.ب ٤٧٣ العذبية . رمز بريدي ١٣٠ - ت ٥٩٧٤٥٦ / ٥٩١٩١٩ (٠٠٩٦٨) ف ٥٩٣٢٠٠ - مؤسسة العطاء للتوزيع
- قطر - الدوحة - ص.ب ٦٣٣ - ت ٤٣٥٦٠٠١ (٠٠٩٧٤) ف ٤٣٢٥٨٧٤ - دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر.
- المملكة المتحدة - لندن - شركة يونفرسال ت : ٢٠٨٧٤٢٣٣٤٤ (٠٠٤٤) .

موضوع الغلاف

الأمة المسلمة وهي تعيش أجواء شهر رمضان أحوج ما تكون إلى الوعي الكامل بمفهوم العبادات وغاياتها ودورها في تسديد وترشيد المسيرة النهضوية المجتمعية.

داخل العدد

البعد الحضاري لأيام العطلة الأسبوعية	١٠
المنهج السياقي ودوره في فهم النص	٣٤
تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها	٥٤
رحيل الصهيونية والبحث عن البديل	٦٢
أسرتي الرمضانية.. كيف أرعاها؟	٧٦
لماذا يتصادم الآباء مع الأبناء؟	٧٨

كلمة العدد

حقيقة رمضان

نهنئكم اولاً بحلول شهر رمضان المبارك ونبارك لكم وللأمة الإسلامية قاطبة هذا الشهر الفضيل، ونذكركم بأننا حين نستقبل رمضان تلو رمضان لابد أن نطرح سؤالاً على أنفسنا: هل ترك رمضان أثره في النفوس؟ وهل عاش المسلمون معناه واستظلوا بظلاله الوارفة، وهل جعلوا منه محطة لتدارك الأخطاء، ونقطة الانطلاق نحو واقع جديد يعيد لهم دورهم الإيجابي الرائد في سُلَّم الحضارة الإنسانية؟.

جملة من التساؤلات لابد أن تعيها أمتنا وتفهم مدلولاتها وهي تعيش أوضاعًا سلبية في معظم مجالات الحياة، مع وجود إضاءات إيجابية لابد من تفعيلها خصوصًا وأن رمضان يحمل في طياته قوة التغيير لتكون لنا بصمة واضحة ودور رائد في النهضة المنشودة، كذلك ينبغي للأمة أن تأخذ من رمضان درسًا تستفيد منه في تحديد وجهة المسار نحو هدف واحد يحقق طموحاتها ومصالحها، وبالتالي نماء مجتمعاتها، وهذا ما حاولنا التركيز عليه من خلال ملف العدد، وكل عاماً وأمتنا بخير وصحة وعافية.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ (التوبة: 105).

«الوعي الإسلامي»

الأسعار والاشتراكات

الأسعار

الكويت : ٥٠٠ فلس • السعودية : ٧ ريالات • البحرين : ٥٠٠ فلس • قطر : ٧ ريالات • الإمارات : ٧ دراهم • سلطنة عمان: ٥٠٠ بيسة • الأردن : دينار واحد • مصر : ٢ جنيه • السودان : ٥٠٠ جنيه • موريتانيا : ٢٠٠ أوقية • تونس : ٢ دينار • الجزائر : ١٠ دنانير • اليمن : ٧٠ ريالا • لبنان : ٢٠٠٠ ليرة • سورية : ٣٠ ليرة • المغرب : ١٠ دراهم • ليبيا : دينار واحد • اوروبا : ١,٥ جنيه استرليني او مايعادله • اميركا ودول العالم : ٣ دولارات أو مايعادلها.

الاشتراكات

- داخل الكويت : للأفراد ٧,٥ دنانير ـ للمؤسسات ١٥ دينارًا كويتيًا
- الدول العربية : للأفراد ١٠ دنانير كويتية (أو ما يعادلها).
- دول العالم : للأفراد ٢٠ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).
- للمؤسسات : ٢٥ دينارًا كويتيًا (أو ما يعادلها).

ترسل قيمة الاشتراكات في شيك إلى وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

(الرجاء عدم إرسال مبالغ نقدية)

الشعور بالمسؤولية

الحركة والنهوض للحملة أهم عمق للصيرورة والتواجد. السكون اسم رديف للانحلال والموت. أما ارتباط الحركة بالمسؤولية فهو البُعد الإنساني الأول لها. ولا يمكن ادعاء الكمال في حركة أو نهوض لحملة من غير ضبطها بالمسؤولية.

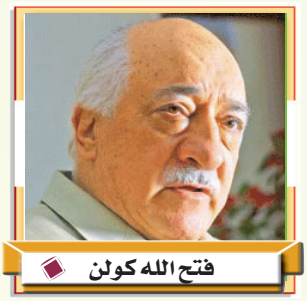

فتح الله كولن

أكثر الناس يسعون حثيثا إلى مقاصد وغايات مختلفة. ومن الهراء انتظار خير من سعي ولهاث بغير ضبطهما بالمسؤوليات. فإذا عمل طلاب المنافع، الدائرة أعينهم كالرحى طمعًا وحرصا، من غير توان وكلل، وخطب السياسيون في الأرجاء خطبًا سحرية، وهَرّج الإعلام في برامج الأخبار والحوار والمنوعات الأخرى، وتنفست جهاتٌ هواءَ الابتذال أيام السنة كلها، وهرول رجال يكتسون أردية الدين نحو حق التمتع بلا فتور، واستيقظت سوق الأوراق والصرف على التوقعات وباتت مع التوقعات، وبذلت بعض دوائر الدولة الفرص لبعض الأيديولوجيات، وتطلع أهل الدراية من غير اهتمام في ذهول على كل ما يقع من عظائم الأمور، ومعنى ذلك أن من يسحق يغنم، ومن ينسحق يمضي في سبيله مبررًا الحال «بالانتخاب الطبيعي!» ومستسلمًا وراضخًا لكل شيء باعتباره طبيعيا، فإن ما يلزم عمله يومئذ قد تعسّر وصعب، واشتد وثقلَ... حتى إذا نهض رجل فقال لأبطال(!) هذه الحركات والتكونات المشؤومة، أو للبؤساء المسحوقين بين أسنان هذه الدواليب المرعبة: قفوا... إلى أين أنتم ماضون؟

محضُ كذب إن قيل قد يحيا مجتمعٌ والحسُ فيه منعدمُ

أروني أمة ماتت معنوياتُها، ثم هم بعدها سلِموا «١»

فإن لم يصفعوه ولم يبصقوا في وجهه، فسيعزروه بكلام غليظ أو يتخذوه هزوًا. وربما قالوا: «كل شاة تناط برجليها» أو قالوا في عدم اهتمام: «الربان الماهر هو الذي ينقذ سفينته» «٢» مستهزئين من شعوره بالمسؤولية. بل ربما نفثوا هذيانًا ينُمّ عن إنسان منفلت غير مبالٍ: «ما همني أن تعيش ألف سنة حيةٌ لا تلدغني!». فيخفق وجدانه النبيه مضطربًا. ومن يدري بما يصدم فكره النقي ومشاعره البريئة في هذا القفر من شؤون وأشجان!

ليس شيء من هذا مما يخطر على قلب مؤمنٍ أو حساس. ولكن لا يليق بشعورنا بالمسؤولية أن نقول: سفسطة وهذيان، ثم نمضي في سبيلنا. لا يليق بمسؤوليتنا ولا يأتلف معها، لأننا محاصرون -شعبًا- بالعداوات وبالأعداء. وما دمنا في أسر هذا الحصار، فلا يمكن أن نحقق ذاتنا في الحس والفكر والاعتقاد والفن والتصرف الحر، وأن نحمي كرامتنا الإسلامية وعفتنا «المليّة»، وننقذ سفينتنا ونوصلها إلى بر الأمان، ونبني عالمنا الخاص ونحيا كما نريد، ونكون ورثة الأرض ونصل إلى الله. فينبغي أن نفتح عيوننا فنرى الحقيقة، ونعمل ببصيرتنا فنصون خواصنا المنتقلة إلينا من أمس إلى اليوم، ونطرد ما يمضغ وجودنا وشخصيتنا من دواخلنا. وإن لم نفعل، فسوف نرى يومًا نعجز فيه عن الحفاظ حتى على حالنا الحاضر.

كان الجهل والفقر والتفرق

مفكر تركي

والتعصب وما يشبه ذلك، هم أعداؤنا في زمن ماض. واليوم زيد عليهم الخداع والتسلط والسفاهة والخلاعة واللامبالاة وضياع الهوية. وليعذرني هذه المرة الذين يحملون في جنباتهم قلق النزاهة الدينية والصفوة الفكرية والحماسة «الملّيّة»، إذ أقول بأن أجيال الشباب وقسما من أنقياء السريرة من الشيب يضَلّلون منذ مدة طويلة بالحماس البريء النقي، ويعيشون غدر وعذاب الشخصية الصدوق-المنخدعة، ويُغرّرون بأيديولوجيات منحرفة ما فيها إلا الكلمات المنمقة. ومهما انحصرت الظاهرة في شرائح معينة من الشعب، فإن هذا الانحراف الفكري والتحول والانزلاق في الشخصية يعني احتلال هذا الوطن المبارك تارة أخرى. احتلالٌ يسمّ محمد الفاتح، ويطعن مراد خداونديكار في أحشائه بخنجر، ويقتل يلدرم بايزيد همًّا، ويقهر ياووز سليم بكفّ الأسد.«٣» احتلال فاضح يقتل روح «الملّة» التي خرجت ظافرة بالنصر من كفاح الاستقلال، لتذبح بسيئات العصر وغفلة المثقفين وإهمال الجمهور.

ونحن حملنا على عاتقنا مسؤولية بث روح جديدة في دنيانا، مشبعة بالإيمان وحب الإنسان والحرية، وتجهيز البيئة لترسيخ الجذور المعنوية لشجرة مباركة تنمو وتزدهر أفنانها بهذه المعطيات، وتزهو حقولاً جديدة بامتداد تلك الجذور. ولاشك أن إنجاز ما تمليه هذه المسؤولية مرتبط

الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل سيلم شعث أشلاء «أمتنا» المباركة المزعة

ارتباطًا وثيقًا بأبطال يصونون مصير الوطن ويحمون تاريخ إنساننا ودينه وأعرافه وتقاليده ومقدساته كلها... أبطال طافحين بحب العلم، مُنْشَدّين إلى الإعمار والإنشاء، متدينين أخلص من الخُلّص، محبين للشعب، ومرابطين أبدًا على أداء واجباتهم بشعور المسؤولية. فبهؤلاء وبجهودهم ستهيمن أفكارنا، ومحصلة هذه المفاهيم والأفكار، على حياة شعبنا... ويعلو في كل إنسان حس نذر النفس لخدمة المجتمع، وينتعش من جديد مفهوم تقاسم الواجبات والتعاون المتبادل، وتبرز كرّة أخرى خصلة ظهور الشيء الواحد بأوجهه الكثيرة في علاقة رب العمل بالعامل، وصاحب الأرض بالزارع، والموظف برجل الشارع، وصاحب البيت بالمستأجر، والفنان بمحب الفن، والموكل بالوكيل، والمعلم بالطالب، ويتحقق كل ما كنا ننتظر منذ عصور. نحن نعيش في زمن نسبك فيه رؤانا في أفكار مثالية، ونؤمن أن مسؤولي العصر سيحققونها بتوقيت جيد حين تَأزِف ساعتها.

هذا هو أُس رؤيانا وخيالنا منذ عصور. والشعور بالمسؤولية وأخلاق المسؤولية هو أول وسيلة لتحقيق رؤيانا وخيالنا. ولما كان السكون والجمود موتًا وانحلالاً، واللامسؤولية في الحركة فوضى ولغطًا، فلا مفر من ضبط تصرفاتنا بالمسؤولية. فينبغي شد كل جهد لنا بالمسؤولية. طريقنا طريق الحق، وقضيتنا حمل الحق، وغايتنا تحري رضا الله في كل رفّة عين. والأصل أن هذه صَدَقة كينونة الإنسان وحكمة وجود الإرادة. نحن نحسب أنفسنا مضطرين إلى التحري عن غاية الحياة في حياتنا، والتوصل إلى العشق في أرواحنا، والوعي بشعور المسؤولية في وجداننا، وإرشاد المستيقظين على منبع نظام أساسه وأصوله الإيمان، ومصدر قوته العشق، ونوره العلم والفن والأخلاق والحكمة.. فنحتسب أنفسنا عبيدًا لهذه الرسالة عبودية لا انعتاق منها. وستكون بداية لنهضة عالمية ثانية، هذه الجهود التي نرجو انتشارها وتطورها في استقامة وروحانية جميع الأولياء والأصفياء والأبرار والمقربين منذ البداية إلى اليوم.

لقد كان لكل عصر كرامة. فولدت الإنسانية من جديد بالإسلام في القرن السادس الميلادي، وعاد كثير من أقوام الترك إلى الحياة كرة أخرى بالإسلام في القرن العاشر الميلادي، وانشقت بالاستحالة شرنقة عن فراشة في «سوكود» «٤» في القرن الرابع عشر الميلادي. وأظن أن كرامة القرن الحادي والعشرين ستظهر بملء شعبنا والشعوب المرتبطة به مكانه اللائق في الموازنات الدولية. وسيدور هذا التكون الجديد الذي يغير وجهة تاريخ العالم ومسيرته، في أفلاك الروح والأخلاق والعشق والفضيلة. نعم، نؤمن أننا بهذا الجهاد المعنوي الذي يمكن تسميته بكفاح العلم والأخلاق والحق والعدل أيضًا، سنلم شعث أشلاء «أمتنا» المباركة المزعة البئيسة والمشردة في أرجاء الأرض المختلفة، لتجتمع الأجيال التي ظلت بلا راع ولا غاية حتى اليوم في ظل الفَكر، فتعيش «الانبعاث بعد الموت» من جديد في نشوة الوصل بـ «لواء الحمد».

الهوامش

«١» ترجمة بيت لمحمد عاكف، ديوان «الصفحات»، ص ٢٧٢. (المترجم)

«٢» المثل الأول يقال للنهي عن التدخل في شؤون الآخرين أو مسؤولية كل إنسان عن عمله بنفسه. والمثل الثاني لمن ينصرف إلى النجاة بذاته غير مبال بغيره. (المترجم)

«٣» إشارة إلى دس السم لمحمد الفاتح، وطعن الصربي الغادر للسلطان مراد بخنجر في ميدان المعركة بعد نيل الأمان، وموت السلطان بايزيد همًّا بعد وقوعه في أسر تيمورلنك وإذلاله، ووفاة ياووز سليم بورَمَ سرطاني متقيح في كتفه يسمى «شيربنجه»، والكلمة فارسية معناها «كف الأسد». (المترجم)

«٤» إشارة إلى انبثاق براعم الدولة العثمانية في قصبة «سوكود»، وهي من أنحاء الأناضول التركية حاليًا، والكلمة نفسها اسم لشجرة، فالجملة تتزين بحُسن الجناس. (المترجم)

الشيخ موجابي يناشد عبر «الوعي الاسلامي» المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي
مساعدة مسلمي إفريقيا لمواجهة مخططات التنصير

مفتي أوغندا: لابد من تطوير خطاب إسلامي يواجه ثقافة الجهل والخرافة في المجتمعات الإسلامية

حوار: محمد خليل

الشيخ موجابي متحدثاً إلى «الوعي الإسلامي»

ناشد مفتي أوغندا ورئيس المجلس الإسلامي الأعلى الشيخ شعبان رمضان موجابي المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي عبر «الوعي الإسلامي» المبادرة إلى دعم المسلمين في إفريقيا ثقافيًا ودينيًا لتحصينهم ضد الأفكار الهدامة، ومخططات التنصير من قبل الكنائس الغربية التي تستغل حالة الفقر والتخلف والجهل، التي تعاني منها المجتمعات الإفريقية، وتدخل إلى هذه المجتمعات متخفية تحت ستار المؤسسات الخيرية التي تقدم المساعدات الإنسانية، مؤكدًا ضرورة قيام هذه المؤسسات بتطوير خطابها الديني الذي يدعو إلى الأخذ بأسباب التنمية والتقدم العلمي، ومحاربة الجهل والخرافة. وأضاف الشيخ موجابي على هامش زيارته للقاهرة مؤخرًا: إن العالم الإسلامي بحاجة إلى تبني مشروع نهضوي يحقق آمال وطموحات الشعوب الإسلامية، ويخرجها من حالة اليأس والإحباط التي تمر بها، مؤكدًا أهمية تبني أقطار العالم الإسلامي لبرامج اقتصادية وثقافية تساعد على تحقيق التكامل والتعاون فيما بينها، وتوظيف ما يزخر به العالم الإسلامي من موارد طبيعية لخدمة المسلمين. كما تطرق الحديث إلى بعض ما يدور على الساحة الآن من أحداث، فضلًا عن أحوال المسلمين في أوغندا، وإليكم نص الحوار:

● نريد إلقاء نظرة سريعة تقرأون من خلالها أحوال العالم الإسلامي، خاصة ما يعانيه من مشكلات، وكيف يمكن التغلب عليها؟

– العالم الإسلامي يعاني من مشكلات مزمنة أدت إلى تخلفه عن ركب الحضارة والتقدم منذ فترة ليست قصيرة، وكما نعلم جميعًا أن العالم الإسلامي مر عبر تاريخه بمراحل عدة شهد خلالها تقدمًا وتأخرًا وصعودًا وهبوطًا، والذي يعنينا هنا هو مرحلة التأخر عن ركب الحضارة والتقدم، ومعرفة الأسباب التي أدت لذلك، والعمل على معالجتها، ومن أخطر الأسباب التي أدت إلى تخلف المسلمين.. أسباب خارجية وأخرى داخلية، فالخارجية تتمثل في الاستعمار الذي عمل على إضعاف قوة المسلمين ونهب ثرواتهم وزرع الفتن بينهم، فضلًا عن تحالف بعض القوى الاستعمارية لاحتلال فلسطين والعمل على ضرب وحدة المسلمين وجرهم إلى حروب ومشكلات أدت إلى إضعافهم اقتصاديًا وسياسيًا، أما الأسباب الداخلية فتتمثل في عدم الاهتمام بالعلم والجري وراء الخرافة، وكثرة النزاعات والخلافات بين البلدان الإسلامية، وعدم أخذ المبادرات الجادة التي تؤكد وترسخ مفهوم الوحدة بين المسلمين، عملًا بقول الله تعالى: ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾ (المؤمنون: ٥٢).

● أشرتم إلى الأسباب، فما هي وسائل العلاج التي تقترحونها من وجهة نظركم؟

– أقول من حيث انتهيت: يجب على العالم الإسلامي العمل بقول الله تعالى ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة...﴾، ولا يخفى علينا أن العالم الإسلامي أصبح الآن بحاجة ماسة إلى تبني مشروع نهضوي يحقق آمال وطموحات الشعوب الإسلامية ويخرجها من حالة اليأس والإحباط التي تمر بها، وهذا المشروع يتمثل في أهمية تبني أقطار العالم الإسلامي لبرامج اقتصادية وثقافية تساعد على تحقيق التكامل والتعاون فيما بينها، وتوظيف ما يزخر به العالم الإسلامي من موارد طبيعية لخدمة المسلمين وتنميتهم اقتصاديًا وعلميًا، فضلًا عن أهمية قيام المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي بتطوير خطابها الديني الذي يدعو إلى الأخذ بأسباب التنمية والتقدم العلمي، ومحاربة الجهل والخرافة.

● نريد تسليط الضوء على أوضاع

«الإسلاموفوبيا» غير موجودة في أوغندا لكن توجد حملات قوية للتشكيك في الإسلام

المسلمين في أوغندا والمشكلات التي يعانون منها؟

– يبلغ تعداد المسلمين في أوغندا حوالي ٩ مليون نسمة من جملة عدد السكان البالغ حوالي ٣٠ مليون نسمة، ويمثل المسلمين في أوغندا المجلس الإسلامي الأعلى الذي يترأسه المفتي، وهذا المجلس يشرف على حوالي ٧٥٠٠ مسجد، بالإضافة إلى البرامج الدعوية التي يتولاها قسم الدعوة بالمجلس، وهذه البرامج هدفها تبليغ كلمة الإسلام وتوعية المسلمين بصحيح الإسلام، وذلك من خلال إعداد قوافل تقوم برحلات دعوية إلى المساجد بمختلف المناطق في أوغندا، أيضًا يوجد بجانب هذه القوافل الدعوية وسائل أخرى للقيام بمهمة التوعية الدينية للمسلمين في أوغندا، مثل إذاعة صوت إفريقيا، وهي تابعة لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية، وإذاعة صوت بلال، وهي إذاعة تابعة للمجلس الإسلامي الأعلى في أوغندا، وهاتان الإذاعتان جميع برامجهما إسلامية، فضلًا عن ذلك فإن المجلس الإسلامي الأوغندي أوشك على الانتهاء من إجراءات إطلاق إذاعة جديدة باسم «إذاعة جبل نسابة»، وهذه الإذاعات الثلاث التي تعمل في خدمة الدعوة الإسلامية، يقابلها أكثر من ٢٠٠ إذاعة أهلية تبث معظمها برامج تسيء للعقيدة الإسلامية، وتعمل على تشويه الإسلام، لتشكيك المسلمين في دينهم، بالرغم من أننا حريصون على إقامة علاقات طيبة مع أتباع الديانات الأخرى وعدم التعرض لهذه الأديان بشيء يسيء إليها، وذلك من منطلق أن الإسلام دين عالمي، وأن إيمان المسلم لا يكتمل إلا إذا آمن بجميع الرسالات السماوية السابقة على الإسلام، لكن للأسف نجد أن معظم هذه الإذاعات تبث برامج تهدف إلى تنصير المسلمين أو العمل على تشكيكهم في عقيدتهم.

● كيف يمكنكم التغلب على هذه المشكلة؟ ألا تلجأون إلى الحوار كوسيلة لإقناع أصحاب هذه الإذاعات ومن يفكرون في الإساءة إلى الإسلام بتبني فكرة التفاهم والحوار وتصحيح المعلومات الخاطئة لديهم عن الإسلام؟

– نعم، هذا صحيح وقد جربنا كل هذه الوسائل وغيرها إلا انه لم تتحقق لنا أية نتائج، وهذه الأعمال مستمرة وفي تزايد.

● ألم تفكروا في وسائل أخرى؟

– الوسائل التي قد تحقق شيئًا طيبًا بالنسبة لنا هي دعم المؤسسات الإسلامية وعلى رأسها الأزهر، وكذلك الجمعيات الإسلامية العاملة في أوغندا، وبعض الشخصيات الإسلامية سواء من علماء المسلمين أو الأثرياء في العالم الإسلامي، والتي قد تدعمنا في العمل على توسيع أنشطتنا الدعوية للحفاظ على الهوية الدينية لأبناء المسلمين في أوغندا، خاصة وأننا نحتاج إلى إطلاق قناة تليفزيونية تخدم الدعوة الإسلامية في أوغندا، لا سيما مع وجود عشر قنوات تليفزيونية ليس للمسلمين قناة واحدة منها، كما انه يوجد في أوغندا، بالرغم من الجهود الجبارة التي تبذل لتنصير المسلمين وتشويه صورة الإسلام، إقبال كبير على اعتناق الإسلام، فلا يمر يوم إلا ويدخل إلى حظيرة الإسلام مسلمون جدد.

● لاشك أن هؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام حديثا يحتاجون إلى رعاية مادية ومعنوية، وإلى توعية وتعريف بحقيقة الإسلام؛ حتى يقوى إيمانهم ولا يتعرضون إلى التشكيك والارتداد عن الإسلام مرة أخرى، فهل توفرون لهم تلك الرعاية؟

– نعم، نحن لم نقصر في حق هؤلاء، فبدأنا على الفور في بناء دور لهم تسمى «دور الإيمان للمهتدين الجدد» في المناطق الشرقية والشمالية من أوغندا، فعلى سبيل المثال تمت إقامة خمسة مراكز (دور) للمهتدين، وكل دار تأوي ستين مهتديًا جديدًا لمدة أسبوعين يتلقون خلالهما المعرفة بمبادئ وتعاليم الإسلام، كما يوجد حوالي ٣٥٠ مدرسة قرآنية تعمل في حقل تعليم اللغة العربية والتربية الإسلامية للنشء، سواء على مستوى المرحلة الابتدائية أو الإعدادية، وذلك بجانب خمسين معهدًا دينيًا يعلمون مبادئ الإسلام، كما توجد جامعة إسلامية تابعة لمنظمة المؤتمر الإسلامي، وهذه الجامعة تهتم بتعليم أبناء المسلمين صحيح الإسلام، وتقبل غير المسلمين للدراسة بها في حدود ١٠٪ من إجمالي عدد الدارسين، حسب الاتفاق المبرم بين منظمة المؤتمر الإسلامي والحكومة الأوغندية.

● ذكرتم أن هناك بعض الإذاعات تتعمد الإساءة إلى الإسلام ونشر البلبلة بين صفوف المسلمين بهدف تحويلهم عن دينهم، هل هذا يأتي في إطار انتشار ظاهرة الخوف من الإسلام «الاسلاموفوبيا» التي تجتاح كثيرًا من البلدان في العالم؟

– لا، هذا ليس صحيحًا، الاسلاموفوبيا غير موجودة في أوغندا، لكن توجد كما قلت جهود جبارة من خلال حملات قوية تهدف إلى تنصير المسلمين، والتشكيك في الإسلام، وذلك لأن سياسة الرئيس الأوغندي وحكومته عدم التدخل في أمور الأديان، وهذا يتطلب من المؤسسات الإسلامية والأثرياء في العالم الإسلامي أن يسارعوا إلى تقديم يد العون للمسلمين في أوغندا، لأننا لاحظنا في السنوات الأخيرة نشاطًا هائلًا للمؤسسات الكنسية الغربية التي تسعى بقوة لتنفيذ مخططات لتنصير المسلمين، ليس في أوغندا فقط ولكن في عموم قارة إفريقيا، وهذه المؤسسات لها برامج مدروسة، ودائمًا ما تأتي إلى المناطق الفقيرة التي يعاني سكانها من الجهل والفقر والأمراض، وهي ترفع شعار المؤسسات الخيرية التي تقدم المساعدات والمعونات الإنسانية، وهذا يتطلب من المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي الانتباه إلى هذه المخططات والدعوة إلى دعم مسلمي إفريقيا ماديًا وثقافيًا للحفاظ على هويتهم الدينية والثقافية في مواجهة مخططات التنصير.

حين نضل الطريق ونتبع اليهود والنصارى

البعد الحضاري لأيام العطلة الأسبوعية

أحمد عيساوي

مبررات المسألة: في البلاد والمجتمعات التي شهدت في فترات من تاريخها تبعية تسلطية واستكبارية يكثر الجدل فيها حول الثوابت والمحددات المقدسة، كما يحتدم النقاش فيها أيضا حول الأطر المرجعية التي تحكم كثيرا من القضايا، وتوجه دفة الحياة فيها على المستوى الفردي والاجتماعي والسياسي.

بحكم التبعية المطلقة للغرب، الذي استعبد حيزا جيوسياسيا وثقافيا وحضاريا من الأمم عامة، ومن الأمة الإسلامية خاصة، وبحكم عمليات الاستئصال والمسخ والتشويه... لكل المقومات والقيم والأطر الحضارية المرجعية للأمم المستعبدة صار كل شيء فيها قابلا للجدال وللمناقشة بعد أن أعفت عليه عوامل الغزو والاستئصال الاستعماري.

وبفعل عمليات الإبادة والاستئصال التي مورست ضد جيوب المانعة الروحية والمقاومة الثقافية والحضارية لتلك الشعوب صار كل شيء فيها قابلا للنقاش والحوار بما في ذلك الأطر المرجعية المقدسة وإيحاءاتها في الحياة الثقافية والاجتماعية والفكرية والدينية للعرب وللمسلمين.

وبفعل قرون الهيمنة التي استمرأها الاستكبار العالمي ضد الأمم المستعبدة صار الغرب الوثني مسكونا بهاجس تبعية الأمم الأخرى إليه، تبعية مطلقة لقيمه الثقافية، ولمثله الحضارية الوثنية. ولم يعد يتصور- بفعل المرضية الاستعبادية وعقدة المركزية الكامنة فيه تاريخيا- بروز حصون ممانعة ثقافية، أو مقاومة دينية مناوئة لمشروعه الاستكباري، الذي يحمل في الوقت نفسه عوامل إفناء المدنية الغربية نفسها.

وبفعل وجود الولاءات، وجيوب الإخلاص والوفاء للتبعية، وبفعل القابلية

يزعم اليهود أن الرب قد سبت يوم السبت واستراح من وعثاء الخلق

للتبعية والاستماتة في خدمة مشاريع الآخر القوي في الكثير من البلاد العربية والإسلامية على مستوى الدوائر الرسمية وغير الرسمية يطرح للنقاش اليوم موضوع يوم العطلة الرسمية، ومدى جدوى أو عدم جدوى بقائه مخالفا لما عليه في الغرب، بحجج التفتح والتقدم والتطور ومواكبة عصر العولمة.

ولنا أن نتساءل هنا، لماذا تصّر علينا بعض دوائر التبعية للغرب أن نبدل يوم عطلتنا؟ وتصّر معه جيوب التبعية المتحكمة فينا أيضا إلى إحداث مثل هذا التغيير الخطير في تاريخ ومستقبل وتوجه الأمة؟ ولماذا لا يغير اليهود يوم عطلتهم السبت بيوم الجمعة نظرا لوجودهم ضمن محيط عربي كبير؟ بل يصرون على تسبيت سبتهم حتى لو خسروا أهم معاركهم. (١)

إن القضية في اعتقادنا لها أبعادها الحضارية البحتة، حتى وإن وجدت السند الإعلامي والدعائي المقنع الذي يضمن لها تمرير مخططها في المنطقة المغاربية، حيث العطلة في كل من المغرب وتونس يوما السبت والأحد، وستتبعهما كل من موريتانيا والجزائر التي بدأت بالونات الاختبار ترسل فيها لمعاينة روح المانعة الثقافية والحضارية فيها. كما لها سندها العقلي، إذ بينت الدراسات العلمية الحدية حاجة الإنسان الماسة ليوم أو يومين من الراحة يستجم فيهما من وعثاء العمل والتعب الأسبوعي، يصل حتى التقديس في المجتمعات المتطورة التي تضحي بكل شيء إلاّ بيوم عطلتها.

وإيمانا منا بالبعد الحضاري والديني ليوم العطلة أصّلنا المسألة على النحو التالي.

● **البعد الديني ليوم العطلة الأسبوعية:** إن أيام العطلة والراحة الأسبوعية التي تتقاسم شعوب الأرض مقسمة حسب الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية. المسيحية. الإسلام)، فيما تبقى الأديان الوثنية الأخرى كالكونفوشيسية والبوذية والبراهمية والمجوسية... تبعا لبقية الأديان السماوية الثلاثة، وذلك لعدم تضمنها على تشريعات تحكم وتنظم سائر شؤونها، كما هو الشأن في الأديان السماوية التي تنص على قداسة يوم بعينه من أيام الأسبوع، استنادا إلى المرجعية الدينية لكل دين.

وتبقى لهذه الأديان رؤيتها وتصوراتها العقدية المقدسة الخاصة بها في اختيار يوم وتفضيله على يوم آخر، ولذا فإننا نجد أنفسنا أمام ثلاثة أيام رئيسة هي:

١- السبت لليهودية واليهود.

٢- الأحد للمسيحية والمسيحيين.

٣- الجمعة للإسلام والمسلمين.

ولكن ما هي الأبعاد والخلفيات الدينية العقدية التي اعتمدتها هذه الأديان في اختيار يوم راحتها الأسبوعية المقدس؟

١- سابات اليوم الذي استراح فيه

أكاديمي جزائري

الرب جاء في سفر التكوين في الإصحاح الثالث من توراة العهد القديم عن خلق الخليقة، وقصة خلق الكون والحياة والتكوين وآدم ما يلي:

«... إن الله خلق النور في اليوم الأول، والسماء في اليوم الثاني، والأرض في اليوم الثالث، والنبات في اليوم الرابع، والشمس والقمر والنجوم والطير في اليوم الخامس، وخلق الحيوان والإنسان في اليوم السادس، ثم تعب الرب من العمل، والجهد فاستراح في اليوم السابع وسبت...». (٢)

وبغض النظر عن بطلان الطرح العقدي الذي ساقته التوراة افتراء على الله تبارك وتعالى، والذي يصف المولى تبارك وتعالى بالتعب، ويصوره كإنسان يعمل ثم يشعر بالتعب والنصب، فيطلب لنفسه الراحة، فيختار اليوم السابع ليسبت، ويستريح. وعلى هذا فإن اليهود يعظمون اليوم السابع، أي يوم السبت، لأن الرب قد سبت فيه، واستراح من وعثاء الخلق والتكوين، ولذا فإنهم يقدسونه دينيا، ويسبتون فيه من مغيب يوم الجمعة إلى مغيب يوم السبت، لا يصنعون في ذلك اليوم شيئا، ولهم طقوس تعبدية في هذا اليوم المقدس. (٣)

وقد جاء في «سفر الخروج» في الإصحاح العشرين من الفقرة ١ إلى الفقرة ١٧ الحديث عن قدسية يوم السبت عند اليهود، فقد أوردت التوراة مايلي: «.. إني أنا الرب إلهكم، الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي.. اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل، وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه سبت الرب إلهك. لا تصنع عملا أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وبهيمتك، ونزيلك الذي هو داخل أبوابك، لأن الرب صنع السماء والأرض والبحر، وكل ما في الأرض والكون، واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه..». (٤)

وهاهو نص آخر من توراة العهد القديم

يشير صراحة إلى تقديس هذا اليوم، وفيه يأمرهم الرب إلههم بالسكون والثبات، فيجب عليهم ألا يكثروا من الحركة، ولا يقوموا بأي عمل أو مجهود للأصناف المذكورة في النص، بدءا من السيد وانتهاء بالضيف والبهيمة والعبد.. حتى أنهم تقديسا لهذا اليوم يُعدون طعامهم بالقرب من مجامير الفحم ليبقى ساخنا، ويجتهدون في ذلك اليوم على الإقلال من لمس الأشياء طاعة لربهم، الذي سبت واستراح يوم السبت، بعد أن تعب من صناعة وتكوين العالم بزعمهم.(٥)

ويعتز اليهود بقدسية هذا اليوم، حتى أنهم يصرون على تنفيذ أركان عقيدتهم الدينية في المجتمعات التي يعيشون فيها كأقليات، ففي سورية وفي جامعة حلب وفي كلية الطب رفض طالب يهودي إجراء الامتحان النهائي يوم السبت، لأنه مقدس بالنسبة إليه، وقابل رئيس الجامعة بكثير من الجرأة والوقاحة لأن يغير له توقيت الامتحان لأنه جاء في يوم عيده الأسبوعي، أو يغير توقيت الامتحان لجميع الطلبة احتراما لمشاعره الدينية، واحتراما لعقيدته الدينية التي تُحرم عليه فعل أي شيء يومي الجمعة والسبت، ولن يفعل أي شيء حتى لو كان امتحانه النهائي والمصيري، مما اضطر إدارة الجامعة- لاعتبارات سياسية ودعائية وإعلامية قد يستغلها اليود- إلى تغيير وتعديل تاريخ الامتحان ليتناسب وطقوس هذا الطالب اليهودي المتدين والمتمسك بعقيدته ويم عطلته.

وقد ورد تقديس هذا اليوم عند اليهود العديد من المرات، فسفر التكوين، والخروج، والتثنية، والعدد، وصموئيل أول، وصموئيل ثاني، وعزرا، ونحميا، ويونا، ودانييل، وحزقيال وعاموس.. كلها قد أولت أهمية كبرى، وعناية خاصة بهذا اليوم.

ومن أهم ما ورد في تقديسه ما جاء في سفر التثنية في الإصحاح الخامس، حيث تقول التوراة: «...احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك، ستة أيام تشتغل، وتعمل جميع أعمالك، وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك، ولا تعمل فيه عملا أنت، وابنك، وابنتك، وعبدك، وأمتك، وثورك، وحمارك، وكل بهائمك، ونزيلك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك، واذكر أنك كنت عبدا في أرض مصر، فأخرجك الرب إلهك من هناك بيد شديدة، وذراع معدودة ممدودة، لأجل ذلك وصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت.. هذه كلمات كلم بها الرب كل جماعتكم في الجبل، وكتبتها على لوحين من الحجر، وأعطاني إياها...». (٦)

ودون الدخول في تفاصيل الطرح التوراتي نسجل انطلاقا من هذا النص اتفاقه مع غيره من النصوص السالفة المذكورة وغيرها التأكيد على قداسة هذا اليوم عند اليهود، ويمكن رصد التالي:

١ – اختيار اليهود ليوم العطلة السبت إنما جاء بناء على نص مرجعي توراتي مقدس.

٢ – مدى تفاني وإخلاص اليهود في تقديس وتعظيم كتبهم وتعاليمهم الإلهية، ولو مظهريا بغية الحفاظ على مسحة التمايز الشكلانية بين الديانات والحضارات الأخرى.

٣ – تعظيم اليهود وتقديسهم لأعيادهم الدينية، ومنها يوم السبت (سابات)، الذي سبت في الرب بزعمهم.

٤ – تحملهم المشاق في سبيل الحفاظ على الهوية الحضارية اليهودية بتمايزاتها.

٥ – عدم الخجل أو الخوف من إظهار العقيدة اليهودية، بل يسعون جاهدين إلى إبراز مظاهر الاعتزاز بالعقيدة والدين اليهودي.

٦ – محاولاتهم الدائمة والدائبة لفرض طروحاتهم وعقائدهم على الآخرين، دون احترام للفوارق.

وفي المنظور اليهودي هذا يوم العطلة المقدس، الذي يفاخرون به ضمن المحيط العربي والإسلامي، غير آبهين بدين وثقافة المحيط الكبير، ويعملون جاهدين على التمايز، ضاربين عرض الحائط بكل الشعارات المزيفة التي يسوقونها عبر الهيئات والمنظمات الدولية والشعبية، كحقوق الإنسان والحرية الفردية..

٢ – آحاد.. اليوم الذي خالف فيه المسيحيون اليهود:

كان اليهود يرتبون الأيام على الشكل التالي فيقولون: «يوم آحاد أو يوم ريشون، يوم شيني، يوم شليشي، يوم ربيعي، يوم حميشي، يوم شيشي، يوم سابات»، وهي تعني: اليوم الأول، اليوم الثاني، اليوم الثالث، اليوم الرابع، اليوم الخامس، اليوم السادس، يوم السبت، فجاءت تعاليم الدين المسيحي لتخالفهم في اعتقادهم محاولة منها لجلب القداسة إلى اليوم الذي تختاره هي وتخالف فيه اعتقاد اليهود، ولتنفي القداسة والإجلال عن يوم السبت الذي تجله يهود.

وقد ورد في أسفار العهد الجديد في (إنجيل يوحنا) في الإصحاح الخامس من الفقرة الـ ١٥ إلى الفقرة الـ ١٨ ما يلي: «... وكان إنسان هناك به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة هذا رآه يسوع مضطجعا وعلم أن له وَمَنَا– مرضا– كثيرا، فقال له: أتريد أن تبرأ؟ فأجابه المريض: يا سيدي ليس لي إنسان يلقيني في هذه البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آت ينزل قدامي آخر. قال له يسوع: قم احمل أنت سريرك وامش. فحالا برئ الإنسان، وحمل سريره ومشي. وكان ذلك في يوم سبت.

فقال اليهودي للذي شفي: إنه سبت لا يحل لك أن تحمل سريرك. أجابهم: إن الذي أبراني هو قال لي احمل سريرك وامش. فسألوه من هو الإنسان الذي قال لك ذلك؟ أما الذي شفي فلم يكن يعلم من هو؟ لأن يسوع اعتزل إذ كان في الموضع جمع. بعد ذلك وجده يسوع في الهيكل وقال له: ها أنت قد برئت فلا تخطئ أيضا لئلا يكون لك أشر. فمضى الإنسان، وأخبر اليهود أن يسوع هو الذي أبرأه. ولهذا كان اليهود يطردون يسوع، ويطلبون أن يقتلوه لأنه عمل هذا في سبت.

فأجابهم يسوع أبي يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه لأنه لم ينقض السبت فقط، بل قال أيضا إن الله أبوه معادلا نفسه بالله....» (٧)

كما ورد مثل هذا الطعن في قدسية يوم السبت في إنجيل يوحنا في الإصحاح التاسع عشر في الفقرتين الـ ٣١ والـ ٣٢، وكذلك في إنجيل لوقا في الإصحاح

السادس في الفقرة الـ ٢ إلى فقرة الـ ٥ وفي غيره من الأناجيل. (٨)

ودون الدخول في متاهات التحليل للنص الإنجيلي المليء أيضا بالأباطيل والترهات نشير فقط إلى الحقائق التالية:

١– مخالفة المسيحيين لليهود في تقديس يوم السبت، واستعاضتهم عنه بيوم الأحد.

٢– تقديس المسيحيين ليوم راحتهم الجديد الأحد، وتمسكهم به وعنادهم بمخالفة اليهود.

٣– محاولاتهم الدائمة لفرض وتعميم يوم الأحد كعطلة رسمية عالمية ولاسيما في البلاد المستعبدة، بشتى مظاهر الاستعباد والاستتباع الثقافي والفكري والعقدي والاقتصادي والإعلامي..

٤– تقديم يوم الأحد كيوم عطلة بديل، له الصبغة الرسمية والعالمية لينافس يومي السبت والجمعة.

٣– الجمعة اليوم الذي اجتمع فيه المسلمون كان العرب في الجاهلية يطلقون على يوم الجمعة يوم العروبة أي الرحمة، وأول من سمى يوم الجمعة في الجاهلية جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم كعب بن لؤي، كما كان أول من صلى

بالمسلمين الجمعة في الإسلام الصحابي الجليل أسعد بن زرارة الأنصاري رضي الله عنه، كما صلى النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة الأولى بالمسلمين في بني سالم بن عوف بالقرب من المدينة المنورة أثناء هجرته. (٩)

ويروى عن أسباب نزول سورة الجمعة أن اليهود كانوا قد افتخروا على جماعة المسلمين في ثلاث هن: «أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم أهل كتابة وعلم وقراءة، وأن العرب أمة لا علم عندهم ولا كتابة، ولا كتاب. وأن لهم يوم الراحة السبت، ولا يوجد عند العرب مثله. فكذبهم الله في الأولى بقوله: (... فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين)، وسفههم في الثانية بقوله الكريم: (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا..)، وشرع للمسلمين يوم الجمعة ليغيظ به يهود. (١٠)

كما ورد في فضل يوم الجمعة في الأثر الكثير من البر والخير، من ذاك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه تقوم الساعة ، وهوعند الله يوم المزيد». (١١)

دون الدخول في تفاسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وغيرها من الآثار والأخبار الصحاح، نقتصر على تناول قدسية يوم الجمعة من الأطر والمحددات الإسلامية المقدسة (القرآن- السنة- الآثار) ونتبين ما يلي:

١- قدسية يوم الجمعة بنصوص صريحة وواضحة، وقطعية الدلالة والثبوت.

٢- ضرورة مخالفة اليهود والمسيحيين في أيام عطلتهم وراحتهم وتعبدهم وأعيادهم.

٣- عدم اتباع ملة يهود ونصارى في اتخاذ يوم عطلتهم عوضا عن يوم الجمعة المقدس لدى المسلمين.

٤- ضرورة احترام النص الشرعي الملزم بإجلال قداسة هذا اليوم، وعدم التلاعب بمشاعر المسلمين واحترام شعائر الله، وعدم مناصبتها العداء.

٥- ضرورة الحفاظ على يوم الجمعة كيوم عطلة وراحة متميزة تتميز بها الأمة الإسلامية وكمظهر من مظاهر رفض التبعية الاستعبادية المطلقة للغرب اليهودي والصليبي.

٦- اعتبار يوم الجمعة وسائر الأعياد الدينية الأخرى مظهرا من مظاهر التفوق والتمايز والأصالة.

٧- عدم الخجل من التمسك بالعقيدة الإسلامية في قرن الأديان والإيمان.

خاتمة ونتيجة

وبعد.. إن يوم الراحة هو يوم ذو أبعاد دينية وحضارية وروحية لدى الأمم، كما أنه عامل تمييز وتأصيل واعتزاز حضاري لكل أمة. فهل يعقل ويستساغ أن يتمسك اليهود بيومهم السبت، ويدافعون عنه، ويحاولون فرضه على الغير؟ ويتمسك النصارى بيومهم الأحد، ويدافعون عنه، ويحاولون فرضه بالقوة على الغير؟ ونتنازل نحن العرب والمسلمين عن يوم الجمعة المنصوص عليه قطعيا في القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة بحجج واهية، وشعارات وهمية زائفة الغرض منها إرضاء اليهود والنصارى الذين لن يرضوا عنا حتى ولو اتبعنا ملتهم: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي لا نصير). (١٢)

الهوامش

(١) خسر اليهود حرب العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هـ الموافق ليوم ١٩٧٣/١٠/٠٦م التي وافقت يوم عيدهم كيبور المقدس، وهو العيد الذي لا يلمسون فيه شيئا ويتفرغون فيه للعبادة.

(٢)العهد القديم. سفر التكوين. الإصحاح الثالث. مطبعة النهضة المصرية. القاهرة. الطبعة الأولى. ١٩٣٦م. ص ٣٣.

(٣) راجع عبدالخالق بكر (دكتور). محاضرات اليهودية. محاضرات مرقونة. قسم الدراسات العليا. معهد أصول الدين. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م. ص ٢١. بتصرف.

(٤) العهد القديم. سفر الخروج. الاصحاح العشرون. الفقرات ١ ... ١٧. بتصرف.

(٥) محمد الهواري (دكتور). التشريع عند اليهود. محاضرات مرقونة. قسم الدراسات العليا. معهد أصول الدين. جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م. ص ٤٣.. بتصرف.

(٦)العهد القديم. سفر التثنية. الإصحاح الخامس.

(٧) العهد الجديد. انجيل يوحنا. الإصحاح الخامس. الفقرة ١٥.. إلى ١٨. مطبوعات دار نور على نور. فرنسا. ص ٢٤. ٢٥.

(٨) العهد الجديد. انجيل يوحنا. الإصحاح التاسع عشر. الفقرة ٣١. ٣٢. ص ١١٤. وانجيل لوقا. الإصحاح السادس. الفقرات ٢.. إلى ٥. ص ١١.

(٩) انظر مثلا: محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير. دار الشهاب. الجزائر. الطبعة الأولى. ١٩٨٨م. ١٤٠٨هـ. ج ٣. ص ٣٨٢. وغيره من تفاسير الرواية والدراية.

(١٠) الصابوني. صفوة التفاسير. ج ٣. ص ٣٨٢.

(١١)انظر تفاسير الرواية والدراية في المسألة.

(١٢) سورة البقرة. آية ١١٩.

مفهوم الأمية في العصر الجاهلي وصدر الإسلام (١-٢)

د. رفيق حسن الحليمي

هناك وهنا وفي كثير من الأمكنة وفي مختلف الأزمنة وفي بعض البيئات الأدبية القديمة والحديثة اعتقاد نمطي سائد بأن العرب في العصر الجاهلي كانوا أمة أمية، وقد انصرف ذلك الاعتقاد الى معنى أمية الكتابة، أي الأمة التي لا تقرأ ولا تكتب، وعزز ذلك الاعتقاد في بعض الأدبيات مفهوم «الجاهلية» بمعنى الجهالة في مختلف مناحي الحياة، وغدا هذا المفهوم عنوانًا سمي به العصر الأدبي الذي سبق الإسلام، وهي تسمية قديمة حديثة أطلقها الدارسون قديمًا، وتشبث بها المعاصرون في مناهجهم الدراسية، وفي تقسيم العصور الأدبية إلى جاهلي - إسلامي- أموي - عباسي.

كان من آثار شيوع هذين المفهومين (الأمية - الجاهلية) مصطلحات: الأدب الجاهلي - الشعر الجاهلي - شاعر جاهلي - حياة جاهلية... إلى جانب أمة لا تقرأ ولا تكتب، وأصبح الوعي العربي منذ بداية تكوينه في مراحل الدراسة الأولية - تهيمن عليه خرافة ذلك الاعتقاد بكل معطياته السلبية التي تختزل الحياة في ذلك العصر «الجاهلي» بأنها كانت «قليلة الحظ من كل عمران ورقي، بعيدة عن كل مظهر من مظاهر الحضارة والمدنية، وأن العرب كانوا أمة أمية جاهلة، ولا حظ لها من علم أو معرفة أو كتابة» (١).

ظل هذا المفهوم السلبي مهيمنًا على كثير من النخب المثقفة من العرب ومن غير العرب، وكشفت عنه حوارات جرت أخيرًا في أحد الملتقيات الثقافية (...) حيث بدا واضحًا أن هذا المفهوم لدى تلك النخب ينسحب على الأمية الكتابية، اعتقادًا منها بأن أمية الكتابة هي التي كانت سائدة متفشية بين عرب الجاهلية، وكأنهم لم يمسكوا قلمًا وقرطاسًا ولم يعرفوا الكتابة والتدوين البتة، ولم يخطر ببال المثقفين من تلك النخب أن صفة الأمية تلك التي التصقت بالعرب اعتباطًا، وشوهت صورتهم تعني في حقيقة الأمر «الأمية الدينية» حيث كانوا في الأغلب الأعم وثنيين، يعبدون الأصنام حسب العادة المتوارثة والتقليد المتبع، ولم يكن لهم كتاب يتلونه ويتدارسونه، كما لم يكن للوثنية كتاب يشرحها ويفصل طرق أدائها (٢)، كما هي الحال بالنسبة الى اليهود والنصارى، ولعل مراجعة سريعة لما كان عليه العرب في الجاهلية تؤكد من قريب أن المقصود بالأمية هو «أمية الاعتقاد الديني» قياسًا الى التوراة والإنجيل، واعتبار ان الوثنية اعتقاد فاسد، وليس لها كتاب يقرأه العرب! وسوف تحاول هذه الدراسة أن تثبت أن العرب عرفوا قدرًا لا بأس به من القراءة والكتابة معرفة كانت تتناسب طردًا وفقًا لاحتياجاتهم وضرورات حياتهم، وقد كان ذلك لا يقل عن غيرهم من الأمم والشعوب المجاورة لهم قياسًا الى السياق الزمني في نشأة الأمم وتطورها نحو المعرفة والعلم والتحضر.

دلالة الجاهلية

لعل أول ما نستجلي به الأمر- وصولًا الى الحقيقة - التوقف عند معنى الجاهلية، ففي القاموس المحيط الجهل: ضد العلم، ويتوسع المعجم الوسيط في الدلالة معتمدًا في ذلك على بعض الآيات القرآنية، فالجهل نقيض الحلم، والجهالة بمعنى الجفا والتسافه كما في قوله تعالى: ﴿قالوا أتتخذنا هزوًا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين﴾ (البقرة: ٦٧)، وجهل الشيء وجهل به: ضياع الحق وعدم المعرفة، والجاهلية ما كان عليه العرب قبل الإسلام من الجهل والضلال (٣)، قال تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ (الأحزاب: ٣٣)، فكانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت العتيق عراة، وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون ويصفقون (٤)، «وهي زمان الفترة ما بين رسولين، وقال تعالى: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أصدق من الله حكمًا لقوم يوقنون﴾ (المائدة: ٥٠)، وقوله تعالى: ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية﴾ (آل عمران: ١٥٤)، «وهي في اصطلاح أهل الكلام: اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه» (٥).

أقول: وقد ينصرف معناها إلى الحمية والأنفة والغضب والنزق والطيش، كما في قوله تعالى: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية﴾ (الفتح: ٢٦)، كما في قول الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا

فنجهل فوق جهل الجاهلينا (٦)

ويقابل هذا المعنى: السكينة والوقار.

ويستخلص من هذه الدلالات جميعًا أن ما كان عليه عرب الجاهلية من صفات (الجاهلية الأولى- حمية الجاهلية- حكم الجاهلية- ظن الجاهلية) تعنى الضلال والجهل بالحق والاعتقاد الفاسد، ولا ينسحب شيء من هذه المعاني على أمية الكتابة أو الجهل بها.

أكاديمي فلسطيني

استناداً إلى القرآن الكريم فإن الأمية تنصرف في مدلولها إلى الأمية الدينية

دلالة الأمية

في اللغة الأمي: من لا يقرأ ولا يكتب، والأمية الغفلة والجهالة (٧)، وقد وردت كلمة أمي ومشتقاتها في القرآن الكريم عدة مرات ولها دلالتان:

(١) وصف النبي ﷺ بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، قال تعالى: ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ (الأعراف: ١٥٧) وقال تعالى: ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي﴾ (الأعراف: ١٥٨).

(٢) وصف العرب قاطبة بأنهم أميون في مقابل أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم﴾ (آل عمران: ٢٠)، وتفسيرها: ﴿الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب﴾ (٨) وهو خلاف اليهود والنصارى الذين أوتوا الكتاب، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل﴾ (آل عمران: ٧٥)، جاء في تفسيرها: «لا يتطرق علينا إثم وذم في شأن الأميين، يعنون الذين ليسوا من أهل الكتاب، وكانوا (اليهود) يستحلون ظلم من خالفهم، وكانوا يقولون: لم يجعل لهم في كتابنا حرمة» (٨)، وقوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (الجمعة:٢)، والأميون في هذه الآيات هم العرب الوثنيون الذين لا كتاب لهم قياسًا باليهود والنصارى، وهذا أكبر برهان على أن تلك الصفة «تعني الأمية الدينية أي أنهم لم يكن لهم قبل القرآن الكريم كتاب ديني، ومن هنا كانوا أميين دينيًا ولم يكونوا مثل أهل الكتاب من اليهود والنصارى (٩)، ومما يؤكد هذا أن الأمية الدينية لحقت بفريق من أهل الكتاب ممن حرفوه بأيديهم، وجهلوا ما

فيه، قال تعالى ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون، فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ (البقرة: ٧٨-٧٩)، «فأمية هذا الفريق ليست أمية كتابية لأنه قد أخبر أنهم كانوا يكتبون بأيديهم، وإنما هي أمية دينية، أي جهل بالدين وإنكار له» (٩).

وأما ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولاً...﴾، «أن لله تعالى بعث رجلاً أميا في قوم أميين» (١٠) والتعقيب على ذلك بقوله: «والأمي منسوب إلى أمة العرب، لأنهم كانوا لا يكتبون ولا يقرأون من بين الأمم» (١١) يجافي الواقع ويتناقض مع الحقيقة ويتعارض مع ما ذهب إليه صاحب التفسير نفسه إذا يقول «بدئت الكتابة بالطائف وهم أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من الأنبار» (١٢)، وكيف يقر بأن بعض العرب عرفوا الكتابة والقراءة ثم يعمم حكمه عليهم، ويصفهم بأنهم أميون؟ ولو ذهب الى أن أكثر العرب كانوا أميين وأن الأمية كانت متفشية لكان قوله سليمًا، لأن بني البشر جميعًا يولدون أميين ثم يكتسبون تعلم القراءة والكتابة إذا ما تهيأت لهم الظروف المناسبة للتعلم، وبذلك تبقى «الأمية» التي شاعت في كثير من الأدبيات تنصرف أو ينبغي أن تنصرف في مدلولها إلى الأمية الدينية وليس الى الأمية الكتابية استنادًا الى ما ورد في الذكر الحكيم من آيات تحمل بصريح القول هذه الدلالة، والله أعلم.

الهوامش

١- ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص٤٢
٢- ظهر كتاب الأصنام لابن الكلبي (محمد بن السائب الكلبي ت ٧٦٣م) في القرن الثاني الهجري، وقيل: ذكر فيه جميع الأصنام التي كانت عند العرب والقبائل التي تدين بها، وذكر بعض الأشعار الباقية التي تحمل شيئًا من الاعتقاد الوثني، انظر الموسوعة الميسرة ص١١٣٣
٣- المعجم الوسيط مادة «جهل»
٤- تفسير النسفي ج٢ ص١٠٣
٥- المعجم الوسيط
٦- الأنباري شرح القصائد السبع الطوال ص٤٢٦
٧- المعجم الوسيط مادة «أمم»
٨- تفسير النسفي ج١ص١٦٥
٩- مصادر الشعر الجاهلي ص٤٥
١٠- تفسير النسفي ج٤ ص٢٥٤
١١- المصدر نفسه
١٢- المصدر نفسه

«الوعي الإسلامي» تطلع على التجربة التركية في الصحافة

التحرير

في إطار التعاون الكويتي - التركي زار وفد مجلة «الوعي الإسلامي» برئاسة رئيس التحرير فيصل يوسف العلي مجلة «حراء» التركية باسطنبول أخيرا للاطلاع على التجربة الصحافية الناجحة هناك وتبادل الخبرات والتعاون المشترك.

وجاءت الزيارة بهدف تعزيز التواصل الثقافي والفكري بين المجلتين، وتبادل الخبرات، والرؤى الإعلامية، بشأن قضايا الأمة المختلفة، وتوقيع بروتوكولات التعاون والتبادل الصحافي.

رئيس التحرير يتحدث في الملتقى

جانب من المعرض

شهدت الزيارة تنظيم مجلة «حراء» للملتقى الإعلامي التركي - الكويتي للاحتفاء برائدة المجلات الهادفة مجلة «الوعي الإسلامي» وذلك في مدرسة «فم»، بالإضافة إلى أن الملتقى نظم ندوة إعلامية تعريفية بمجلة «الوعي الإسلامي» ودورها التاريخي في تأصيل القضايا الشرعية والفكرية والثقافية، بالإضافة إلى التعريف بدور الجهات الإعلامية التركية المشهورة كمجموعة ثمان يلو التلفزيونية، ومجموعة زمان الإعلامية، ووكالة جيهان للأنباء.

وقد تضمنت الزيارة الالتقاء بالقائمين على مركز البحوث الإسلامية (ايسام) المعنية بالموسوعة الإسلامية والتابع لـ «وقف الديانة التركي»، حيث أعطى رئيس المركز د. محمد عاكف شرحًا وافيًا عن طبيعة عمل الموسوعة الإسلامية ونشأتها وخططها المستقبلية، وأوجه التعاون مع المجلة من خلال إثراء الثقافة الإسلامية في ربوع الإنسانية، مشيرا إلى أن المركز يحتوي على مخطوطات نادرة عن الكويت.

كذلك التقى الوفد في المركز بمفتي اسطنبول أ.د مصطفى جاغرجي الذي قدم صورة عن طبيعة عمل دار الإفتاء ورؤيتها للقضايا الإسلامية في تركيا، وإنجازاتها في الساحة الإسلامية، حيث أوضح أنه يوجد مفت في كل محافظة بتركيا، فيوجد ٣٠ مفتيا في اسطنبول، واختيار المفتي يكون بتعيين من جانب الدولة، خاصة أن الإفتاء وظيفة رسمية قانونية وهي ليس لها حد زمني معين، ويجوز أن يكون المفتي متخرجا من كلية شرعية خارج الدولة مثل الأزهر، والإفتاء عموما يكون على المذهب الحنفي، وبين أنه يوجد نائبات للمفتين أو واعظات للنساء.

بالإضافة إلى الالتقاء برئيس جامعة «٢٩ مايو» أ.د. إبراهيم كافي دونماز الذي أعطى ملخصا عاما عن نشأة الجامعة، وكلياتها وتخصصاتها، وأبرز مميزاتها، حيث قال إن جامعتنا تهتم بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتحرص على ضم طلاب دول القوقاز والبلقان، وكذلك البلدان العربية والإسلامية، وهناك أربع كليات بالجامعة (كلية الآداب وكلية العلوم الاقتصادية والإدارية وكلية العلوم الصحية وكلية التربية) بالإضافة إلى معهد العلوم الاجتماعية ومعهد العلوم الصحية للدراسات العليا، وهناك مشروع لمدينة جامعية في المستقبل القريب.

وشهد الملتقى أيضا على هامشه معرضا للجهات المشاركة للتعرف على إصدارات المشاركين الثقافية والفكرية والعلمية، وتوقيع بروتوكول تبادل صحافي بين مجلتي «الوعي الإسلامي» و«حراء» الذي نص على توحيد الرؤى في معالجة قضايا الأمة، وتبادل الوثائق والمذكرات التفسيرية، وتبادل نشر بعض المقالات المميزة، وإقامة دورات تدريبية لتأهيل الكوادر، ونشر إعلان مجاني للعدد الجديد، ونشر خبر صحافي للعدد الجديد.

شاشة شهر الخير.. غير!

سمية محمد الميمني

أتصدقونني؟! في رمضان الماضي تجرأت وشاهدت التلفاز، وخالفت اللوائح المنزلية الصارمة التي تعودنا عليها منذ المهد والتي تنص على إغلاق الشاشات الصغيرة في هذا الشهر الكبير، لكنني بشقاوتي اكتشفت العام الماضي تلفازا بثوب جديد وشكل فريد، جهاز عظيم بمختلف قنواته وبرامجه، وجدته بتأثيراته الصوتية والبصرية بين دفتي القرآن الكريم.

صحيح أننا نقرأ القرآن دوما، وفي شهر الخيرات على وجه الخصوص، نتسابق لنحصل على أكبر رقم من الختمات، وبالتالي سرعة التلاوة تتجاوز مؤشرها الطبيعي، ولكن السنة الماضية عشت تجربة من أروع التجارب الحياتية.. لذة تفوق كل أطعمة السحور والإفطار، متعة وإثارة تتعدى أخطر الألعاب في أضخم ملاهي العالم، كانت قراءتي هذه المرة مرافقة لتفسير الآيات، ومحاولات متواضعة للولوج في أعماق التفاسير والإبحار فيها.

حينما اندمجت في تلاوة الفرقان مع تدبر آياته وتفكر في أحداثه... وجدت نفسي أعيش عصورا ولى زمنها، مع شخصيات لها من عبق التاريخ عطورا فواحة، وانتقلت بين مواقع وأمكنة مع أحداث مثيرة تختلط فيها مفاهيم المشاعر، لا تساويها أي مسلسلات وبرامج رمضانية تتهافت القنوات لبثها، وتتنافس لجذب أكبر عيونٍ مشاهدة لها في شهر فضيل، لكسب المال والشهرة على حساب أوقات العبادة لدى المسلمين، مسلسلات اجتماعية بالغة الحكمة والحبكة الدرامية، وقضايا في منتهى الواقعية، تراها وتسمعها وأنت تتنقل بين الآيات القرآنية، تتخيل نفسك في بداية خلق البشرية مع حكاية أبينا آدم عليه السلام، وكيف جاءت وسوسة الشيطان الرجيم للأكل من الشجرة المنهي عنها، ثم ينتابك شعور الندم عند غضب الله على آدم وحواء وهبوطهما في الأرض، ومن تلك اللحظة نشأت هذه العداوة الأبدية بين الإنس ومعشر الشياطين، كم تحقد على إبليس الذي لايزال يوسوس لأبناء الأبوين الكرام، وسيبقى إلى يوم الدين حسب ادعائه اللعين.

ثم تستمتع وأنت تبحر بسفينة نوح، ومعك أزواج من مختلف الكائنات الحية، وتستمع لحوار شيق بين الأب الحنون وابنه العاصي، الذي لا يخاف غضب ربه ويعاند أباه، وأخرى قصة يوسف وغيرة إخوته منه، والفتن التي مر بها في حياته منذ غيابة الجب أثناء اللعب، إلى بلوغ الجمال وولع الحب، ثم من قهر السجن خلف القضبان، إلى المجد والسلطان وعودة الإخوان بعد فراق الأزمان، يا لها من حكايات كان يا ما كان.

ويا لروعة أحداث الكليم موسى، منذ أن ألقي باليم وهو طفل رضيع، تقرأ الآيات وتكتشف العجاب، في حياة من وقف بوجه مدعي الألوهية، ثم منظر السحرة الذي يسحر الألباب عندما يسجدون لله أمام جبروت فرعون، مؤمنين برب موسى وهارون، ثم تتابع زواج موسى من التي جاءت على استحياء، وجبل الطور والحوار الذي يدور بين الرب والعبد المأمور، أي برامج على مر العصور تشمل جمال هذه الأمور؟!

متعة من نوع آخر عندما تتمعن في حياة عيسى، معجزة الطفل الذي ولد من غير أب، وتضحيات أم عذراء تواجه نظرات العالم وحدها مع صغيرها، أمام هذا الحدث التاريخي الذي يعجز العقل المحدود عن فهمه، ويكبر الطفل ويعالج الأسقام بإذن ربه، دون أن يدرس أصول الطب وأنواع العقاقير، ثم يرفع إلى الله بعد انتشار الفساد في الأرض، ونبقى جميعنا بانتظاره، إنها حقائق تاريخية ليست من نسيج المؤلفين للأفلام السينمائية.

خيال علمي آخر حين ترتل الآيات وتجد خليل الله إبراهيم، في حيرة من أمره كالتائهين، يا لها من حيرة في البحث عن رب العالمين، بين النجم والقمر والشمس، فكلهم من الآفلين، ويجادل والده آزر ويخالف نهج الأمين، ثم يرمى في نار الظالمين، ويخرج منها باردا سليما برحمة أرحم الراحمين.

مهما أسهب.. فماذا أكتب؟! كل نبي حياته خبرة وأيامه عبرة، فصبر أيوب وحكمة لقمان وحكم سليمان الذي أبهر الزمان، وعلوم كثيرة نقطفها من أشجار يعقوب ويحيى وزكريا، جميعهم رسل الله عليهم أفضل الصلاة والسلام، تستحق سيرتهم ومسيرتهم وقفات جادة منا، لنضيء ظلام حياتنا بوميض نورهم.

ناهيك عن آيات جنات النعيم، وسخاء المولى في العطاء الكريم، من حور وغلمان وأنهار ووديان، يا له من جود وهاب عظيم، ثم تعتريك رعشة خوف عند آيات الجحيم، عندما تغوص بين سطور العذاب والعقاب وغضب رب الأرباب، يتجسد أمامك ذاك المنظر الأليم.. وحدة القبر وميدان الحشر وهول القيامة ثم الصراط المستقيم، ماذا أعددنا لذاك اليوم.. أيها القارئ الحكيم؟

والآن يقف قلمي عاجزا أمام أعظم شخصية عرفها التاريخ، أمام حقيقة صنعت المعجزات، أمام ذاك القلب الذي حمل كلام الله العظيم واحتواه، إنه خير البشر الرسول الأمي محمد عليه الصلاة والسلام، خاتم الأنبياء والمرسلين، والذي ستشعر بهيبته وعظمته وأنت تقرأ كلمات هذا الكتاب المنزل عليه.

إن هذا الكتاب المعجز بكلماته العذبة، مهما تشرب منه فلن ترتوي، وفي كل مرة ومع كل قطرة هناك مذاق جديد، فكم هو جميل أن نفتح هذه الشاشة القرآنية، ونغلق الشاشات التلفازية الفاسدة في شهر الخير، وكل عام وأنتم بخير.

كاتبة صحافية

المنظومات العلمية

عبدالله محمد الكندري

إن المتأمل في طريقة عرض الحضارة الإسلامية لمؤلفاتها، والمتابع لصور التأليف والتصنيف عند علمائها يداخله العجب العجاب، ويملؤه الفخر والاعتزاز للكَمّ الضخم لهذا التراث الإسلامي المجيد، والتنوع المتناسق في مادته العلمية.

فقد تفنن علماء هذه الأمة المباركة في طرق جمع مادتهم العلمية، وتنافسوا في رسم أجمل الصور لها، فمنذ بداية فجر التأليف والتصنيف، الذي تميز في أولياته بالمادة الشرعية الخالصة، من حديث وآثار وفقه وعقيدة، وما عرض لهذه الأمة من أحوال وأخبار، وما دونوه من تراجم وسير، وما صاحب ذلك من مادة علمية مساعدة كعلوم الآلة من اللغة وآدابها وفنونها.

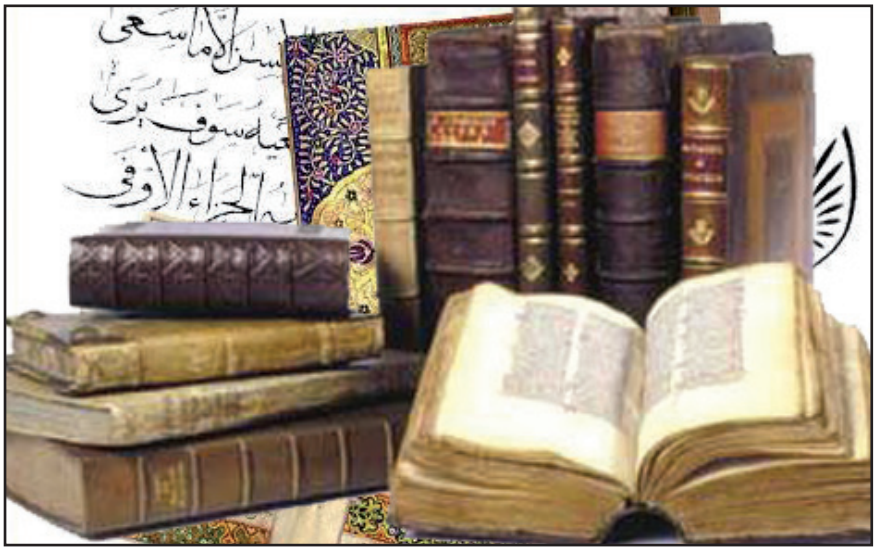

وقد تم تدوين هذا كله في بداياته بطابع الرواية المسندة، وانسحب ذلك حتى على كتب المادة العلمية البحتة مثل الطب والفلك والرياضيات، مما أضفى على ما قيدوه جلال المصداقية وبهاء العلم، لذا سُميت هذه الأمة بحق، أمة الإسناد.

ومن الوسائل التي سلكها هؤلاء العلماء الأفذاذ من المصنفين لتسهيل عرض وحفظ هذه المادة العلمية، تخفيفاً على طلبة العلم ومعاونتهم على مدارستها، صياغتها في صور شعرية سلسة سُمّيت بالمنظومات، والتي أصبحت فيما بعد من العلامات المميزة لحضارتنا الإسلامية.

والنفس الإنسانية بطبعها يسهل عليها قراءة الشعر والتلذذ بسماعه، فطالب العلم يسهل عليه حفظ مجموعة من الأبيات الشعرية تشتمل على المادة العلمية، أسرعَ بكثير من مطالعة نصوص جامدة، فإذا حفظ هذه الأبيات استطاع أن يتابع مادتها العلمية بسهولة، مستدركًا شواهدها مستدلًا بها في كل وقت وحين.

وربما جاءت هذه المنظومات في بيتين أو ثلاثة، لتجمع فائدةً من الفقه، أو حادثة في السيرة، أو غير ذلك من الفوائد واللطائف، ومن ذلك قول الإمام المؤرخ برهان الدين البقاعي الشافعي (ت٨٨٥هـ) رحمه الله تعالى، جامعًا أسماء أمهات المؤمنين رضي الله عنهن في بيتين:

توفي خيرُ الخلقِ بعدَ خديجة
وأزواجهُ تِسْعٌ: صَفِيّةُ، حفصة
وعائشة، ميمونة، مع رملة
جُوَيْرِيّة، هِنْدٌ، وزينبُ، سودة

ومن مشاهير هذه المنظومات والتي جاوزت أبياتها المئات: «ألفية ابن مالك» في النحو، و«ألفية السيرة» للحافظ العراقي (ت٨٠٦هـ)، وقد بلغ بعضها عدة آلاف مثل كتاب العلامة الأديب جمال الدين الصرصري الحنبلي (ت٦٥٦هـ) رحمه الله تعالى، في الفقه الحنبلي، والذي سماه «الدرة اليتيمة والمحجة المستقيمة» والتي بلغ عدد أبياتها (٢٧٧٤) بيتاً.

وقد طُبع كثيرٌ من هذه المنظومات، وكثيرٌ منها لا يزال حبيس خزائن المخطوطات، وقد اخترنا من بين هذه المنظومات، منظومةً لطيفة في نسب إمام أهل السنة والجماعة، الإمام المبجّل، والحبر الأنبل، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل رحمه الله تعالى، نظمها: العلامة محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الحنبلي (ت١٢١٦هـ) رحمه الله تعالى، جاءت ضمن ما أورده في ترجمته الشيخ عبدالله بن إبراهيم الغملاس (ت١٣٥٤/١٩٢٥م) رحمه الله تعالى، في كتابه «الإعلام بأعيان بلد الزبير بن العوّام»؛ والعلامة الشيخ محمد بن حمد العسّافي (ت١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) رحمه الله تعالى، في «تراجم الفضلاء» وكلاهما لا يزال مخطوطًا بانتظار همم المشمّرين في خدمة هذا الدين، نوردها هنا للطافتها وندرتها، خاتمين بها هذا

اختصاصي مخطوطات بجامعة الكويت

المقال، والله المستعان في كل حال:

قال العلامة محمد بن عبدالله بن فيروز التميمي الحنبلي (ت١٢١٦هـ) رحمه الله تعالى:

حمدتُ إلهي حَمْدَ عَبْدٍ بِهِ الْتَمَسْ
إزالةَ ما شانَ السَّجايا من الشَّرسْ
وصَلَّيْتُ ما لاحَتْ بروقٌ على الذي
بأنوارهِ ظُلَمُ الضلالِ قد انْطَمَسْ
محمّدٍ الهادي وآلٍ وصُحْبَةٍ
بَدَى فَضْلُهُمْ في العالمينَ بلا لَبَسْ
وبعدُ فذي أبياتُ شِعْرٍ مُشيرَةٌ
إلى نَسَبِ الحَبْرِ المُؤيّدِ بالقَبَسْ
عَنَيْتُ إمامَ الزُّهْدِ أحمدَ مَنْ عَلَتْ
مقاماتُهُ في ديننا الثابتِ الأُسُسْ
فَاسْمُ أبي هذا التّقيّ محمّدٌ
وحنبلٌ الجَدُّ الرفيعُ الذي نَفَسْ
هلالٌ وأَسَدٌ ثمّ إدريسُ بعدهُ
أتاكَ اسم عبدالله حياتهم أَنَسْ
وعوفٌ يليهِ قاسطٌ ثم مازن
وشيبانُ من ذُهلٍ وثعلبةُ اقتبسْ
عكابةُ صعبٌ من عليّ بن بَكْرِهم
ووايلُهُمْ من قاسطٍ كيفَ ما يُبَسْ [1]
وهِنْبٌ وأفْصَى بن دُعْمَى جديلةٌ
ومن أَسَدٍ ذا من ربيعَةَ قدْ رَأَسْ
نِزارُ مَعَدِ بن عدنانَ هاهنا
اتّصالُ إمامِ الزُّهْدِ بالذي يُقْتَبَسْ
مصابيحُ نورِ الحَقِّ من نورِ قولهِ
ولمّا بدَا ظُلَمُ الضلالِ بهِ انْحَبَسْ
إمامٌ قَفَى أَثَرَ النّبيّ محمّدٍ
نبيٌّ به دينُ الضلالِ قد انْدَرَسْ
عليهِ صلاةُ اللهِ ما لاحَ بارقٌ
وما حَيِيَتْ بالمُزْنِ قاحِلَةٌ يَبَسْ
وآلٍ وأصحابٍ كرامٍ أفاضلٍ
بهم طَهّرَ اللهُ الوُجودَ من النّجَسْ

١- في الحاشية بخط العسافي:
(نسخة: يسس)

العسال.. داعية رباني

د. جاسر عودة

الشيخ الدكتور أحمد العسال- رحمه الله- أحد النوادر الذين إذا ما سمعت بموتهم فعلى قدر ما يصيبك من الحزن على قدر ما تحس من السرور والبشرى! ولا نتألى على الله، فهو أعلم بعباده، ولكنني أحسب أن أستاذنا الدكتور العسال قد أفضى إلى رب كريم قد آنسه وبشره وأرضاه وقربه، ﴿يأيتها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية. فادخلي في عبادي. وادخلي جنتي﴾ (الفجر:٢٧-٣٠)... فهنيئًا له والعزاء لنا!

الشيخ العسال علمني معنى العالم الرباني، فعلًا لا قولًا، وسلوكًا لا ادعاءً، الشيخ كان من الأتقياء الأخفياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا، ولكنه- والله حسيبه- كان له من كل خير نصيب، وفي كل جهاد سهم، وعلى كل طالب علم فضل، وعلى كل رائد نصيحة، ولكل دعوة إلى الخير حماس وإضافة، لا يتصنع التواضع وإنما يحس فعلًا أنه دون ما يصنع لا فوق ما يصنع، فكان التواضع فيه سجية لا تحتاج إلى استحضار، وصفة لا تحتاج إلى تفكير، وبالتواضع رفعه الله- كما رفعه بالعلم- ذلك أن «من تواضع لله رفعه» (صححه الألباني) وأنه ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ (المجادلة:١١)، ومن يتواضع إلا العلماء الحقيقيون؟

الشيخ العسال- رحمه الله- كان مثالًا للإنسان المسلم الصحيح البدن، القوي الشكيمة، العف اللسان، السليم الصدر، الدمث الأخلاق، وكان مثالًا لرب الأسرة الصديق الرحيم الودود النصوح، وكان مثالًا للعالم الأزهري الذي لا يدعي على العالمين سلطانًا إلا النصيحة والتوجيه بالحسنى، ومثالًا لأبناء الأمة الذين حصلوا على أعلى الشهادات وأرقى المناصب.

واهتمام الشيخ- رحمه الله- بالقرآن تلاوةً وتفكرا واستيعابا ومرجعًا وملاذًا، هو اهتمام ليس بالبسيط في معناه ومغزاه، فقد أدرك بثاقب بصره وبصيرته رحمه الله أن هذا الكتاب هو عمدة الدين وثابت الشريعة ومدار العقيدة، وأن تنوع الآراء فيه مقبول، بل مطلوب ما دامت تدور في دائرته وتتمحور حول محكماته.

وليس لمثلي أن يكتب عن الشيخ الدكتور أحمد العسال، وإنما هي دمعة وفاء وتنهيدة فقدان من أحد التلاميذ- وما أكثرهم! عسى أن نلحق بك يا سيدي على خير وأن يجمعنا الله بكرمه وعفوه وجميل ستره وواسع فضله- في مستقر رحمته.

جدير بالذكر أن الدكتور العسال ابتعث إلى قطر للتدريس بعدها حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية من جامعة كامبردج في لندن، وعمل في تحقيق المخطوطات بالجامعة نفسها».

وانتقل العسال إلى المملكة العربية السعودية، حيث تولى رئاسة قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود في أوائل السبعينات وحتى منتصف الثمانينات، ثم رئيسا لقسم الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود، وبعد ذلك عمل استاذاً بالجامعة الإسلامية العالمية في إسلام أباد، فنائباً لها ثم رئيسا ثم مستشاراً».

وقفات مع شهر البركات

لكل غائب طالتْ غَيبتُه استقبالٌ يليقُ بجلاله، ولكل حبيب أوشكتْ رجعته اهتمامٌ يتناسب مع مكانته، ويتوافق مع منزلتهَ في نفس من يستقبل ذلك العزيز الحبيب الغائب، فإذا جفوت حبيبك الغائب جفاك وأخفى عنك هداياه وربما عاداك، وادخر أعطياته لغيرك ممن يحسن استقباله ويعدّ العدة للحفاوة به وإكرامه.

وإن أعظم مسافر أوشك أن ينزل ديارنا، ويحط رحاله في أوطاننا شهرُ رمضَانَ العظيم، سيد شهور السنة، الذي يأتي حاملًا معه النفحات الربانيةَ، والعطاءات الإلهيةَ، فتنبّه الغافل وتذكّر الناسيَ وتجدّد همة الذاكر، وتجمع شتات الناس، وتجمع من تفرق من أهل الحي الواحد خلف إمام يقرأ لهم آيات ربهم؛ فتذرف دموع الحسرة على التفريط، وتنسكب دموع الألم على ما مضى من العمر في معصية الله، ليتذكّرَ أهل الحي الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن ثوبان ﷺ عن النبي: «إن العبد ليلتمس مرضاة الله، ولا يزال كذلك فيقول الله عزوجل لجبريل: إن فلانًا عبدي يلتمس أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جبريل: رحمة الله على فلان، ويقولها حملة العرش، ويقولها من حولهم، حتى يقولها أهل السموات السبع، ثم تهبط له إلى الأرض»، ثم يسبح المصلون في أنحاء السموات وجنبات الأرض وبين الآيات الكونية العظيمة وهم واقفون، لا تبرح أقدامهم مكانهم، وذلك عندما يتلو إمامهم قول الله: ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب. الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلًا سبحانك فقنا عذاب النار﴾ (آل عمران: ٩٠-٩١)، وهكذا كلما مر إمامهم بآية قام في نفوسهم من الفُيوضات الربانية، والأحاسيس الإيمانية، ما يناسب تلك الآية الرحمانية.

فكيف نعدّ العدة لاستقبال هذا الحبيب الذي أوشك أن يصل من غيبته؟ وكيف نهتم باستقبال هذا الشهر الكريم شهر رمضان؟

إن الصادق منّا يجب عليه أولًا أن يوطّن نفسه وأهله على تلاوة القرآن في شهر رمضان، ومراجعة ما حفظه منه، ثم النية الأكيدة والعزم الصادق على الالتزام بصلاة التراويح بقدر الإمكان، وأن يتعلّم ثانيًا أحكام الصيام وآدابه إن كان جاهلًا بها، أو مراجعتها وتذكرها إن كان عالمًا بها، وملازمة حلق العلم التي تقام في شهر رمضان من أجل هذا الغرض، ثم عليه ثالثًا العزم على التوبة، فأبواب رحمة الله لا تزال مفتوحة، كما لابد من العزم على ترك العادات الرذيلة والخصال القبيحة، كالسباب والشتم والغيبة والنميمة وغير ذلك من الخصال السيئة الأخرى.

وإن في شهر رمضان لأعظم فرصة لترك كل قبيحة وعادة سيئة.

رَمضَان مدرسَة إصلَاح

عَلاء الدِّين حسَن

شهر رمضان مدرسة للأمَّة من أجل الإصلاح والتحول من الخلاف إلى الائتلاف، ولقد كان من الطبيعي أن يُفرَض الصوم على الأمَّة لتقرير منهج الله في الأرض، وتدريب المؤمن على خاصيَّة الصبر، والصبر أنواع ثلاثة: صبر على طاعة الله، وصبر عن المحارم، وصبر على أقدار الله، وهذه الأنواع الثلاثة تلتقي في رمضان. رمضان تربية وتقوى: ﴿يَأيُّها الَّذين آمَنوا كُتب عليكمُ الصِّيام كمَا كُتب عَلى الَّذين من قبلكم لعلَّكم تتَّقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

رمضَان- زمانًا وتأريخًا- عالَم مفعم بأعظم صور التجارب الارتقائية لمعرفة الله وتوحيده وعبادته.

رمضان زمن البطولات الإيمانية أينما كان موضع هذه البطولات، سواء في النفس أو خارج النفس، فرمضان سلسلة مترابطة من هذه اللحظات الكفاحية المشهودة.

رمضان تذكير بحق الفقراء، فالصائم يحس بشيء من الجوع الذي يدفعه إلى العطف على المساكين، وفي ذلك تزكية وسخاء، وترويض للنفس على ترك الشح والبخل: ﴿وَمَن يوقَ شحَّ نفسه فأولئكَ هُمُ المفلحُون﴾. (الحشر: ٩). و(التَّغابن: ١٦)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان في دارسة القرآن، فلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة» (١).

فمن خصائص رمضان: إخراج الصدقة والزكاة فيه، وربنا كريم يحب كل كريم.

والإنفاق من صفات المؤمنين، وفي رواية مسلم من حديث أبي مالك: «الصدقة برهان» (٢). برهان على صحة الإيمان، وبرهان على اليقين بثواب الله: ﴿مثَلُ الَّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثَل حبَّة أنبتت سبع سنابل في كلِّ سنبلة مئة حبَّة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾. (البقرة: ٢٦١).

وفي حديث رواه أحمد والنسائي وصححه الألباني:

باحث سوري

«مَن أنفق نفقة في سبيل الله، كتب الله له سبعمئة ضعف» (٣).

والصوم يعلِّم الأمَّة معنى النظام؛ فالجميع يفطرون في وقت واحد، لا يتقدم أحد على الآخر، ويمتنع الجميع عن الطعام والشراب في وقت واحد، وما هذا الالتزام في حقيقته إلا مظهر من مظاهر الوحدة والمساواة.

والصوم من أكبر الوسائل في تخفيف حدَّة النهَم، وهذا يدعو إلى الحفاظ على صحة الإنسان. عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما رأى آدمي وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه» (٤).

وكل أوقات رمضان مباركة، وبين ثنايا أوقاته، ليلة القدر التي تتلألأ بأنوارها الإلهية؛ فيشرق الوجود كله بالضياء الذي يعمر الأفئدة بعبق الإيمان: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر . تنزَّل الملائكة والرُّوح فيها بإذن ربِّهم من كل أمر. سلام هي حتَّى مطلع الفجر﴾. القدر: ٣ -٥).

إنها ليلة أوصلت الأرض بالسماء، فأثمرت كل معاني الرحمة والعطاء: ﴿إنَّا أنزلناه في ليلة مباركة إنَّا كنَّا منذرين . فيها يُفرَق كلُّ أمر حكيم . أمرًا من عندنا إنَّا كنَّا مرسلين . رحمةً من ربِّك إنَّه هو السَّميع العليم﴾. (الدُّخان: ٣ - ٦).

إنها ليلة من ليالي هذا الشهر الكريم: ﴿شهر رمضان الَّذي أُنزل فيه القرآن هدىً للنَّاس وبيِّنات من الهدى والفرقان﴾. (البقرة: ١٨٥). أُنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

إنها ليلة عظيمة القدر تعدل بحساب السنوات ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر.

وللصوم دور كبير في تنمية الشخصية؛ لأنه في مدلوله الروحي عمل يقوم به الإنسان تقرُّبًا إلى خالقه، وطاعة لأمره. جاء في الحديث القدسي: «الصوم لي وأنا أجزي به» (٥).

رمضان أحرف خمسة: الراء رجاء ورحمة. الميم مودَّة ومغفرة. الضاد ضياء وضمان. الألف أمن وأمان. النون نور ونعمة.

وبعد رمضان، يأتي العيد، والعيد فرع عن التصور الكامل للإنسان والحياة والكون.. العيد مرتبط بالأخلاق والمعاملة والسلوك، وفي العيد ثناء على الله بالتكبير، وإظهار للشكر لذاته عز وجل.. إنَّه يوم البراءة والنقاء وتنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتوطيد الروابط ماديًا ومعنويًا عبر الزيارات المتبادلة لنشر المحبة والصفاء، والمودة والإخاء، ونبذ التخاصم والبغضاء.

الهوامش

صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٦.
صحيح مسلم، كتاب الطهارة، حديث ٥٥٦ .
سنن النَّسائي، كتاب ٢٥، باب ٤٦، ومسند أحمد، ج٣، ص٣١.
سنن الترمذي، كتاب الزهد ،حديث ٢٥٥٤.
صحيح البخاري، كتاب ٣٠، باب ٢، صحيح مسلم، كتاب ١٣، حديث ١٦٤.

الصوم وأثره في تعزيز قيم الحريَّة

محمد علي الخطيب

الحريَّة إحدى مقومات الشخصية السوية التامة، وأساس أيِّ مجتمع إنساني كريم، وشرطٌ ضروري لكل إصلاح أو تطوير، ونعني بالحريَّة: «استقلال الإرادة الإنسانية وحريتها في اختيار أفعالها، في حدود العقل والشرع والمصلحة»، وهي بهذا المعنى غاية سامية يتعلق بها شرف المرء وكرامته وآدميته وسعادته في داري الدنيا والآخرة، حتى إنتاجه المادي والمعنوي، فهو مرتهن بها؛ لذا فإن تحقيق الحريَّة للناس كافة يعتبر من أعظم مقاصد الشريعة الإسلامية، وحقاً من حقوق الإنسان الأساسية يقترن بحقه في الحياة نفسها، إذ لا معنى للحياة ولا قيمة لها دون حرية، ومن هنا فقد حرص الإسلام على تحرير الإنسانية من نظام الرِّق المهين، وعمل لتحقيق هذا المقصد من خلال منهج تربوي وعملي متكامل، بالعتق والمكاتبة من وجه، ورفع قدْر الرّقيق واحترام إنسانيتهم وصوْن آدميتهم من وجه آخر، ثُمَّتَ أن الشريعة فتحت باب العتق وتحرير العبيد على مصراعيه، عن طريق الإلزام من خلال الكفارات المترتبة على بعض الذنوب، مثل: القتل الخطأ، والظهار، والحنث باليمين، كما شجع الإسلام على عتق الرِّقاب أيما تشجيع، بالتطوع المطلق، فعن أبي أمامة وغيره من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فَكَاكُهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ وَأَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فَكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهُمَا عُضْوًا مِنْهُ وَأَيُّمَا امْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَعْتَقَتِ امْرَأَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فَكَاكَهَا مِنَ النَّارِ يُجْزِئُ كُلُّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهَا». (رواه الترمذي وأبوداود وأحمد وغيرهم).

مدرس تربية اسلامية

والحريَّة لا تقتصر على التحرر من الرِّق لكنه المعنى المعهود لها عند العرب. فالحريَّة لها صورٌ وأشكالٌ، كذا ضوابط وأحكام، وتشمل حرية الاعتقاد وحرية الاقتصاد والحريَّة السياسية والحريَّة الاجتماعية... إلى آخره، وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة في تقرير هذه الحريات جميعها، لا مجال لإيرادها، كما جاء النهي عن الإكراه في الدِّين، وفي التبادلات المالية وسواها، صريحًا لا لبس فيه. وحاصلُ ذلكم أنه ما أوتي الإنسان نعمة بعد الحياة أشرف من الحريَّة ولا أكرم ولا أعظم، ولا غرو بعد ذلك إذا بذل الإنسان حياته لنيل حريته. وأكتفي بهذه الإشارات والشذرات، لأن الكلام فيها يطول، وليس هنا محل تفصيله، لكن غرضي فقط بيان الارتباط بين الصيام وتحقيق الحريَّة وأثره في استقلال الإرادة الإنسانية وتخلصها من أسر القيود التي تغل حركتها، وتعرقل سيرها.

والسؤال المطروح هنا:

ما أثر الصوم في تحقيق التحرر للإنسان بهذا المفهوم؟

أولاً: في الصوم تحقيق للعبودية التامة الصادقة الخالصة لله تعالى، إذ يترك طعامه وشرابه وشهوته، وهي ماثلة أمام ناظريه، حاضرة بين يديه، ونفسه متعلقة بها، يتركها من أجل الله، أليست هذه هي العبودية الخالصة للرب سبحانه وبالمقابل الحرية الحقَّة للعبد؟ أليس الصوم هو السر بين العبد والرب سبحانه، وهو خصوصية في عبادة الصوم، امتاز بها عن سائر العبادات؟

وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»، وحاصل الكلام أن الصوم فيه إتمام لحقيقة العبودية، وفي تمام العبودية لله تمام الحريَّة للإنسان (١)، ولا تناقض بينهما، أي بين عبودية الإنسان لربه وذله بين يديه وبين تكريمه إياه وتحريره لإرادته وقدراته، لأن مقام العبودية هو أرفع مكان يبلغه الإنسان، وفي تمام العبودية تمام الحريَّة له وتمام الكرامة، لأنه يتحرر بها من عبودية الأشخاص والأشياء والأهواء، فيصون كرامته، ويحقق إنسانيته، وبهذا التصور النقي الخالص، تطهرت عقيدة الإسلام مما تدنست به عقائد النصارى والبراهمة وسواهم من عبادة الأشخاص والأشياء وتقديس البشر والبقر والحجر، فتدبر

في الصوم إتمام لحقيقة العبودية لله وفي تمام العبودية تمام الحرية للإنسان

هذا، فإنه نظر دقيق، وبالله التوفيق.

ثانيًا: في الصوم يتحقق للإنسان التحرر النفسي والجسدي من أسر الضرورات، نعم، هو لا يستطيع الاستغناء عنها، ولا يمكنه العيش دونها غير أنه يقدر على الاستعلاء عليها. فالطعام والشراب وإن كان بهما قوام الحياة وحفظ البدن غير أن الصائم يمتنع عنهما بإرادته، لتتوافق مع إرادة الله الشرعية، وتحقيق مرضاته سبحانه. وبهذا التحرر والاستعلاء الذي يحققه الصائم فإنه يكون أقوى على التحرر من سيطرة الطغاة الذين يحاولون استغلال الناس واستعبادهم وإذلالهم وفتنتهم بالطعام والشراب والشهوات، إمَّا منعًا بالتجويع والتضييق والحصار وإمَّا إطلاقًا وإباحة وإفاضة للمال والجاه والمكاسب والمناصب. فالصائم حقيقة الصيام لا يخضعه ترغيب ولا ترهيب، ولا يعبأ بشهوات ومغريات، ولا يلين بمساومات ومفاوضات.

ثالثًا: أكثر ما يذل الإنسان، ويسلبه حريته أو ينتقص منها شهواتُه، وخاصة معدته التي كثيرًا ما تشقيه وتورده المهالك، وهو في الصوم يذر طعامه وشهوته، ويهجر ملذاته، وبذلك يتخلص من أسر الهوى، وتتحرر الإرادة والعقل من ضغوط الدوافع والحاجات النفسية والجسدية. وهذا معنى نفيس للحريَّة، لم تهتد إليه الحضارة المادية المعاصرة التي ترى الحرية انطلاقًا وراء الشهوات، وسائر الرغبات، وإنما هي الفوضى والطغيان والحياة البهيمية المحضة والعبوديةُ الذليلةُ. والحق الذي ليس بعده إلا الباطل أن تحرير الإرادة والعقل من أسر الأهواء هو جوهر الحريَّة الحقَّة ولبها، وإلا غدت شكلًا لا قيمة له، إذ يعيش الإنسان عبدًا للدنيا وأعراضها، يعكف على خدمتها ومراعاتها، مأسور القلب للمال والجاه والمنصب ونحوه، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ» (البخاري)، وهو الذي أشار الله تعالى إليه في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (الجاثية: ٢٣). يقول ابن تيمية رحمه الله في فتاواه وهو يشرح حقيقة الحرية: إن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فإن من استعبد بدنه واسترق لا يبالي إذا كان قلبه مستريحًا من ذلك مطمئنًا بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. وأما إذا كان القلب الذي هو الملك رقيقًا مستعبدًا متيمًا لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب. وعبودية القلب وأسره هي التي يترتب عليها الثواب والعقاب؛ فإن المسلم لو أسره كافر، أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك إذا كان قائمًا بما يقدر عليه من الواجبات، ومن استعبد بحق إذا أدى حق الله وحق مواليه، له أجران ولو أكره على التكلم بالكفر فتكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك، وأما من استعبد قلبه فصار عبدًا لغير الله فهذا يضره ذلك ولو كان في الظاهر ملك الناس. فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب كما أن الغنى غنى النفس، قال النبي ﷺ: «لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ» (متفق عليه)، وهذا لعمري إذا كان قد استعبدَ قلبَه صورةٌ مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة، فهذا هو العذاب الذي لا يدان فيه. انتهى كلام شيخ الإسلام.

رابعًا: والصوم أيضًا يحقق التحرر من أسر العادات السيئة الخاطئة، مثل: المسكرات والمخدرات والإدمان بجميع صوره وأشكاله، كذا العادات السيئة في النوم واستغلال الوقت، والأنماط الاستهلاكية، وكثير من العلاقات الاجتماعية السلبية... إلى آخره.

ومن المعروف أن تغيير العادات وفطامُ النفس عن المألوف شديدٌ عليها، قلَّما تنجح في تحقيقه لكن الصوم علاج حاسم ودواء ناجع لتغيير العادات المرذولة والمألوفات الفاسدة، والصوم هنا ينظر إليه على أنه منهج حياة ومدرسة تربي في النفس والجماعة معاني الصبر والمصابرة والمرابطة والمراقبة والإرادة والشجاعة والتحدي. وهذه القيم العليا هي التي تغير في الإنسان نفسه، وتجدد فيه قلبه خاصة، فيستردُّ القلبُ المأسورُ بالهوى سلطانَه على جسده وجوارحه، فيأمرها فتطيعه، وتخالف عوائدها وهواها؛ ليخرج المؤمن الصائم من رمضان عندئذ إنسانًا جديدًا وخلقًا آخر، وهذا إذا عشنا الصوم كما ينبغي، فالصوم ليس صوم البطن والفرج فحسب، بل صوم العين والأذن واللسان والقلب وسائر الأعضاء. ثم إذا كان الصائم يترك طعامه وشرابه، ألا يقدر على هجر عاداته السيئة، كالتدخين مثلًا، أو أن يمتلك نفسه عند الغضب، أو يتحكم بعاطفته؟. كيف وقد تعلم من مدرسة رمضان أن يقول إذا سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ: «إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ» (متفق عليه)!؟. ألا يترك ذلك أثره على شخصية الصائم بعد توديعه رمضانَ شهرَ الحريَّة الحقَّة، ومدرسةَ الأحرار الشرفاء؟!. نعم، يترك أثره -لا ريب- ويعظم من خلال تعهد ثمرات الصوم وتنميتها وإحياء معانيه وقيمه في النفس والمجتمع.

١- يقول أحمد بن خَضْرَوَيْه البلخي، كنيته أبوحامد، وهو من كبار المشايخ بخراسان ، ومن قرناء أبي يزيد البسطامي، توفى سنة ٢٤٠ هـ : « في الحريَّة تمامُ العُبُوديَّة، وفي تحقيق العُبُودِيَّة تمامُ الحريَّة».

على دروب الصوم نرتقي

د.خالد النجار

الناس في شهر رمضان دروبهم شتى ومسالكهم لا تعد ولا تحصى، فهم بين متعبد ومبتعد.. منهم الصوام القوام ومنهم النومان الكسلان.. منهم سهره في القيام ومنهم سهره مع القيان والخلان.. منهم النهم للقرآن ومنهم النهم للأكل والحلوان.. منهم الخلوق ومنهم الغضوب.. منهم من يظل على حاله من الإيمان ومنهم من يتغير بعد رمضان.

والعابدون في رمضان سادة الناس الذين أدركوا بنور بصيرتهم أن رمضان فرصة قد لا تعود إليهم، وربما لن يعيشوا ليدركوها ثانية، فاغتنموا كل لحظاته وساعاته وأيامه بالتقرب إلى الله توبة وعبادة، وعطفا على الفقراء، وصلة للأرحام، وزيارة للبيت الحرام، وغيرها من أنواع البر والإحسان، فرمضان شهر عطاءٍ وإقبالٍ وبذلٍ وأوبةٍ؛ إنه شهر القرآن والصدقات والصفاء والصدق، وقمينٌ بنا تعزيز هذه المظاهر الرمضانية الإيجابية في دواخلنا وفي مجتمعنا، فالله لا يغير ما بقوم- ولم يقل ما بشخص- حتى يغيروا ما بأنفسهم.

عندما تهب نفحات هذا الشهر الكريم فإنها تعلن عن ثورة على المألوف، وتحول وتغيير كامل في منظومة الحياة الكونية والتعبدية والاجتماعية والوظيفية.. نجد كل شيء قد تغيرَ من أجل رمضان.. فهذه أبواب الجنة قد فتحت، وغلّقت أبواب النار، وصفّد الأعداء الألداء من الشياطين ومردة الجن، وتنزل الملائكة الكرام بالرحمات، خاصة في سيدة الليالي «ليلةِ القدر»، ويشهد البشر موسم خيرات فريد، يبسط الرحمن فيه يده فيعطي ويجزل، ويضاعف فيه ثواب الأعمال، ويسطع فيه نجم الإيمان، وتقل فيه دواعي المعصية.. كل هذه التغييرات تحدث في سيد الشهور على غير عادة في غيره.

إن ثورة التغيير التي أحدثها هذا الضيفُ الكريم في عالمنا وحياتنا تكتسح ما بدواخلنا لإحداث نقلةٍ رُوحية وجسدية، فالقلوب فيه مقبلة على ربها، والهمم فيه سامية عن الشهوات، والنفوس متخلصة من أسْر المعاصي، والقوى الحيوانية في الإنسان خاضعة للقوى الروحية.

ولذلك ينبغي أن يكون هذا الشهر الفضيل شهر مراجعة وتفكير وتأمل ومحاسبة للنفس، وفرصة سانحة للوقوف مع الذات وتصحيح المسار، إذ حينما يمتنع الإنسان في هذا الشهر الكريم عن الطعام والشراب، وبقية الشهوات التي يلتصق بها يوميًا، فإنه يكون قد تخلص من تلك الانجذابات الأرضية، مما يعطيه فرصة للانتباه نحو ذاته العليا، وتأتي تلك الأجواء الروحية والإيمانية الرائعة، لتحسّن من فرص الاستفادة من هذه النفحة الربانية.

هناك علاقة قوية بين الصوم كتشريع والأخلاق كسلوك والعقيدة كأساس وقاعدة

ولذلك فقد كان السلفُ يسمُّون رمضان «المطهّر»، ويسألون الله تعالى قبل قدومه بزمن طويل أن يبلغهم الشهر الكريم.

معالجة النفس

هناك علاقة قوية لا تنفصم بين الصوم كتشريع والأخلاق كسلوك والعقيدة كأساس وقاعدة، أما عن العلاقة بين الصوم والأخلاق فيلخصها جابر رضي الله عنه بهذه التوجيهات الرائعة، حيث يقول: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك من المحارم، ولسانك من الكذب، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء».

وعلاقة الصوم بالعقيدة واضحة من خلال توجيه النداء بالصيام إلى «المؤمنين»، الذين يؤدون التكاليف لصحة وكمال اعتقادهم بالله العلي الحكيم؛ قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة: ١٨٣).

ففي رمضان تسلم القلوبُ من وَحَرها وحسدها وحقدها وغشها وخيانتها، وتسلم من الشحناء والبغضاء، ومن التهاجر والتقاطع، لتعود إلى فطرتها الحقيقية؛ قال ﷺ: «صومُ شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يُذهبن وَحَرَ الصدر» (صحيح الجامع: ٣٨٠٤)، وسلامة القلب سبيل النجاة في الدنيا والآخرة.

وبالصيام يسلم اللسانُ من قول الزور، واللغو، واللعن، والباطل، والكذب، ومن الغيبة والنميمة وغيرها؛ قال رسول الهدى ﷺ: «من لم يدَعْ قولَ الزور والعملَ به، فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه» (البخاري: ١٩٠٣)، وقال أيضا: «ليس الصيامُ من الأكل والشرب، إنما الصيامُ

طبيب مصري

من اللغو والرفث؛ فإن سابك أحد أو جهل عليك فقُل: إني صائم إني صائم» (صحيح الجامع: ٥٣٧٦) وهكذا بقية الجوارح، وبقية الأعمال، تدخل دورة تربوية لتصلح وتتغير نحو الأفضل لمن صدق مع خالقه، فيصدقه فيما يعمل.

إن غاية الصيام معالجةُ النفس وإصلاحها لتكتسب بعدها الإرادةَ الصارمة، والعزيمة الجادة على طريق الإصلاح، فالصوم تجربة فريدة في ترويض النفس لتتهذب بأجمل الآداب، وتقوية العزيمة لترتقي نحو الكمال، وتحرير الإرادة لتتخلص من أسر الشهوات.. إنها تجربة جديرة في ذاتها بالتقدير والاعتبار، لما لها من أثر بالغ في دعم شخصية المسلم، وصقلها، وتنقيتها من أدران الضعف والوهن والخمول.

رمضان مصدر يمدنا بطاقة إيمانية لسائر عامنا، والمحرومُ من حَرَمه كسله من التزود من تلكم الطاقة اللازمة لصناعة الأعمال الصالحة؛ المسعدة في الدنيا، والمنجية في الآخرة.. ما أجمل أن يكون شهر رمضان موسم استقطاب وتحسين وتغيير للأفضل وبثٍّ للروح الإيجابية في ناشئة العرب والمسلمين ورجالهم ونسائهم؛ حتى يعلم كلُّ واحد منهم أنه على ثغر في عملهِ القلبي والظاهر وفي سلوكه ولباسه وحديثه، وفي واجبه تجاه مجتمعه الصغير والكبير، وحينها سترتفعُ عن أمتنا الذلة

وتؤول المسكنة إلى أهلها، ونكون خير أمة أخرجت للناس.

إن الوصول إلى معالي الأمور لن يكون إلا على جسور الصبر والتعب، ورمضان محطة الصبر والجلد، جاء ليربي في المسلمين قوة الإرادة ورباطة الجأش، ويربي فيهم ملكة الصبر، ويعودهم على احتمال الشدائد، والجلد أمام العقبات ومصاعب الحياة.

قال ابن رجب: «والصبر ثلاثة أنواع: صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن محارم الله، وصبرٌ على أقدار الله المؤلمة، وتجتمع الثلاثة كلها في الصوم؛ فإن فيه صبرًا على طاعة الله، وصبرًا عمّا حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبرًا على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش، وضعف النفس والبدن».

إن رمضان شهر الخلوة والمخاض من أجل ولادة سنوية جديدة.. فرغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف من لم يجدد التوبة والأوبة والعودة إلى رحاب الإيمان، ورغم أنف من لم يكسر عاداته القبيحة، ويقوم بعملية برمجة جديدة لنظام حياته، خاصة أن الجو الإيماني في هذا الشهر مهيأ، والنفوس صافية، والرحمات غزيرة، والبركات وفيرة.

رمضان فرصة لتنظر في أملك في هذه الدنيا، وفي حياتك طولها وقصرها، وفي الدنيا وغرورها، وفتنتها، وفي الناس وآفاتهم.. فرمضان قد جاءك لتغيير ذلك كله، لتحي بروح جديدة.

إن رمضان شهر تربوي، حيوي، تفاعلي، تلاحمي.. رمضان هو شهر انتصار الإنسان، بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، انتصار على الشيطان، انتصار على الشهوات، انتصار على السيئات، انتصار نفخة الروح على طينة الأرض.. رمضان فرصة لتغيير شخصياتنا إلى الأفضل، لتحويلها إلى شخصية ودودة أكثر اجتماعية، وأكثر تدينا، وأكثر تلاحما وترابطا مع أفراد الأسرة بل والمجتمع والأمة بأسرها.. رمضان شهر الجود، وطيب النفس، ليس شهر الخمول والتكاسل وضيق الصدر والتضجر من كل شيء.

المراجع

- رمضان بوابة التحسين والتغيير، أحمد بن عبدالمحسن العسّاف.
- رمضان شهر المراجعات الذاتية، محمد إبراهيم زيدان.
- رمضانُ وفرصةُ التغيير، الشيخ حسين مسعود القحطاني.
- لطائف المعارف/ ٢٨٤.

شهر الخشوع والطمأنينة في قصائد الشعراء

في ضياء رمضان

محمد مروان مراد

تحدث الفقهاء عن حكمة الصوم، وأثره في التهذيب، ومغزاه الأخلاقي، وفي كتب الحديث نرى المحدثين قد أفردوا أبوابًا لفضله، والترغيب به، وأجر الصائمين، كما أشاد علماء الاجتماع المستنيرون بأثره في وحدة الأمة، وتعاضدها، وتكاتفها، غير أن للشعراء إحساسهم الخاص، وطريقتهم في استلهام معانيه وروحه، وقد حفل الشعر العربي قديمًا وحديثًا بالقصائد والمقطوعات التي تناولت شهر رمضان في كل جوانبه.

لما كان لهذا الشهر الفضيل حرمة لا يجوز انتهاكها، فقد استطاع بعض الشعراء أن يترجموا شعرًا معنى الحديث النبوي «رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» فهذا محمد بن علي السنوسي يقول:

رمضان ربَّ فم تمنَعَ
عن شراب أو طعامْ
ظن الصيام عن الغذاء
هو الحقيقة في الصيامْ
وهوى على الأعراض
ينهشها ويقطع كالحمام
ياليته إذ صام صام
عن النمائم والحرام.

ويؤكد هذا المعنى الشريف الرضي بقوله:

إذا ما المرء صام عن الدنايا
فكل شهوره شهر الصيام.

وينصح أبوبكر عطية الأندلسي الصائمين بقوله:

لا تجعلن رمضان شهر فكاهة
تلهيك فيه من القبيح فتونه
واعلم بأنك لا تنال قبوله
حتى تكون تصومه وتصونه

ويمضي الشاعر السوري محمود محمد كلزي متناولاً هذا المعنى في نسق شعري حديث:

وتطل في صوت المؤذن
في أذان الفجر والإمساكْ
لا الصوم عن لقم تجوب الحلق
أو ماء يبلل فاكْ
الصوم عن ذاك اللسان
وفي جهاد النفس في دنيا المذات الحرام.

وتتقارب العبارات والصيغ الشعرية التي تتناول هذه الحرمة الرمضانية، يقول الشاعر جمال علوش:

«صوم عن الشهوات ... لا عمًا يلذ من الطعام أو الشراب
صوم عن الدنيا وما فيها من الحسن الخراب
صوم عن الركض المريض وراء خادعة السراب.

هلال رمضان

ويستذكر الناس حرمة شهر رمضان بخشوع وطمأنينة منذ أن يأخذوا في ترقب هلال الشهر الفضيل، وأول من سنّ سنة الاحتفال برؤية الهلال، القاضي أبوعبدالرحمن عبدالله بن لهيعة قاضي الفسطاط، فقد خرج سنة ١٥٥ هـ، ومعه الناس، ودأب القضاة من بعده على الخروج

داعية إسلامي

في موكب رائع كل عام إلى جامع في سفح جبل المقطم، حيث أعدت دكة على مكان مرتفع بالقرب من ذلك الجامع يمكن منها مشاهدة الهلال.

والشعراء على اختلاف مشاربهم، وظرفهم، وتقواهم يحتفلون بالتعبير عن هلال رمضان، ومن أروع الشعر قول ابن حمديس الصقلي:

قلت والناس يرقبون هلالًا
يشبه الصبّ في نحافة جسمه
من يكن صائمًا فذا رمضان
خطّ بالنور للوري أول اسمه

أما الشاعر محمد هارون الحلو من الرياض فيملأ البشر عليه أركان وجوده عند رؤيته الهلال:

الله أكبر لاح وجه المشرق
بهلاله وجبينه المتألق
رمضان أقبل بالبشائر والهدى
وبسلسل من برّه المتدفق
ما شاء كل منهمُ أن يستقي

السحور

كان بلال بن رباح رضي الله عنه يسحّر الناس بصوته العذب الجميل، أما في العصر العباسي، فقد كان المسحّر يسحّر الناس بشعر شعبي كان يرتله يدعى «القوما».

يقول أبوطالب المأموني في طعام السحور:

عندي للأكل إذا
ما قمت للتسحرِ
ملتوتة بسمنها
وسمسم مقشر

ووظف الشاعر محمود كلزي المشهد وأعاد صياغته شعريًا معبرًا عن بهجة السحور:

ورؤى تموج في «الفوانيس» البهجة
في يد الأطفال تنشد في ابتهال:

يأيها الصائم
قم وحّد الدائم
ما فاز من أغفى
في عالمٍ نائم

ليلة القدر

أفاض الشعراء في امتداح ليلة القدر، وبيان أثرها ومكانتها وعّدوها ليلة استثنائية وفق ما أورده القرآن الكريم.

يقول الشاعر محمد عبده غانم:

ليلة لا تعد بين الليالي
فلتة الدهر في السنى والجلال
ليلة النور طهرّي عالم الأرض
بفيض من قدسك المنهالِ
نحن في عالم كثير الخطايا
مثقل الظهر بالذنوب الثقال

ويقول الشاعر سيف المرّي من الإمارات:

وحويت من أسنى العطايا ليلة
للقدر ظاهرة على الليلاتِ
قد فاق فضلًا ألف شهر خيرها
مخبوءة في أشرف الأوقات
فيها الملائكة الكرام تنزلت
بالأمن والتسليم والصلوات

الإمساكية الرَّمَضانية

التحرير

جرَتْ عادة كثير من البلاد العربية والإسلامية ومنها دولة الكويت المحروسة على طباعة مواقيت الصلوات في شهر رمضان المبارك، وتحديد وقت للإمساك عن المفطرات، وهو في العادة عشر دقائق تقديرًا، وذلك من باب الاحتياط، وقد وَزّعت مجلّة «الوعي الإسلامي» في الأعوام السابقة وهذا العام ما يسمى بالإمساكية، فظنّ بعض الناس أنّ الإمساكية لا أصل لها، وأنها مخالفة لظاهر القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، ومن باب مذاكرة العلم، وإزالة اللّبْس رأينا من الواجب أن نوضّح الأمر لمن التبس عليه، ونناقش هذه المسألة ونبيّن وجهة نظرنا.

ابتداءً؛ فإنّ الحرص على صيام المسلمين، والاهتمامَ بأمرهم، ومراعاة الخير لهم، واجبٌ على الجميع، ولكن لنا على المعترض ملاحظات، أهمها:

- أنّ اعتراضه سيق مَساق المتّفَق عليه، مع أنّ المسألة اجتهادية خلافية، والقاعدة: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد»، ومسألتُنا هذه دائرةٌ بين الجائز والمباح ليس إلاّ، ودليل ذلك ما رواه البخاري (١٩١٩) ومسلم (١٠٩٢)- رحمهما الله تعالى- عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما أنَّ بلالا كَانَ يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ؛ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ لا يُؤَذِّنُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ». قال النووي - رحمه الله- (شرح النووي على مسلم: ٢٠٢/٧): فيه جوازُ الأكل والشّرب والجماع وسائر الأشياء إلى طلوع الفجر. اهـ.

ولاحظْ أخي القارئ الكريم قول الإمام النوويّ: «فيه جواز..»؛ فليس الأمر سوى كونه جائزاً، بمعنى: يجوز لمُريد الصوم أن يؤخّر إمساكه إلى تبيُّن طلوع الفجر بالأذان الثاني، ويجوز له أن يتقدّم به إلى ما قبل الأذان الثاني؛ لا إيجابًا، ولكن حَذَرًا واحتياطًا.

- أنّ تحديد وقت للإمساك إنّما هو من باب إعانة الصائم على الاحتياط لدينه، خاصّةً مع تداخل الأوقات وقلّة ضبطها، ولهذا شاهدٌ في السّنة وفهم العلماء، فقد بوّب البخاري -رحمه الله- في جامعه الصحيح بقوله: «باب قَدْرِ كَمْ بَيْنَ السَّحُورِ وَصَلاةِ الْفَجْرِ»، وساق فيه حديث زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: «تَسَحَّرْنَا مَعَ النَّبِيِّ عليه السلام، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاةِ» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَ الأَذَانِ وَالسَّحُورِ؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً». قال ابن بطال- رحمه الله- في شرحه (٤٤/٤): قال المهلّب: هذا يدلّ على تأخير السّحور ليتقوّى به على الصوم، وإنما كان يؤخّره إلى الفجر الأول الذي هو البياض المعترض في الأفق، ولذلك جعل الله الفجر الأول حدًّا للأكل بقدر ما يُتمّ أكله ويطلع الفجر الثاني، ولولا هذا الفجر الأول لصعب ضبط هذا الوقت على الناس. اهـ.

وهذا فيه نوع تقدير وتقويم كما لا يخفى.

ومثله ما قاله الحافظ ابن حجر -رحمه الله- كما في (الفتح ٢ / ٣٥٨): «والمدّة التي بين الفراغ من السّحور والدّخول في الصّلاة قَدْرُ ثُلُث خُمُس ساعة، ولعلّها مقدارُ ما يتوضّأ»، وقد نَقَل عن القرطبي المالكي- رحمه الله- أنه قال: «فيه دلالة على أنّ الفراغ من السّحور كان قبل طلوع الفجر».

الاحتياط في العبادة

والاحتياط- كما هو معلومٌ- له أصلٌ نبويّ صحيحٌ، وهو ما ثبت في الصحيح من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الحلال بيّن والحرام بيّن وبينهما مشتبهات لا يعلمهنّ كثير من الناس فمن اتقى الشّبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه...»، وفي شرح هذا الحديث يقول ابن رجب- رحمه الله- (جامع العلوم والحكم: ٨ / ٢١): «..جعل مَن يرعى حول الحمى، أو قريبًا منه جديراً بأنْ يدخلَ الحمى ويرتع فيه، فكذلك من تعدّى الحلال، ووقع في الشبهات، فإنّه قد قارب الحرام غايةَ المقاربة، فما أخلقَه بأنْ يُخالطَ الحرام المحض ويقع فيه، وفي هذا إشارةٌ إلى أنّه ينبغي التباعد عن المحرّمات، وأنْ يجعل الإنسان بينه وبينها حاجزًا».

وربْطًا لمبدأ الاحتياط بمسألتنا؛ فإنّ العلماء يُوَجّهون قوله تعالى: ﴿حتى يتبيّن لكم...﴾ فيقولون: إنّ المعنى منه إذا قاربتم تبيُّن الخيط، فإنّ هذا هو الأشبه بوضع الشريعة وحرمة العبادة، وإذا جاء الليل فأكلتَ لم تخف مواقعة المحظور، وإذا دنا الصباح لم يحلّ لك الأكل، لأنه ربما أوقعك في المحظور غالبًا.

ثم إنّ معرفة دخول وقت الفجر لا يتحصّل لأيّ كان؛ في البيت أو العمل ونحوه، بل إنّ الغالب من الصائمين إنّما يتسحرون في بيوتهم، ممّا يجعل مراقبتهم للفجر معدومة؛

وبلادٌ أخرى ذات غيوم ثقيلة، وأخرى ذات ليل متواصل أو نهار متواصل، كل هذه الأحوال ممّا يجعل الحيطة لازمة والحذر للعبادة أكيدًا، ولا يكون ذلك إلا بالإمساك قبل الوقت للاحتياط.

ومع ذلك؛ فإنّ الفقهاء يقرّرون أنّ مَن أكل أو شرب بعدما أمسك قبل الأذان، فلا شيء عليه وصيامُه صحيحٌ؛ لأن العبرة بطلوع الفجر، وفي دليل الطالب (ص: ٧٨): «ولا يضرّ إن أتى بعد النيّة بمناف للصّوم»، أي: بعد نية الإمساك؛ ما لم يطلع الفجر.

المسألة خلافية

وعَوْداً على رأس المسألة حين ذكرنا أنّها خلافيةٌ؛ فإن ممّا يشهد لها من كلام أهل العلم ما قرّره المرداويّ- رحمه الله- حين قال (الإنصاف٣/ ٣٣١): «قطعَ جماعةٌ من الأصحاب بوجوب الإمساك في أصول الفقه وفروعه، وأنّه ممّا لا يتمّ الواجبُ إلاّ به». ومما يشهد للخلاف الواقع في المسألة كذلك ما جاء في (قواعد ابن اللحام: ١/ ١٣١): «هل يجب على الصائم إمساك جزء من الليل أم لا؟ في المسألة قولان؛ قال ابن الجوزي: أصحهما: لا يجب، وقطع جماعةٌ بوجوبه».

هذا، وقد ذكر ابن بدران الحنبلي- رحمه الله- (المدخل ١/ ١٥١) تفريعًا على القاعدة: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب؛ بعد أن ذكر قول مَن أوجب: «..وقيل: لا يجب، وإن لم يكن الذي لا يتم الواجب إلا به شرطًا، كمسح جزء من الرأس في غسل الوجه في الوضوء، وإمساك جزء من الليل مع النهار في الصوم؛ فمثل هذا لا يجب؛ خلافًا للأكثرين حيث قالوا بوجوبه، قلت: المختار الوجوب؛ لأنّ ما لابد منه في الواجب هو من لوازمه، والأمر بالملزوم أمرٌ باللازم» ا.هـ.

- الآية التي يستدل بها المعترض للتدليل على ما اختاره، وهي قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ من الخَيْطِ الأَسْوَدِ من الْفَجْرِ﴾، ليست عند العلماء بالتفسير والفقه على طريقة واحدة من الفهم والاستنباط، بل إنّ المالكية وجماعةً من الفقهاء غيرَهم ممّن رأى وجوبَ إمساك جزء من اللّيل؛ ذهبوا إلى ذلك بداعي الاحتياط؛ لا مخالفةً لظاهر الآية، بل حملوا الآية على المراقب للفجر، وهو قليلٌ في مجرى العادة؛ فأطلقوا القوْل بناءً على الغالب، وهو عدم المراقبة.

وهذا ما قرّره ابن الشّاط في تعقيبه على القرافيّ- رحمه الله- في فروقه (الفرق الرابع والمائة).

فتوى وزارة الأوقاف

هذا وقد ساق المعترض- تقويةً لجانبه- فتوى لوزارة الأوقاف الكويتية، وهي جوابُها لسائل سأل: أيكون الإمساك عند بداية الأذان، أم عند قول المؤذّن: الصلاة خير من النوم؟ فأجابت اللجنة مشكورة بأن الإمساك يكون عند بداية الأذان.

وهذه الفتوى ليست في محلّ النزاع الذي تدور عليه مسألتنا، ولكنها في فتوى سائل عن الإمساك، أهو عند بداية الأذان، أو عند التثويب! وكما لا يخفى على طالب العلم: لو كان السؤال: أيجوز أنْ أمسك قبل الأذان بعشر دقائق أو بساعة، لكانت الفتيا: نعم يجوز، بغضّ النظر عن الأفضل والأكمل. وكان يمكن للفتوى أن تعْضد خيار المعترض لو كانت بهذه الصيغة: «لابد أن تمسك عند بداية الأذان، لا قبله ولا بعده»، وليست صيغتها كذلك، فلا فائدة من إيرادها.

ومن المعلوم أنّ لوزارة الأوقاف فتوى أخرى وهي في محلّ النزاع برقم (٥٩/ ٩٧ف)، ذكر فيها السّائل أنّ رجلاً قال: إنّ الإمساكية بدعةٌ وغير صحيحة؛ فكان جواب اللجنة: «إعلان الإمساك في آخر الليل مستحسَنٌ لما فيه من الاحتياط لصحّة العبادة، وما رآه المسلمون حَسَنًا فهو عند الله حسنٌ، وهو غير ملزم، بل يباح الأكل والشّرب بعده إلى طلوع الفجر للآية الكريمة: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ من الخَيْطِ الأَسْوَدِ من الْفَجْرِ﴾.

الإمساكية إجراء متبعٌ معروف عند العلماء المعاصرين ولا يرون به بأسًا

ومن باب زيادة الخير والفائدة؛ يقول الشيخ ابن باز - رحمه الله- (مجموع فتاوى ابن باز ١٥ / ٢٨٤): «والأحوط للمؤمن والمؤمنة الحرص على إنهاء السحور قبل الفجر؛ عملا بقوله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»، وقوله ﷺ: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه».

والإمساكية إجراء متبعٌ معروف عند العلماء المعاصرين، لا يرون به بأسًا، بل قد جرت على الانتظام به شعوبٌ مسلمةٌ بأسرها، فلا معنى للاعتراض عليها.

ونختم هذا التوضيح بالتذكير بأنّ تقاويم دولة الكويت قام على إعدادها نخبةٌ من علماء الشّرع والفلك، وعلى رأسهم الفلكيّ الدكتور صالح العجيري- حفظه الله-، وكذلك تقويم أم القرى الذي مضى على اعتماده عشرات السنوات، والذي حاز ثقة العلماء وتزكيتهم، وليست هي إلاّ من باب التنظيم وتسهيل العبادة على الناس، والله أعلم.

دور الصوم في التربية النفسية

د.محمد السيد المليجي

لم تظفر بعد ميادين علم النفس المختلفة بمثل ما ظفرت به الشريعة الإسلامية من آداب أخلاقية تهذب النفس وتنقي سرائرها وتكسوها الكمال والجمال الأخلاقي.. لم توجد وسيلة تربوية تهذيبية تقوم على النفس وتكسر شوكتها وتحجم من رعونتها أفضل من الصوم، وقد دلت آيات القرآن الكريم على الغاية التهذيبية للصوم حين قال: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ (البقرة: ١٨٣).

فالصوم- كما عرفه ابن كثير في تفسيره- هو «الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع بنية خالصة لله عز وجل، لما فيه من زكاة النفوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة... ولأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان» (١).

فإذا لم تتحقق التقوى عند الصائم فلا رجاء فيه ولا في صيامه وقد أكد رسول الله ﷺ مراد القرآن من الصوم حين قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (٢).

فليس الغرض من الصوم تفريغ المعدة من الطعام والشراب، وإنما الغرض اكساب النفس القناعة والارتقاء بسجاياها وطباعها إلى منزلة أخلاقية سامية تترفع فيها عن دنس المعاصي ورجس الشهوات، ومن ثم فالصوم «فرض لغاية سامية وحكمة مقدسة، هي تربية النفوس والسمو بها إلى آفاق عليا من التطهير والصفاء، فلا تتحكم فيها نزعات الإثم ووساوس الشر، وشهوات الجسد، وإنما تكون دائمًا نقية تقية تخشى الله وترجوا رحمته وتهاب حسابه» (٣).

منهج الإسلام في تهذيب النفس بالصوم

علم الله سبحانه أن الصوم مشقة للعبد وجهاد لنفسه، فرغبه فيه وحببه إليه عندما غيب عنه جزاءه وجعله سرًا بينه وبين عبده حتى يخلص المؤمن في صومه ليحظى بطيب العيش والنعيم المقيم في الآخرة، وقد بين ذلك رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه أبوهريرة رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه» (٤)

وفي حديث آخر يقول رسول الله ﷺ «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه» (٥).

فقد أشارت الأحاديث النبوية الشريفة إلى الجزاء الوفير الذي أعده الله تعالى للصائم يوم القيامة، وما ذلك الا لأن الصيام ينفرد دون سائر العبادات بخصائص كثيرة، أهمها: أنه سر بين العبد وربه، وأنه عبادة شاقة فهو لون من الجهاد أو هو الجهاد الأكبر، كما ورد في بعض الأحاديث النبوية فكان في حاجة إلى أن يجيء أن الحديث عنه على هذا النحو من الترغيب والتحبيب لتقبل عليه النفوس راسخة الإيمان، قوية اليقين، لا ترى فيه عبئًا ثقيلًا تنوء به ولكن تراه نعمة وخيرًا للمؤمنين وأنه فريضة خالدة في كل دين،

باحث أكاديمي

يصل القلوب بالله ويحملها على استشعار خشيته ومراقبته وتقواه» (٦)

ومن جزاء الصوم أيضا ما روي عن مالك بن دينار- رحمه الله- حين قال «قرأت في بعض الكتب: يا معشر الصديقين تنعموا بذكري، فإن ذكري لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء».

وقال في حديث آخر: آثرتموني على شهواتكم، ورضيتم بي بدلاً من خلقي، فبي فافرحوا، وبذكري فتنعموا، فوعزتي ما خلقت الجنان إلا من أجلكم» (٧).

وإذا كان موفور الجزاء من الله موقوف على جهاد النفس وحجبها عن المأكل والمشرب وغيرها من الطيبات التي أحلها الله للناس، فليس هذا مسوغًا لتعذيب وتحميلها فوق ما لا تطيقه، كما جاء عن غلاة الصوفية في ذلك، وإنما الغرض من ذلك تهذيبها وتأديبها حتى لا تجنح إلى الإسراف، وهذا ما سنوضحه في النقطة التالية.

الاقتصاد في الصوم

سبقت الإشارة إلى الغرض من الصوم وهو ترويض النفس وتربيتها على الأخلاق الكريمة والإرادة القوية والهمة العالية من خلال الامتناع عن الطعام والشراب وكل ما تميل إليه النفس من الطيبات.

ولكن يجب أن يدرك المسلم أن الدين يسر وأن الله لا يكلف النفس إلا بما تطيقه حتى تأخذ الثواب على هذه الاستطاعة، قال تعالى: ﴿**لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت**﴾ البقرة:) (٢٨٦).

وقال أيضًا ﴿**يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر**﴾ (البقرة:) (١٨٥).

وقال في الصوم نفسه ﴿**فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرًا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ (البقرة:) (١٨٤).

وفي ذلك يقول ابن كثير «أي أن المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما، بل يفطران ويقضيان بعد ذلك من أيام أخر.

وأما الصحيح المقيم الذي لا يطيق فكان مخيرًا بين الصيام وبين الطعام، إن شاء صام، وإن شاء أفطر وأطعم كل يوم مسكينًا، فإن أطعم أكثر من مسكين عن كل يوم فهو خير، وإن صام فهو أفضل من الطعام» (٨).

كذلك أكدت السنة المطهرة الاقتصاد في الصوم وحمل النفس على ما تطيق فعندما جاء نفر من المؤمنين يستشفعون بالسيدة عائشة رضي الله عنها ليأذن لهم رسول الله ﷺ في وصال الصوم، قالت: «نهى

ينفرد الصوم بخصائص كثيرة أهمها أنه عبادة شاقة ولون من الجهاد

رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل، فقال: إني لست كهيئتكم، اني يطعمني ربي ويسقين» (٩).

وفي موضع آخر قال ﷺ: «إياكم والوصال مرتين، قيل إنك تواصل، قال إني أبيت يطعمني ربي ويسقين، فأتوا من العمل ما تطيقون» (١٠).

فهؤلاء الذين يشقون على أنفسهم ويريدون الوصال في الصوم كان غرضهم جهاد النفس وإرهاقها حتى تسكن إلى الله وتقر بنعمه عليها وتنقطع عن طيبات النعم ورغدة العيش، لكنهم تحققوا من صاحب الرسالة أن الدين لا يعرف الإسراف وأن الله لا يكلف النفس بما لا تطيقه، وأنه سبحانه لم يحرم على النفس أن تهنأ بطيب العيش ما دامت قائمة على حدود الله تعالى.

قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾ (المائدة:) (٨٧).

وقال أيضا: ﴿**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي الذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة...**﴾ (الأعراف:) (٣٢).

وعلى ذلك يكون الإسراف في الحلال غير مقبول عند الله ورسوله، بل مأخوذ عليه في التشديد والإسراف، وهذا مغاير لمنهج الله في خلقه.

ومما جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الشأن أنه سئل ذات يوم عن شاب عقد مع الله تعالى عهدًا على أن يصوم يومًا ويفطر يومًا طوال الدهر، وقد فعل ذلك سنة وهو متأهل، كما أنه ذو مرض ويحتاج إلى نفسه في حفظ صحته، فلما أحس بقدرته على دوام الصوم زاد من همته في حفظ القرآن الكريم، ثم زاد بقيام الليل وطول التهجد، فأثر مجموع ذلك خللاً في ذهنه، من ذهول وصداع يلحقه في رأسه، وبلادة في فهمه، فأصبح لا يحيط بمعنى الكلام إذا سمعه، كما ظهر أثر ذلك في عينيه حتى كادتا أن تغورا، فهل صوم هذا الشاب يوافق رضا الله؟

أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله «الحمد لله، جواب هذه المسألة مبني على أصلين:

أحدهما: موجب الشرع.

والثاني: مقتضى العهد والنذر.

أما الأول: فإن المشروع المأمور به الذي يحبه الله ورسوله ﷺ هو الاقتصاد في

العبادة، كما قال النبي ﷺ «عليكم هديًا قاصدًا.. عليكم هديًا قاصدًا» (١١).

وقال: «إن هذا الدين متين، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فاستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا» (١٢).

وقال أبي بن كعب «اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة» فمتى كانت العبادة توجب له ضررًا بمنعه عن فعل واجب انفع له منها كانت محرمة، مثل أن يصوم صومًا يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنعه عن العقل أو الفهم الواجب أو يمنعه عن الجهاد الواجب، وكذلك اذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها، مثل أن يخرج ماله كله ثم يستشرف الى أموال الناس ويسألهم.

وأما إن أضعفته عما أصلح منها، وأوقعته في مكروهات، فإنها مكروهة، وقد أنزل الله تعالي في ذلك قوله: ﴿ص يحب المعتدين﴾ (المائدة: ٨٧).

أما الأصل الثاني وهو العهد الذي عقده هذا الشاب مع الله تعالى، فيقول عنه ابن تيمية «فالأصل فيه ما جاء في الصحيحين عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» (١٣).

فإذا كان النذر الذي عاهد الله عليه يتضمن ضررًا غير مباح يفضي إلى ترك واجب، أو فعل محرم، فهذا معصية لا يجب الوفاء به، بل لو نذر عبادة مكروهة مثل قيام الليل كله وصيام النهار كله، لم يجب الوفاء بهذا النذر».

ثم يوجز شيخ الإسلام وجهة نظره في هذه القضية بقوله: «الأمر المشروع المسنون جميعه مبناه على العدل والاقتصاد والتوسط الذي هو خير الأمور وأعلاها، كالفردوس فإنه أعلى الجنه وأوسط الجنة فمن كان كذلك فمصيره إليه إن شاء الله» (١٤).

وجماع الأمر عندنا في هذه القضية أن الوسطية التي ميزت أمة محمد ﷺ عن سائر الأمم هي الأساس الذي أقيمت عليه مبادئ الإسلام وشريعته السمحاء ومنهجه القويم، والخروج عن هذه الوسطية يعد دليلاً على الخروج عن معالم الشخصية السوية التي تنسجم بفطرتها مع الوسطية الإسلامية.

الهوامش

١- تفسير ابن كثير: ٢١٣/١ مكتبة الدعوة الإسلامية- القاهرة- طبعة- ١٤٠٠هـ /١٩٨٠م.

٢- أخرجه البخاري في صحيحه: ٣٣/٣ كتاب الصوم عن أبي هريرة رضي الله عنه- طبعة دار الشعب- القاهرة.

٣- د.محمد الدسوقي: الصيام في القرآن، ص ٢٤ دار المعارف- مصر بدون تاريخ.

٤-البخاري- كتاب الصوم- باب هل يقول إني صائم إذا شتم- ٣٤/٣.

٥- البخاري- كتاب الصوم- باب «من صام رمضانا إيمانًا واحتسابًا- ٣٣/٣ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٦- الصيام في القرآن: ص ٣٢ مرجع سابق.

٧- الحكيم الترمذي: أسرار مجاهدة النفس، ص ٦٠ تحقيق إبراهيم محمد الجمل- مطبعة التقدم- القاهرة.

٨- انظر تفسير ابن كثير: ٢١٤/١.

٩- البخاري- باب الوصال ومن قال ليس في الليل صيام - ٤٨/٣.

١٠- البخاري- نفس الباب- ٤٩/٣.

١١- أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ٣٥٠/٥، ٣٦١ -٤٢٢/٦.

١٢-أخرجه البخاري في صحيحه- الباب الثامن عشر من كتاب الرقائق.

١٣- أخرجه البخاري في صحيحه- كتاب الأيمان - ٢٨، ٣١.

١٤- انظر: ابن تيمية: احكام الصيام، ص ٨٣، ٨٤، ٩٩٤ بتصرف- مجموعة رسائل لشيخ الإسلام- تحقيق: محمد عبدالقادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤٠٦ هـ -١٩٨٦م.

من مفهوم العبادة في الإسلام

محمد مصطفى ناصيف

العبادة تعني الطاعة، وهي أمر إلهي أوجبه الله على عباده ليعبدوه كما أمر وكما أوضحته السنة المشرفة بقول وفعل قدوة الإنسانية ومعلمها الخير ﷺ تهذيبًا للإنسان من الناحيتين الروحية والمادية، وتنظيم شؤون الفرد وترتيب شؤون الجماعة، وفيها رعاية أحوال الدنيا، وبها صلاح حال الدين كما أنها غذاء للإيمان وعلامة الصدق فيه وهي متجددة متكررة حتى يظل المسلم في دائرة الطهر والنقاء، مجذوبًا بهذه العبادة إلى رحبات الله كلما دفعته ماديات الحياة إلى البعد عن هذه الرحبات الإيمانية.

العبادات في الإسلام تنحصر في أركانه، حيث يمكن أن نستوضح الهدف من فرضها، ونستلهم المزايا منها، فبعض الأحكام لا يتفق الناس على فهم أسبابها، وإن غموض بعض العلل مثل اختلاف عدد الركعات من صلاة إلى أخرى، ومثل النصاب في بعض ما تجب الزكاة فيه وغيرها فلسفة لها مغزاها المهم، فإذا ظهرت لنا العلة واضحة في الصلاة والزكاة مثلاً فليس هناك داع أن نتتبّع كل الجزئيات بالتعليل والبحث عن الأسباب (ولو أمعن هؤلاء جيدًا وألهموا الشفافية الروحانية الإيمانية الصادقة لأحسوا بها وتذوقوا كنهها).

وعلى العباد أن يطيعوا ربهم كما أراد، فهموا مغزى العبادة أم لم يفهموها، ولو ناقش خادم سيده في كل أوامره وأبى أن يستجيب إلاّ لما يفهم سببه من هذه الأوامر وكذلك الجندي أمر قائده، أو المرضى نصائح طبيبهم.. لما طالت الصلة بينهما، ولأسرعت العلاقة بينهما إلى الانفصام.

ثم إن هناك فرقًا ملحوظًا بين أن تتوضأ قاصدًا النظافة، وأن تصلي قاصدًا رياضة البدن، وبين أن تتوضأ وتصلي قاصدًا الطاعة والامتثال إرضاء لله تعالى، ولاشك أن حالة الطاعة المطلقة تكون العبادة فيها أمثل وأصدق تعبيرًا عن المقصود (وأعيدك إلى مفهوم الإسلام الذي هو الانقياد والاستسلام لأمر الله ورسوله)، فمن قصد بالوضوء النظافة فقط فهجرته إلى غير الله، ومن قصد الرياضة بالصلاة فهجرته إلى غير الله، ومن قصد بالصوم العلاج الصحي فقط فهجرته إلى غير الله، وهكذا من يفعل العبادات لغير الله فهجرته إلى ذلك الغير.

وكذلك إذا كان الهدف من الصوم مثلاً أن يحس الصائم بجوع الفقير، أو أن يتعود الجوع استعدادًا لما ينزل به من مشقات طارئة، فلماذا لا يعفي المريض نفسه من الصوم؟ ولماذا لا يعفى من الزكاة كريم اليد السخي بالعطاء؟ وقس على مثل هذا في باقي العبادات.

وللإجابة على هذا نوضح أن الفلسفات التي سبق أن أوردناها.. إنما هي ألوان من الاجتهاد الإنساني على مر العصور للبحث عن أسباب هذه العبادات وليس بعيدًا أن تكون هناك أسباب لمّا نعرفها بعد، أو تكون عقولنا قاصرة عن إدراك أسباب حقيقية ستظل مطوية أو مغيّبة عنّا.

والكثيرون يقصرون العبادة على أركان الإسلام الخمسة المعروفة، جهلاً وعدم تفقه ومعرفة بأمور الدين، كما يقصرها الآخرون في بعض الأديان على الصلاة مثلاً، والحقيقة أن العبادة في الإسلام شاملة جامعة لكل أمور الدين والدنيا، فهي تشمل كل نشاط يقوم به الإنسان.. تعلّق هذا النشاط بربه أو نفسه أو أسرته أو مجتمعه أو أمته، وتلك هي الدائرة الواسعة التي تحتويها حياة المسلم، وما حديث: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» إلا أحد الأدلة على شمولية العبادة لكامل حياة المسلم، وهنا لابد من ذكر بعض أنواع العبادات والطاعات في الإسلام.

أدعك مثلاً تطوف العالم الإسلامي في رمضان لترى صومًا هنا وصومًا هناك، وصلاة الجمعة أو الجماعة هنا، وصلاة الجمعة أو الجماعة هناك.. لأدركت سمو الهدف الذي قصد إليه الإسلام ارتقاءً وسموًا لجماعة المسلمين.

فالعبادات شعائر توقيفية، تؤخذ بأصولها وأشكالها.. فالله تعالى أعلم بما يحدد في هذه العلاقة وينظمها، فشرع الله عز وجل العبادات لتنظيم هذه العلاقة وفق ما شرع بالصورة التي وضعها الخالق جل وعلا، والله سبحانه وتعالى المشرِّع ونحن مكلفون بالاتباع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران:٣١).

وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» (رواه مسلم).

ولا مجال في العبادات لطرح الآراء والاجتهادات وفقًا للشكوك والاختلاف، فيضعف التحقيق والالتزام.. والاستسلام لأمر الله ورسوله هو ما يميز المسلم عن سواه، وتظل أسرار العبادات وأوصافها كما ارتضاها الله ورسوله فنحن أمة متبعة لأمر الله ورسوله، ولسنا أمة ابتداع، وتبقى آثارها مشعة في قلب من تذوقها (ومن ذاق عرف).

عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية

«المنهج السياقي» ودوره في «فهم النص» و«تحديد دلالات الألفاظ»..نماذج تطبيقية من القرآن الكريم (٢/٢)

د. مسعود صحراوي

نريد في هذه العجالة تقديم بعض النماذج من الآيات القرآنية مطبقين عليها أداة «السياق اللغوي» كما عرّفنا به باقتضاب في الحلقة الأولى في صورته الصغرى خصوصا لكثرة حديث العلماء فيه، على الرغم من أنهم تحدثوا أيضا في «السياق الأكبر العام»؛ فقد قال الزركشي: «وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض، بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة»(١)، وعلى الرغم من ذلك فإننا نرى أن تناسب الآيات وتعلقها ببعضها البعض، وهو ما سميناه «السياق الأصغر»، أعظم شأنا من سياق تناسب السور، وذلك بسبب القرائن القوية المؤيّدة له.

ومن الأمثلة التي اهتدينا فيها إلى ذلك، وقد تحدث عن بعضها بعض العلماء، ونعتقد أنها توضّح ما قلناه بصورة جلية، الكلمات الآتية «المحصَنات، الكتاب، مسّ، الأمي، الروح».

■ كلمة «المحصنات» التي وردت في عدة سياقات قرآنية دالة في كل سياق على معنى مختلف عن الآخر، ومن ذلك:

– أنها وردت بمعنى: «المتزوّجات» كما في قوله تعالى ﴿والمحصناتُ من النساء إلا ما ملكت أيمانكم...﴾ (النساء: ٢٤).

– ووردت بمعنى «الحرائر» كما في الآية ﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾ (النساء: ٢٥)، والقرينة الدالة على المدلول الذي ذكرناه هي مقابلة «المحصنات» بـ «ما ملكت أيمانكم».

■ كلمة «كتاب» فقد وردت في مواضع قرآنية كثيرة، وكان لها معان ودلالات مختلفة ترتبط كلها بالسياق الذي وردت فيه؛ إذ ملاحظة ما قبلها وما بعدها من الكلمات والآيات كفيلة بتوجيه المفسر والباحث نحو المقصود، ونذكر هنا أشهر تلك المعاني وأكثرها ورودا في الكتاب العزيز:

– فقد وردت بمعنى: «القرآن» ونجد ذلك في مثل قوله تعالى ﴿كتابٌ أُحكمت آياته ثم فُصّلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود: ١)، وكقوله سبحانه: ﴿ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه هدى للمتقين﴾ (البقرة: ٢)، وكقوله سبحانه: ﴿وقد نُزّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره...﴾ (النساء: ١٤٠)، ومنها قول الحق سبحانه: ﴿إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى﴾ (الأحقاف: ٣٠)، والقرينة هي قوله قبلها: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن﴾ (الأحقاف: ٢٩).

– فملاحظة السياقات الصغرى لهذه الكلمة (كتاب) في الآيات السابقة والمواضع التي وردت فيها وملاحظة ما قبلها وما بعدها تحدد بدقة معناها المراد، ألا وهو «القرآن» لا غيره.

– ووردت كلمة «كتاب» في النص القرآني بمعنى: «التوراة والإنجيل» مجتمعين أو منفردين، فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تَغلوا في دينكم﴾ (النساء: ١٧١)، ويراد بها هنا الإنجيل بقرينة قوله ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله...﴾ فهذه قرينة قوية في تخصيص هذا المعنى وتحديده بما قلناه، وكلما اقترنت كلمة «كتاب» بـ «أهل» كان معناها قطعا اليهود والنصارى مجتمعين أو متفرقين حسب السياق، ومن الآيات التي تُصرف فيها الدلالة قطعا إلى «التوراة» قوله تعالى: ﴿ومن قَبله كتابُ موسى إماما ورحمة﴾ (الأحقاف: ١٢)، إذ المعروف أن كتاب موسى هو «التوراة» لا غيرها.

– ووردت كلمة «كتاب» بمعنى: «الكتاب الإلهي الذي أُثبتَ فيه علم الله الشامل لعالَمَيْ الغيب والشهادة» وهذا معنى مقصود بهذه الكلمة في عدد من آيات الذكر الحكيم، منها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام: ٣٨) إذ المراد هنا المعنى الذي أشرنا إليه آنفا وهذا ما يدل عليه سياقها، على عكس ما فهمه كثير من المفسرين قديما وبعض فضلاء عصرنا حديثا(٢) فهم يصرفونها إلى معنى «القرآن»، وليس في السياقين الأصغر والأكبر ما يشير إلى هذا المعنى البتة، وفي هذا من القرائن القوية الشيء الكثير؛ أهمها سياق الآية الأصغر نفسه أي ما جاء قبلها وبعدها مباشرة في الآية: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾ (الأنعام: ٣٨) فالقرائن

أستاذ التعليم العالي المساعد بجامعة الأغواط - الجزائر

الهادية إلى المعنى الذي قلناه كثيرة منها أن السياق قد مهّد لهذا المعنى (أي الكتاب الكوني الشامل المحيط بكل شيء) بالحديث عن ظواهر ومخلوقات كونية: الدابة في الأرض، الطائر يطير بجناحيه، ونصّ على كونها «أمما»، وذكر «أمميتها» يتطلب الإحاطة بأنماط حياتها وأكلها وشربها وأنواعها وأصنافها وتكاثرها وتاريخها ومآلاتها الوجودية... إلى غير ذلك من خصائصها ومصائرها التي ذكرتها آيات أخرى في السياق القرآني الأكبر... ثم عرّفنا السياق أن ذلك كله مسطور في الكتاب الذي لا يفرط في شيء!! والسؤال الذي يطرح هنا: أي كتاب هو هذا الذي أحصيت فيه الكائنات كلها بأنواعها وأنماطها من أصغر ذرة في الوجود إلى أكبر جرم فلكي فيه؟! أُذكِر ذلك في القرآن كما يتمحّل كثيرون فيحمّلون القرآن والإسلام ما ليس فيه! إنهم يُحرجون أنفسهم أمام المغرضين والمكابرين فيسألونهم عن تفاصيل علوم الذرة في القرآن وعن تفاصيل علوم الحاسوب، وعن تفاصيل علم الكيمياء وعن وعن... وإذا سألوهم ذلك فهم لا يجيبون بالطبع، وإذا أجابوا تمحلوا أيضا فقالوا: إن القرآن أرشدَ إلى أصولها العامة ولم ينصّ على جزئياتها صراحة... الخ، نحن نعتقد أن ذلك اجتهاد خاطئ أدى إليه التغافل عن السياق وقرائنه التي ترشد إلى غامضه فتوضحه، ونحن نرى- والله أعلم- أن هذا الكتاب الذي لا يفرط في شيء هو «الكتاب الإلهي الذي أُثبتَ فيه علم الله الشامل لعالَمَيْ الغيب والشهادة»، كما قلنا، ومن القرائن التي تؤيد هذا المعنى في السياق الأكبر أنه قد ذكر هذا الكتاب الشامل المحيط في مواضع أخرى من القرآن، منها قول الحق تبارك وتعالى في نفس السورة: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا

يابس إلا في كتاب مبين﴾ (الأنعام: ٥٩)، ومنها قول الحق تبارك وتعالى في سورة هود: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ (هود: ٦)، ومنها قول الحق تبارك وتعالى في سورة أخرى في حوار موسى وفرعون: ﴿قال فما بال القرون الأولى. قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ (طه: ٥١- ٥٢)، وهذا الكتاب ينطوي على العلم الإلهي الذي قال فيه: ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا﴾ (الجن: ٣٨)، فكل شيء محصى إحصاء عدديا حسابيا رياضيا في ذلك الكتاب، وقال فيه: ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ (النمل: ٧٥) وهذا الكتاب الشامل المحيط هو الإمام الذي قال فيه: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ (يس: ١٢)، فـ «الإمام المبين» هو نفسه «الكتاب المبين» وهو نفسه «الكتاب الذي لم يفرط في شيء» المذكور في آية الأنعام.

■ كلمة «أمّيّ» التي يبدو أنها وردت بمعنيين في القرآن كله ليس لهما ثالث! وهما ليسا مما يشيع عند كثير من الباحثين والمفسرين قديما وحديثا، وهذان المعنيان أحدهما أشد تكرارا من الآخر، ولذا كان القرآن أحرص عليه لغاية دينية قصد إليها القرآن قصدا هي تميز الرسول محمد ﷺ عن الرسل وتميز أمته الأمة الأمية (أي العربية) عن غيرها من أهل الكتاب، في سياق تطور أدوار النبوة ومراحلها ومهامها من عصر إلى عصر.

- المعنى الأول لكلمة «أمي» في النص القرآني هو «غير الكتابي»، أو «الذي ليس من أهل الكتاب» أي الذي ليس يهوديا ولا نصرانيا، فلم يكن له دين سماوي سابق ولا كتاب سماوي نازل إليه، وهذا هو المراد من عدة نصوص، منها قوله تعالى ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم...﴾ (الجمعة: ٢) والمراد «أمة العرب»، وهذا يعني أن هناك أمتين مختلفتين أُمِر الرسول بخطابهما ودعوتهما: إحداهما أمة «الذين أوتوا الكتاب» والأخرى أمة «الأميين»، أي الذين لا كتاب لهم.

- المعنى الثاني لكلمة «أمّيّ» في النص القرآني هو «الأمية المفهومية»، أي التي يكون صاحبها عالما بأبجدية القراءة والكتابة، ومع ذلك لا نجد عنده وعيا صحيحا أو فكرة واضحة أو مفهوما سليما أو معرفة سليمة أو تصورا واضحا مكتملا عما يقرأه ويكتبه، وهذا المعنى هو المراد في قول الحق سبحانه: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم

إلا يظنون﴾ (البقرة: ٧٨)، و«الأمّيّ» بهذا المعنى لا يدرك الأبعاد الأساسية لدينه ولا يوازن بينها فهو فاقد لأساسيات الوعي الديني، وهذا رد قرآني على ادعاء قوم من اليهود أنهم مهتدون متبعون لشرعهم اتباعا تاما نموذجيا.

■ كلمة: «مسّ» التي جاءت في القرآن مشتركا لفظيا يتعدد إلى معنيين أيضا، وليس منهما معنى «اللمس» على عكس ما هو شائع، وكما تنسبه أغلب المعاجم من معنى «اللمس» لـ «المس» زاعمة الترادف بينهما في القرآن الكريم، هذان المعنيان يوضحهما في القرآن السياقان الأصغر والأكبر، كالآتي:

– معنى «الإدراك والإصابة» وهو الذي نجده في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿لا يمسُّه إلا المطهّرون﴾ (الواقعة: ٧٩)، فالمس غير اللمس؛ إذ اللمس هو الجسّ باليد أو غيرها من مواضع الجسد، وهو مباشرة ظاهرية لشيء مجسم، أما المسّ فهو «الإصابة» كما جاء في قوله تعالى: ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ (آل عمران:١٢٠)، وفي قوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مسّ القومَ قرحٌ مثلُه وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ (آل عمران: ١٤٠) فـ «المسّ» في هذه السياقات وأشباهها من الآيات التي تحدثت عن «مسّ الضر» بمعنى «الإصابة» كما هو واضح، و«مس القرآن» في سياق هذه الآية يكون بمعنى إصابته وإدراكه معنويا، أي فهمه وتذوقه، وقد ورد شيءٌ من هذا الفهم أو ما يقاربه عند بعض القدماء فقد قال الفراء: «لا يمسه: أي لا يجد طعمه ونفعه إلا المطهّرون.. من آمن به»، وقال الراغب الأصفهاني: «أي لا يبلغ حقائقه إلا من طهر نفسه وتنقى من درن الفساد»، وقال الشوكاني: «قال الحسين بن

الفضل في تفسيرها: لا يعرف تفسيره ولا تأويله إلا من طهره الله من الشرك والنفاق». وكل هذه الظلال المعنوية التي تفيأها بعض أسلافنا إنما تؤيدها عدة قرائن أهمها الصيغة الصرفية «المطهّرون» بصيغة المفعول، أي الذين طُهّروا خَلْقا وفطرة أي خضعوا لعملية تطهير روحية ربانية نورانية... وليسوا الذين «تطهروا» (بصيغة تفعّل)– ماديا أي بالماء بإرادتهم– أو بالتعبير القرآني العربي الآخر: «اطّهّروا» الذي ورد بصيغة «اتفعّل»: للمبالغة» أي من تلقاء أنفسهم وبإرادتهم بالماء، ومن هذا المعنى «مس الشيطان» أي إصابته الإنسان بالأمراض النفسية والجسدية، كما قال الحق سبحانه: ﴿واذكُر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ (ص– ٤١).

هذا، وقد يكون معنى الآية مقصودا به غير البشر– أعني الملائكة– بإفادة بعض قرائن السياق أيضا؛ فقد جاء سياق الآيات كالآتي: ﴿...إنه لقرآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسُّه إلا المطهّرون. تنزيلٌ من رب العالَمين﴾ (الواقعة: ٧٧– ٨٠)، ففي هذا السباق حديث عن منزلة القرآن في الملأ الأعلى، فهو مستقرّ في «كتاب مكنون» وهذا «الكتاب المكنون» بعيد المكان والمكانة منيع الجانب في موضع مطهّر مقدّس إلى درجة أنه لا يدركه إلا «المطهّرون»، هكذا بدلالة الصيغة الصرفية: صيغة المفعول، وليسوا الذين «تطهروا» بإرادتهم– أو بالتعبير القرآني «اطّهّروا»– من تلقاء أنفسهم وبإرادتهم، فهؤلاء «المطّهّرون» هم البشر المؤمنون، أما أولئك «المطَهّرون» فلن يكونوا إلا ملائكة، وهو رأي ابن عباس كما روى الفراء، لأن الشياطين معزولون عن تلقي القرآن وسماعه كما جاء في آية كريمة أخرى، هذا، والفرق بين الصيغتين الصرفيتين: «مُطّهّرون» بتضعيف الطاء والهاء معا، و«مطَهّرون» بتضعيف الهاء فقط– يعرفه علماء اللسان العربي الذي نزل به القرآن الحكيم (بل الأطفال المتمدرسون في عصرنا!)، فالأولى على صيغة «فاعل» للدلالة على معنى «الفاعلية»، والثانية بصيغة «مُفعّل» للدلالة على معنى «المفعولية»، وسياق الآية يتحدث عن الثاني.

هذا، والذين يفسرون «المس» بـ «اللمس» في القرآن الكريم يغفلون عن شيء أشار إليه القرآن العظيم في مستوى آخر هو ما سميناه «السياق الأكبر»، وهو

أن «اللمس» المادي لا يكون للوحي أي لكلمات الله المنزلة؛ فهذا غير معقول تصورُه إلا في حالة واحدة: إذا كتبت تلك الكلمات في كتاب، فتجسّدت، وعند ذلك يسعفنا القرآن بتعبير اصطلاحي آخر لتكتمل عندنا الصورة وتتضح، ونجده في هذه الآية الكريمة: ﴿ولو نزّلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إنْ هذا إلا سحرٌ مبين﴾ (الأنعام: ٧)، وهذا يقتضي أن الذي من خصائصه أن يُلمس هو القرطاس، فهو يُلمس ولا يُمّس، بخلاف القرآن الذي يمس أي يدرك بالنفس والعقل والروح، والقرآن دقيق في التعبير.

– والمعنى الثاني الذي تفيده كلمة «مسّ» هو تعبير مجازي، هو: الكناية عن «الجماع»، وهو الذي نجده في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى على لسان مريم عليها السلام: ﴿قالت ربي أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر﴾ (آل عمران: ٤٧)، وقد تكرر هذا في عدة آيات، ونجده في قوله: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسّوهن أو تفرضوا لهنّ فريضة...﴾ (البقرة: ٢٣٦). فإنه لا يراد بالمس هنا غير الذي ذكرناه، وأجمع عليه الفقهاء والمفسرون، ويستحيل أن يكون المراد به حقيقته كـ«الإصابة» مثلا أو «الإدراك»، كما لا يمكن أن نتصور أنه يراد به «اللمس باليد»؛ فلمس الرجل المرأة بيده– بعد عقد زواجه عليها– لا تترتب عليه أحكام مخصوصة في الصداق والعدّة لمجرد أنه لمسها بيده (و«اللمس» غير «الملامسة») كما يعلمنا الله تعالى بالقرآن؛ فقد ذكر في نهاية الآية العظيمة ﴿... أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المتقين﴾ (البقرة: ٢٣٦)، ولكن تترتب الأحكام المالية المتعلقة بحق المرأة على الرجل إذا تزوجها فباشرها جنسيا ثم طلقها، وكذلك الأمر في الظهار إذ قال جلّ من قائل: ﴿... فتحريرُ رقبةٍ

من الضرورات العلمية أن تستثمر أداة السياق في فهم «النص» قرآناً وسنَّةً.

من قبل أن يتماسّا﴾ (المجادلة: ٣) فهو تعبير مجازي سواء في الآيات التي تقص قصة مريم أو آيات الطلاق في «البقرة» و«الأحزاب» وآية الظهار في «المجادلة»، وهذا يقتضي أن المجاز موجود في القرآن لا يمكن إنكاره وهذه الآية مثال عنه.

■ كلمة: «الرُّوح» بضمّ الراء التي جاءت في القرآن مشترَكا لفظيا يتسع ليشمل عددا من المعاني أيضا، بحسب السياقين القرآنيين الأصغر والأكبر، ومن تلك المعاني:

– معنى «الوحي القرآني» وهي الدلالة التي نجدها في عدة آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروحُ من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا﴾ (الإسراء: ٨٥)، أن مضمون الوحي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل هو «التوحيد»، وهذا الإنذار بالوحي هو المذكور بهذا المصطلح نفسه في سورة غافر: ﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق. يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء...﴾ (غافر: ١٥–١٦)، والقرينة النصية هنا كسابقتها هي قوله: لينذر يوم التلاق، أي يوم القيامة، إذ أعظم رسالة يقوم بإبلاغها الأنبياء والرسل– بعد التوحيد والإيمان بالله– هي أن يعتقد الناس بهذا اليوم يوم القيامة، و«الرُّوح» بضم الراء غير «الرّوح» بفتحها، والمراد الأول.

– وللروح في القرآن الكريم معنى ثان هو الملَك «جبريل» عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيل من رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٢–١٩٣–١٩٤–١٩٥)، فالسياق يتحدث عن القرآن وأنه تنزيل من الله تعالى وأن الذي نزل به هو جبريل من أجل الإنذار وأنه بلسان عربي مبين، ومن أشد القرائن على ذلك كلمة «أمين» التي هي وصف لجبريل. وقد وُصف جبريل بهذه الصفة (الأمانة) في آية أخرى في سورة التكوير: ﴿مُطاع ثَمّ أمين﴾ (التكوير:٢١) هذا وللروح معانٍ أخرى في القرآن الكريم.

فهذه نماذج تطبيقية عن القيمة المنهجية لأداة «السياق»، كما كنا نلحّ عليها ونعيد، وقد أشرنا إلى أنه من الضرورات العلمية أن تستثمر في «علم النص» الحديث ولاسيما في «علم النص القرآني» المنشود، وقد نجد المعاصرين من علماء النص الغربيين يبسطون مفاهيم إجرائية قريبة مما نقول كمفهوم: «الانسجام والترابط النصي» وغيره من مفاهيم النص المتعلقة بجهات الانتظام وأشكاله كالبنية والنظام والتفاعل والتأثير والاتصال والبنية الكبرى والبنية الصغرى والسياق، ولعل القراء الكرام قد لاحظوا أننا لم نتوسع فيها كثيرا، والسبب أن المقام لا يتيح ذلك، ولولا مخافة التطويل لذكرنا أمثلة أخرى، وخاصة في الألفاظ القرآنية الآتية: الآية، الأرض، الجنة، الرحمة، الظلم، الذِّكر...، فهذه كلها كلماتٌ تندرج ضمن الظاهرة الدلالية التي تسمى المشترك اللفظي أو (تعدد المعنى) الواردة بكثرة في القرآن العظيم، والتي يكشف عن المراد بدلالاتها السياق القرآني.

الهوامش

(١) بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣٩.

(٢) منهم المرحوم مالك بن نبي في كتابه القيم: الظاهرة القرآنية، ص ١٨٧، ومنهم أيضا: سعيد رمضان البوطي، منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الكتب العربية، بيروت، ص ١٥٥.

الصلاة على الكرسي

التحرير

الصلاة على الكرسي من المسائل المستجدّة في المساجد، والنوازل الآخذة في الانتشار بشكل واسع غريب، ولو رجع القارئ الكريم إلى عهد قريب لا يزيد عن عشرين سنة تقريبًا لَمَا وجد لهذه الظاهرة أثرًا في مساجد المسلمين شرقًا وغربًا، ولمّا عمّت البلوى بهذه المسألة تباحثها أهل العلم المعاصرون في بعض رسائلهم، ومن خلال فتاواهم وربما في وسط تفاريعهم الفقهية.

كنا نشرنا في «الوعي الإسلامي» (عدد ٥٣١) مقالاً بعنوان «إرشاد الغافل وتنبيه الناسي إلى حكم الصلاة على الكراسي» لكاتبه د.ياسر إبراهيم المزروعي، خلص فيه إلى أنّ المعذور له أن يصلي قاعدًا سواء كان على كرسي أو على الأرض، وذكر في ثنايا مقاله ضوابط وآدابا ينبغي مراعاتها لمن صلى على كرسي، سواء كان ذلك في النافلة أو الفريضة.

وقد وردتْ إلينا تعقيباتٌ من داخل الكويت وخارجها على المقال السالف، وكلّها تدلّ على أن المقال المشار إليه أتى بثمراته؛ ومنها هذه التعقيبات المتتالية التي من شأنها زيادة توضيح المسألة من زوايا أخرى، ربما لم يتطرّق إليها المقال الأصل، وفي هذه التعقيبات أحسن العلاج لمشكلة زيادة تساهل الناس، وعدم انضباطهم بالشروط الشرعية الواجبة في الصلاة؛ ممّا يُخلّ بأعظم ركن من أركان دينهم بعد التوحيد.

وقبل أن نذكر مستدرَكات التعقيبات على المقال نقول ابتداء:

صدّر صاحب المقال، د.المزروعي مقالته بقوله: وفي شرح الغاية: «وكيف قعد جاز» وهي من الرخص في هذا الدين للذي لا يستطيع أن يصلي قائما، بأن يصلي جالسا على أي هيئة كانت، سواء كان على كرسي أو على الأرض أو نحوهما.

وهذا النقل عليه ملاحظتان:

الأولى: أنّ الجملة المقوّسة فقط من شرح الغاية، وأما الباقي فهو فهم خاصٌّ بصاحب المقال.

الثانية: أنّ المقصود بـ «وكيف قعد جاز» القعود المعروف في الزمن الأول وهو ما كان على الأرض، بدليل أننا نجد شرّاح المذهب الحنبلي وغيرهم إذا تعرضوا للأعذار المانعة من القيام في الصلاة قالوا- كما في حاشية الروض المربع لابن قاسم (٣/٣٤٩)-: «فإن لم يستطع» بأن عجز عن القيام أو شَقّ عليه، لضرر أو زيادة مرض «فقاعدا» متربّعا ندبًا ويَثْني رجليه في ركوع وسجود؛ «فإن عجز» أو شَقّ عليه القعود كما تقدم «فعلى جنبه»... وهذا هو عيْن المذكور في كشاف القناع، وكشف المخدرات للبعلي، ومطالب أولي النهى في باب صلاة أهل الأعذار.

ففي جميع الشروح التفصيلُ حول كيفية القَعْدة على الأرض، أهي التربُّع أم الافتراش أم التورّك أم الاستلقاء أم غير ذلك؟ وليس فيها أبدًا حديثٌ عن الصلاة على الكراسي.

ولم يذكر أحدهم التسوية بين القعود على الأرض والقعود على الكرسي؛ فضلًا عن الجزْم بها؛ كما فَعَل صاحب المقال!

وأمّا التعقيبات فيرجع حاصلها إلى التنبيهات الآتية:

التنبيه الأول

أجمع العلماء على أنّ للصّلاة أركانًا لا تصحُّ إلا بها: مثل القيام والرّكوع والسّجود وغيرها من الأركان، فمن ترك منها ركنا قادرا عليه عالما به مختارًا لفعله: فصلاته باطلة بالإجماع، وقد دلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة: ٤٣)، وقوله تعالى: ﴿وقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾ (البَقَرَة: ٢٣٨)، وقوله تعالى: ﴿يَأيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا واسْجُدُوا واعْبُدُوا رَبَّكُم﴾ (الحَجّ: ٧٧)، وقوله ﷺ: «صَلُّوا كما رَأيْتُمُوني أُصَلِّي»، وقوله

ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا» (أخرجهما البخاريّ)، وهذا في صلاة الفريضة.

أمّا إذا صلى المتطوع صلاة النّافلة جالسًا وهو عاجزٌ عن القيام فإنّ أجره تام، لأنّه معذور في ترك القيام، أمّا إذا ترك القيام وهو قادر عليه؛ فإنّ أجره يكون على النصف من أجر القائم، قال رسول الله ﷺ: «من صلى قائمًا فهو أفضل، ومن صلى قاعدًا فله نصف أجر القائم» (رواه البخاري)، وقال ﷺ: «صلاة الرجل قاعدًا نصف الصلاة» (رواه مسلم ٧٣٥) من حديث عبدالله بن عمرو-رضي الله عنهما، هذا مع لزوم مراعاة هيئات الصلاة وشروطها.

كما أجمع العلماء أيضًا على أنّ تحقيقَ أركانِ الصّلاة مُتوقِّفٌ على الاستطاعة والقدرة، فكلّ مسلم عاجز عن القيام بأحدِ أركانِ الصّلاة، فهوَ معذورٌ شرعًا وعقلًا، لقوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إلا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦)، وقوله تعالى: ﴿فاتَّقُوا الله مَا اسْتَطَعْتُم﴾ (التغابن:١٦)، و قوله ﷺ: «إذَا أَمَرْتُكُم بأمْرٍ فَأتُوا منْهُ مَا اسْتَطَعْتُم» (متّفقٌ عليه)، وقوله ﷺ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإنْ لم تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإنْ لم تَسْتَطِعْ فَعَلى جَنْبٍ» (رواه البخاريّ).

وتحقيقًا أيضًا للقاعدة الفقهيّة: المشقّةُ تجلبُ التّيسير، وقاعدة: لا واجب مع العجز.

يُوضِّحُهُ: أنّ من عجز عن القيام في الصّلاة صلّى جالسًا، ومن عجز عن الرّكوع أوْمأ برأسه حال قيامه، ومنَ عجز عن السّجود أوْمأ برأسه حال جلوسه، ويكون سجوده أخفضَ من ركوعه وُجوبًا، ويكونِ في جلوسه مفترشًا أو متوركًا، وقيل: يجلسُ مُتربِّعًا، لقول عائشة رضي الله عنها: «رَأَيْتُ رَسُوْلَ الله ﷺ يُصَلِّي مُتَرَبِّعًا» (رواه النّسائيّ).

ومن عجز أيضًا عن القيام والرّكوع والسّجود: صلّى على جنبه، وقيل: مستلقيًا على ظهره، ووجهه ورجلاه إلى القبلة ليكونَ إيماؤُهُ إليها.

وأمّا إن عجز المسلمُ أن يُصلِّي على جنبه: صلّى على أيِّ حال تيسَّرتْ له.

التنبيه الثاني

حديث الباب، وهو حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الصَّلاة؛ فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ» (رواه البخاري). منطوقه دالٌّ على أنّ للمصلي في صلاته ثلاث حالات:

١- أداء المكتوبة قائما ٢- فإن عجز عن القيام فقاعدا ٣- فإن عجز فعلى جنب.

هذا هو منطوق الحديث، وليس منه الصلاة على الكرسيّ، وهنا يُسأل المجيز للمعذور الصلاة على الكرسي مطلقا، تُرى هل كان رسول الله ﷺ ناسيًا أو غافلا عن النطق بالصلاة على الكرسي إذا لم يستطع المصلي أداءها قائما؟

نقل الثقات عن بعض الفقهاء المعاصرين حرصهم وهم عجزة على الصلاة على الأرض لا على الكرسي

هل ورد عن رسول الله ﷺ أنه صلى على الكرسي مرّة واحدة؟ مع العلم أنه أسَنّ وثقُل ﷺ في آخر عمره الشريف، حتى كان كثيرٌ من صلاته وهو جالس، كما صحّ من غير وجه من حديث عائشة رضي الله عنها: أنّ النبي ﷺ لم يمت حتى كان أكثر صلاته وهو جالس. أي سوى المكتوبة، كما ثبت ذلك من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قالت: والذي تَوَفَّى نفسه، ما تُوُفي حتى كان كثير من صلاته قاعدًا إلا المكتوبة.

هل ورد عن الصحابة الكرام أو التابعين ومن بعدهم، مرورا بالأعلام الأربعة وغيرهم، وإلى ما قبل بُدُوّ هذه الظاهرة الغريبة نصٌّ أو فعل يفيد جواز «الصلاة على الكراسي»؟

مع أن الثابت عند أهل العلم شيء آخر، حيث ما كانوا يذكرون سوى التفصيل في هيئات القعود على الأرض، ودونك مصنّف عبدالرزاق - رحمه الله- (٢/ ٤٦٦)، حيث عقد بابا كاملا لهذا الأمر، وهو «باب كيف يكون جلوسه إذا صلى قاعدا»، وساق تحته من الأحاديث والآثار التالية كثيرا، وهذه أهمها:

٤١٠١ ... عن عطاء قال: يصلي الرجل وهو جالس في التطوع إن شاء متربعا وإن شاء محتبيا، قال: وابسط رجلك إن شئت بعد ما تتشهد، قال قلت: فمتكئا؟ قال: لا.

٤١٠٢ ...عن ابن المسيب أنه كان يحتبي في آخر صلاته في التطوع.

٤١٠٣ ...عن ابن المسيب قال: إذا أراد أن يسجد ثنى رجله وسجد.

٤١٠٤ ...عن إبراهيم قال:ك إذا أراد الرجل أن يصلي جالسا متربعا فإذا أراد أن يركع ثنى فخذه كما يجلس في الصلاة ثم ركع وسجد وقول: ابن المسيب أحب إلى سفيان.

٤١٠٥ ...عن مجاهد أنه كان يصلي جالسا متربعا.

٤١٠٧ ...عن الثوري عن شيخ من الأنصار قال: رأيت أنسا يصلي متربعا.

وهذا الإمام النسائي عقد هو الآخر في سننه «باب الجلوس على الكراسي» ذكر فيه حديث أبي رفاعة الآتي، فقط.

فلم لَمْ يذكروا الصلاة على الكرسيّ لو كان الأمر فيه واسعًا؟

التنبيه الثالث

ردّا على من يقول: إن اعتماد الصحابة على العصيّ دليل على جواز اتخاذ الكرسي.

يُقال: إن اعتمادهم على العصيّ إنما كان في صلاة التراويح، وقد كانت غاية في الطول، لا في صلاة الفريضة، كما في الموطأ من رواية السائب بن يزيد قال: أَمَر عمر بن الخطاب أُبَيّ

بن كعب وتميما الداري أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمئين حتى كنا نعتمد على العصيّ من طول القيام، وما كنّا ننصرف إلا في فروع الفجر!

ثم إنّ التعبُّديات لا مدخل للقياس فيها، بل الأصل فيها الامتثال دون التفات إلى العلل والحكم، والصلاة من أعظم ما يتعبّد به الناس لربهم، فلا يجري فيها القياس، فقياس البعض جواز الصلاة على الكرسيّ بصلاة الصحابة للتراويح قياس مع الفارق؛ فهو فاسد الاعتبار لما مرّ من الفرق بين الفريضة والنافلة.

التنبيه الرابع

ترى هل كان الفقهاء المجتهدون خلال عهودهم التي تنوعت بتنوُّع أماكنهم وأزمانهم غافلين عن هذا الحكم أو «الكيفية» للصلاة على الكراسي، ولم يخطر على بال واحد منهم، حتى ظهرت الحاجة اليوم إلى تبيين الحكم الذي تركوه وغفلوا عنه؟ أم كان أئمتُنا المَرضيون ملتزمين نصَّ الحديث؟ والكراسي موجودة في أيامهم (في دورهم ومجالسهم وأماكن محلاتهم)، بل هي موجودة زمن النبي ﷺ وما قبله منذ أيام نبي الله سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، وربما وُجدت قبل ذلك أيضًا.

ومن الدليل على ما ذكرنا:

- في صحيح مسلم قَالَ أَبُورِفَاعَةَ رضي الله عنه: انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ؛ قَالَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ؛ قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ حَسِبْتُ قَوَائِمَهُ حَدِيدًا، قَالَ: فَقَعَدَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا.

- في مسند الإمام أحمد عن عَبْد خَيْر قَالَ: رَأَيْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه أُتِيَ بِكُرْسِيٍّ فَقَعَدَ عَلَيْهِ ثُمَّ أُتِيَ بِكُوزٍ؛ قَالَ حَجَّاجٌ: بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ ثَلَاثًا وَمَضْمَضَ ثَلَاثًا.

- وفي مصنف ابن أبي شيبة عن أبي عون عن شريح أنّ رجلا لقي رجلًا بكرسي فصدمه فقتله، فقال شريح: ضمن الصادم للمصدوم.

فعلى هذا لا يبعد القول بأن إحداث الصلاة على الكراسي في المساجد أمر غريبٌ يحتاج إلى وقفة جادّة، لأنّها هيئةٌ جديدةٌ لا تتفق ونصَّ الحديث وفعل المصطفى وعمل الراشدين وسنة الصحابة أجمعين والتابعين ومن بعدهم.

كما لا تندرج تحت قوله تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾، لأن النبيّ ﷺ بيّن لأمته ما باستطاعة المصلي أن يفعله إن عجز عن أداء الصلاة قائما بقوله الآنف الذِّكر، وبقوله الآخر كما في الصحيح: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقد صلى ﷺ قائما، ثم لما عجز عن القيام صلّى قاعدًا على الأرض (لا على الكرسي)، وإذا كانت الآية مجملة فقد بينتها سنة النبيّ ﷺ القولية والفعلية.

التنبيه الخامس

إنّ انتشار هذه الظاهرة يُسهم في تثبيت الشّبه بين مساجدنا ومعابد غيرنا الذين يصلون على الكراسي، وقد عشنا حتى رأينا كثيرًا من المساجد تُصفّ فيها الكراسي وتُرصّ من كثرتها! بعد أن كانت مساجدنا في زمن قريب على الفطرة خالية من هذه المظاهر الحادثة، حتى إنّ سنة النبيّ ﷺ في الصلاة قاعدًا على الأرض تركت، فلا تكاد ترى أحدًا من هؤلاء المعذورين يُصلّي على تلك الهيئة المباركة المبرورة!

التنبيه السادس

غالبية المصلين على الكراسي، من العوام الذين يقلّد بعضهم بعضًا، وربما استطاب بعضهم الجلوس على الكرسيّ، لأنه أكثر راحةً؛ لا أنه عاجزٌ عن القيام أو الوقوف، وهو مبطلٌ لصلاته، لأنه ترك ما هو قادر عليه وإن ناله شيء من المشقة، واختار ما يريحه لا ما يستطيعه، والفرق بين الحالين واضحٌ، والحديث نَصَّ على الجواز عند عدم الاستطاعة.

هذا فضلا عن كونه يُضيِّق على المصلّين ويجعل صفوفهم غير منتظمة ولا مستوية، ومعلوم أنّ استواء الصفوف من تمام الصلاة ذاتها.

التنبيه السابع

نقل الثقات عن بعض الفقهاء المعاصرين حرصهم وهم عجزة على الصلاة على الأرض لا على الكرسي، ومنهم الشيخ العلامة محمد بن سليمان الجرّاح رحمه الله، وقد نقل ذلك عنه تلميذه أ.د.وليد بن عبد الله المنيّس، قال: وقد شاهدنا شيخنا العلامة محمد بن جراح رحمه الله (١٣٢٢-١٤١٧هـ) يصلي جالسا لما اشتد عليه المرض، ولم يجلس على الكرسي.

وهذا من الفقه المستنبط من المنقول الصحيح عن الصحابة رضي الله عنهم، حيث كانوا يجتهدون ويبذلون الغاية من جهدهم للقيام في الصلاة؛ فإن عجزوا قعدوا على الأرض، وقد روى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف»، أي يحملانه بينهما ويمسكانه بعضديه عوْنًا له على المشي؛ لضعفه ومرضه، ولم يقل حتى يجلس في الصفّ.

التنبيه الثامن

كثيرٌ من المصلّين على الكراسي يفعلون ذلك بعذر السِّمنة، وقد لا تكون سمنتهم بالقدر الذي يجعلهم معذورين، ومع ذلك الأولى أن يُنصحوا بمعالجة أنفسهم بالحمية وغيرها ممّا ينصحهم به الأطبّاء، حتى تصحّ أبدانهم، ويستطيعوا تأدية وظائفهم الشرعية على الوجه المطلوب شرعًا، لأنّ القاعدة: أنّ ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب، وما لا يتم ترك الحرام إلاّ به فتركه واجب.

أمّا أن يفتح لهذا المبتلى بالسِّمن بابُ الشراهة فلا يعرف للمأكولات حدًّا، ثم يُقال هو معذور، فذلك من الغبن الذي يأباه العقلاء، ويتنزّه عنه الأسوياء.

التنبيه التاسع

خلاصة ما مرّ أنّ صلاة الفريضة على الكراسي لا تخلو من صُوَر:

الصّورة الأولى: مَنْ يُصلي الفريضة على الكراسي، وهو قادرٌ على السّجود، بحجّة أنّه إذا صلّى جالسًا على الأرض لن يستطيعَ القيام سواءٌ في أوّل صلاته أو في أثنائها فصلاتهُ باطلةٌ بالإجماع، لأنّه ترك ركنًا قادرًا عليه شرعًا وطبعًا، وتَكلّف ركنًا ومعذورٌ فيه شرعًا! وذلك لكونه قد ترك كثيرًا من أركان الصّلاة مع قدرته عليها، وهي: السّجودُ، والجلسةُ بين السّجدتين، والجلوسُ للتشهّد وغيرها، وقد صحّ عنه ﷺ -كما في الصّحيحين- أنّه صلى جالسًا حينما سقط عن فرسه، ولم يتكلّف حينها الصّلاة على الكرسيّ!

كما أنّه بصلاته على الكرسيّ قد خالف تسويةَ الصّفوف، وذلك من خلال تقدّمه أو تأخُّره على أهل الصّفّ، سواءٌ بصدره أو برجله، وكلاهما فيه مخالفةٌ شرعيّةٌ؛ لقوله ﷺ: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُم أو لَيُخَالِفَنَّ الله بَيْنَ وُجُوهِكم» (متفق عليه).

لذا؛ كان واجبًا على مَن هذه حاله أنْ يُصلّيَ بحسب الاستطاعة والقدرة، فكلّ ركنٍ يستطيعه أتى به، وما لا يستطيعه فهو معذورٌ فيه شرعًا!

الصّورة الثّانية: من يعجَزُ عن السّجود فقط، بحجّة أنّ في سجوده ضررًا يشقّ عليه. فمن هذه حاله، فصلاته باطلةٌ اتّفاقًا، لأنّه ترك ركنَ القيام والرّكوع والجلوس بين السّجدتين والجلوس للتّشهّد!

لذا كان عليه شرعًا أن يصلّيَ قائمًا؛ حتّى إذا أراد السّجود جلس على الأرض، ثمّ أومأ للسّجود برأسه، وهكذا يفعل في جميع صلاته.

الصّورة الثالثة: من يعجز عن الجلوس على الأرض أصلًا، بحجّة أنّ في جلوسه عليها ضررًا يشقّ عليه. فهذا أيضًا صلاته باطلةٌ اتّفاقًا، لأنّه ترك ركن القيام والرّكوع، لذا كان عليه شرعًا أن يصلّيَ قائمًا، حتّى إذا أراد السّجود جلس على الكرسيّ، إذا أشار بذلك الطّبيب الثّقة، لقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (الأنبياء: ٧)، وأومأ عند السّجود برأسه، وهكذا في جميع صلاته.

الصّورة الرّابعة: من يُصلّي متوكّئًا على العصا، حتّى إذا أراد الرّكوع أو السّجود صلّى على الكرسيّ مع قدرته عليهما! فمن هذه حاله؛ فصلاته غير صحيحة؛ لأنّه ترك ركن الرّكوع والسّجود والجلوس عمدًا.

لذا كان عليه شرعًا: أنْ يُصلّيَ متوكّئًا على العصا حال قيامه وركوعه وجوبًا، دون الجلوس على الكرسيّ، حتى إذا أراد السّجود جلس على الأرض وسجد، وهكذا يفعل في صلاته.

وأمّا بطلان صلاة أهل الكراسي ممّن جاء ذكرهم في الصّور الأربع، فهو متوقّفٌ على كون المصلّي منهم: عالمًا ذاكرًا مختارًا في صلاته، وإلاّ فصلاتهم صحيحةٌ بعذر الجهل أو النّسيان أو الإكراه.

الصّور الّتي تصحّ فيها الصّلاة على الكراسي

الأولى: مَن ضعُفت قُواهُ عن حمله قائمًا وجالسًا على حدّ سواء، وهو أشبه اليوم بحال مرضى العظام، أو بالمصابين بالشّلل، أو غيرهم ممّن يعجزون عن القيام والجلوس على الأرض، فمن هذه حالهم؛ فعليهم شرعًا أن يصلّوا على الكراسي ابتداء، ويُومئون برؤوسهم عند الرّكوع والسّجود.

الثّانية: مَنْ كان يعجز فقط عن الجلوس على الأرض، لخوف مرض، أو لرجاء برء بعد استشارة طبيب ثقة، فمثْل هذا عليه شرعًا أن يصلّيَ قائمًا وراكعًا؛ حتّى إذا أراد السّجود جلس على الكرسي، وأومأ برأسه بنيّة السّجود، ثمّ ينوي الجلوس بين السّجدتين، وهكذا يفعل في صلاته كلّها.

وفي الختام فإنّ المقصود من هذه المسألة ليس هو التضييق على الناس، ولا التشديد عليهم، ولكنه بيان حكم الله تعالى في أعظم أركان الدين بعد شهادة التوحيد، لئلاّ يترك الناس ما وجب عليهم بيقين، ويتساهلوا فيما لا تصحّ صلاتهم إلا به، ولِيَعرفوا مقدار العذر الذي نزل بهم، فيُقدِّروه قدْره، ولا يتمادَوْن في مُسايَرَة أهواء النفس فإنّ النفوس طمّاعة لا تشبع، ومَن أحبّ الله بصدق تقرّب إليه كما شرع، ولنحافظ على مساجدنا ونصونها عن مشابهة أماكن عبادة غيرنا، فإنّ مساجدنا مضتْ سُنّتها على الفطرة والتواضع في النُّزُول إلى الأرض، وغيرُ المسلمين تُصفّ الكراسيّ في معابدهم صفًّا.

والله تعالى أعلم

إعادة زراعة أعضاء الإنسان بعد قطعها في حدٍ أو قصاص

د. سيد حبيب بن أحمد

أولًا: تصوير المسألة وبيان إمكانية حصولها

أ-تصوير المسألة: هل يجوز شرعًا إعادة زرع العضو المقطوع من الشخص الذي أقيم عليه حد أو قصاص إلى محله بعد قطعه في تنفيذ الحد أو القصاص؟

ب-إمكانية حصولها: أما بالنسبة للقصاص إذا كان في الأنف، أو الأذن، أو العين أو غيرها من الأعضاء التي تسهل إعادتها إلى مكانها الأصلي، فإن إمكانية حصولها ممكنة، بل هي واقعة، وقد يعود العضو في أغلب الأحيان إلى مكانه الأصلي وكأنّ شيئًا لم يكن، وقد حصل ذلك من زمن قديم، حتى ثبت أن النبي ﷺ أعاد عين أحد الصحابة رضي الله عنه فكانت أحسن عين وأحدّ بصرًا.

أما بالنسبة للحد- وهو قطع اليد أو الرجل- أو القصاص فيهما، فإن مجال الطب مع تطوره الباهر لم يتوصل إلى النجاح الكامل في إعادة هذه الجوارح إلى محلها الأصلي، فهي على ما تتكلفه من نفقات باهظة وجهد شاق فإنها لا تعمل عملها السابق، حتى إن الأعضاء المصنوعة من الخشب أو الحديد تكون أكثر فعالية من الأعضاء الأصلية المزروعة(١).

ثانيًا: إعادة العضو المبان من جانب المعتدى عليه

إذا انفصل عضو من جسد الإنسان أو جزء من أجزائه بآفة أو جناية، فهل يجوز له أن يعيد عضوه المبان إلى محله؟

اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: لا يجوز إعادة العضو المبان إلى محله الأصلي. وهذا القول حكاه القرطبي عن الإمام الشافعي، وعطاء، وسعيد بن المسيب، ومحمد بن الحسن رحمهم الله، واستدلوا لذلك بأن العضو بعد إبانته من الجسد صار نجسًا كالميتة، فلا تجوز إعادته؛ لئلا يؤدي إلى بطلان العبادة، ولأن جزء الآدمي بعد الانفصال يستحق الدفن، فلا يجوز صرفه عن جهة استحقاقه.

القول الثاني: تجوز إعادة العضو المبان إلى محله، ويبقى طاهرًا، ولا يؤمر بقلعه. وهو قول جمهور العلماء، وهو المذهب عند الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة.

واستدلوا لذلك بجملة من الأدلة، منها:

(١) ما روي «أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه سقطت عينه على وجنته يوم أحد، فردّها رسول الله ﷺ، فكانت أحسن عين، وأحد بصراً»(٢).

(٢) ما ورد «أن النبي ﷺ ردّ يد معوذ بن عفراء يوم بدر بعد أن قطعها عكرمة بن أبي جهل، وألصقها فلصقت بعد أن ندرت من الكتف»(٣).

(٣) ما ورد أيضًا «أن النبي ﷺ ردّ يد خبيب بن يساف، وكان ضرب يوم بدر على عاتقه، فردّه المصطفى ﷺ ونفث عليه حتى صح»(٤).

والراجح هو ما ذهب إليه الجمهور، لما يلي:

١-للأحاديث التي استدلوا بها، فهي

باحث في مكتب الشؤون الفنية بوزارة الأوقاف الكويتية

نص في موضع النزاع.

٢- أن فيه دفعًا للمشقة والحرج الموجودين في حال فقد ذلك العضو المبتور، والشريعة الإسلامية راعت دفع الحرج والمشقة عن المكلفين.

٣- أن ما أبين من حي فهو كميتته، وميتة الآدمي طاهرة، فوجب أن يكون ذلك العضو الذي أبين طاهرًا، وإذا كان كذلك انتفى ما ذكروه من الحكم بنجاسته، ومن ثم لم تلزم إبانته ثانية(٥).

ثالثًا: إعادة العضو المبان من جانب الجاني بعد إقامة الحد أو القصاص عليه.

اختلف العلماء قديمًا في حكم إعادة العضو المبان في القصاص على قولين:

القول الأول، يجوز للجاني أن يعيد العضو المبان قصاصًا، ولا يحق للمجني عليه إبانته ثانيًا؛ لأنه استوفى القصاص ولم يبق له قبله حق. وهو اختيار بعض الشافعية، وبعض الحنابلة، وقال به سعيد بن المسيب، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني.

ومن أدلتهم:

١-أن المجني عليه قد استوفى القصاص ولم يبق له قِبَل الجاني أيّ حق.

٢-قياسًا على زراعة الأعضاء للغير، فكما يجوز نقل وزراعة الأعضاء من إنسان لإنقاذ إنسان آخر، فمن باب أولى أن يجوز للإنسان أن يعيد ما قطع من أعضائه.

٣-سماحة الإسلام ورحمة الله بعباده تؤكد ان القول بإعادة العضو المقطوع.

القول الثاني، ليس للجاني إعادته، وإن أعاده فللمجني عليه إبانته ثانيًا. وهو الصحيح من مذهب الحنابلة، وقال به سفيان الثوري.

ومن أدلتهم:

١-قوله تعالى: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ (النحل: ١٢٦). وقوله: ﴿والجروح قصاص﴾ (المائدة: ٤٥).

شُرع القصاص لإقامة العدل وإنصاف المجني عليه وصون حق الحياة للمجتمع

وجه الدلالة: أن إعادة العضو الذي أبين بالقصاص تؤدي إلى عدم المماثلة التي أوجبتها الآيتان الكريمتان.

٢-قوله تعالى في شأن الزاني والزانية: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ (النور: ٢).

وجه الدلالة: أن الآية دلت على حرمة الرأفة بالمعتدي على حدود الله، والقول بجواز إعادة العضو المقطوع منه فيه رأفة به، فلا يجوز لذلك.

٣- لأنّ القصاص شرع ليستوي الجاني مع المجني عليه في الشين، والشين بإعادة العضو يزول، فلا تجوز الإعادة، ولو أعاده أقيد مرة ثانية؛ لتحقق المقاصة.

٤-ولأن العضو المقطوع قصاصًا يدفن تكريمًا لصاحبه، فلا يجوز صرفه عن جهة استحقاقه.

٥- ولأن الجاني أبان من المجني عليه عضوًا على الدوام، فوجبت إبانته منه دوامًا، وبذلك يكون تمام القصاص(٦).

أقوال العلماء المعاصرين في هذه المسألة

اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة على أربعة أقوال، وهي: المنع مطلقًا، الجواز مطلقًا، التفريق بين رضى المجني عليه وعدم رضاه، وكذلك التفريق بين إعادة المجني عليه العضو فيجوز للجاني كذلك، وبين عدم إعادته فلا يجوز للجاني إعادته.

اختلف العلماء في حكم إعادة العضو المبان المقطوع في القصاص بين الجواز وعدمه

ثم التفريق بين أن يمنعه المجني عليه من الإعادة، فلا تجوز له الإعادة، وبين ألا يمنعه(٧)، ثم قرار مجمع الفقه الإسلامي (رقم ٦/٩/٦٠) وهو عدم جواز الإعادة إلاّ في حالتين، وهو القول الراجح لما في ذلك من جمع بين الأدلة، وهذا نص القرار:

بما أن القصاص قد شرع لإقامة العدل وإنصاف المجني عليه، وصون حق الحياة للمجتمع، وتوفير الأمن والاستقرار، فإنه لا يجوز إعادة عضو استؤصل تنفيذًا للقصاص، إلا في الحالات التالية:

أ- أن يأذن المجني عليه بعد تنفيذ القصاص بإعادة العضو المقطوع.

ب- أن يكون المجني عليه قد تمكن من إعادة العضو المقطوع منه.

ج- يجوز إعادة العضو الذي استؤصل في حد أو قصاص بسبب خطأ في الحكم أو التنفيذ.

حكم إعادة العضو المبان من الحد

لا يوجد نص في الكتاب ولا في السنة، ولا يوجد نص صريح لأحد من الفقهاء القدامى في حكم إعادة العضو المبان حدًّا، مثل اليد والرجل في السرقة

والحرابة.

وقد اختلف العلماء المعاصرون في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

القول الأول، لا تجوز إعادة ما قطع بحد، سواء تاب مرتكب الجريمة أو لم يتب، وسواء أذن صاحب الحق (المجني عليه) أم لم يأذن. وهو قول أكثر المعاصرين(٨).

وبهذا القول صدر قرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية(٩)، وصدر قرار مجلس مجمع الفقه الإسلامي بجدة(١٠).

واستدلوا لذلك بمجموعة من الأدلة، منها:

١- قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسب نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ (المائدة: ٣٨) وجه الدلالة من وجهين:

الوجه الأول، أن الجزاء لا يتم إلا بالقطع، والنكال لا يتم إلا برؤية اليد المقطوعة، وإعادتها مفوت للثاني، فلا تشرع لكونها مفوتة للنكال المنصوص عليه في الآية الكريمة.

والوجه الثاني، أن هذا الحكم بالقطع يوجب فصلها عن البدن على التأبيد، وفي إعادتها مخالفة لحكم الشرع فلا يجوز فعلها.

٢- قوله تعالى في شأن الزاني والزانية: ﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النور: ٢).

وجه الدلالة: أن الآية الكريمة دلت على حرمة الرأفة بالمتعدي لحدود الله، والجاني بالسرقة أو الحرابة متعدٍ لمحارم الله وحدوده، فلا تشرع الرأفة به، والقول بجواز إعادة العضو المقطوع منه فيه رأفة به، فلا يجوز.

٣-حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ قال في السّارق: «اذهبوا به فاقطعوه، ثم احسموه » (رواه الحاكم في المستدرك، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم).

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ أمر بحسم يد السارق، والحسم مانع من إعادتها.

٤-حديث فضالة رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أتي بسارق فقطعت يده، ثم أمر بها فعلقت في عنقه» (رواه أحمد، وأصحاب السنن).

وجه الدلالة: أن تعليق يد السارق في عنقه حكم شرعي يعتبر من تمام العقوبة والحد، وإعادتها توجب تفويت ذلك، فلا يجوز فعلها.

٥- من المعقول: أن في إعادة يد السارق سترًا على جريمته الكبرى، والشرع قاصد لفضحه؛ فلا يجوز فعلها.

ان الحكمة من إيجاب الحد والقصاص منع المجرم من المعاودة إلى عدوانه، وردع غيره عن ارتكاب مثل جريمته، والإعادة مفوتة لهذه الحكمة، فلا يشرع فعلها.

القول الثاني: تجوز إعادة ما قطع

بالحد، وهو قول بعض المعاصرين(١١).

ومن أدلتهم:

١- أنه تم تنفيذ الحد بمجرد القطع والبتر، وبذلك تم إعمال النص الشرعي الآمر به، وبقي ما عداه على أصل الإباحة الشرعية.

الرد عليه: أنّه ليس المقصود منه مجرد الفصل، وإنما المقصود الفصل على الدوام لتفويت منفعته على الجاني جزاء وفق عمله، وليكون عبرة لغيره.

٢-أن الحدود من جملة حقوق الله تعالى، وهي مبنية على المسامحة، فلا بأس بالسماح له بإعادته.

الرد عليه: نعم، الحدود من حقوق الله تعالى، وهذا العضو المبتور تمحض حقًّا لله تعالى وحقًّا لعبد آخر، فارتفعت حقوق المقطوع منه عن ذلك العضو شرعًا.

٣-قياس الحد على القصاص، فكما يجوز إعادة العضو المبان في القصاص فكذلك في الحد.

الرد عليه: هناك فرق بين الحد والقصاص، وهو أن المقصود من القصاص أن يصيب الجاني ضرر مماثل لضرر المجني عليه، وذلك حاصل بإبانة عضوه أول مرة، بخلاف إبانة العضو في الحد، فإنه ليس مقابلًا لضرر مماثل، وإنما هو مقدر من الله تعالى ابتداء، وليس المقصود منه مجرد الإبانة، وإنما المقصود إبانته على الدوام لتفويت منفعته على الجاني جزاء وفق عمله.

٤- لقد تحققت جميع الأهداف المقصودة من إقامة الحد، من إيلام وزجر وتشهير، وكل ذلك تحقق بإقامة الحد الشرعي.

القول الثالث: التوقف. وهو قول أحد المعاصرين، وهو القاضي محمد تقي العثماني، قال: أما البحث عن مسألة العضو المقطوع في السرقة أو الحرابة، فلا يتعلق بالواقع ولذلك، فلا أرى البتّ في هذه المسألة حتى نشاهدها تقع عيانًا (١٢).

ومن أدلته:

١-أن هذه المسألة غير متصورة الوقوع حتى اليوم، فهو من السؤال قبل وقوع الواقعة، وقد نهى السلف عن مثل هذه الأسئلة.

٢-ولكون غالب الدول الإسلامية- وللأسف- لا تقيم شرع الله تعالى في تطبيق الحدود، فالخوض فيها لا طائلة فيه.

الرد عليه:

أولًا، أن المسألة واقعة وحاصلة في هذا العصر، فلابد من معرفة حكمها.

ثانيًا، وعلى فرض صحة قوله، فإنه لا يمنع من معرفة الحكم في المسألة وتأصيلها تأصيلًا علميًّا؛ حتى إذا ما وقعت كان البحث عن حكمها ميسرًا.

الترجيح: الذي يترجح- والله أعلم- هو القول بعدم جواز إعادة العضو الذي أبين في حد؛ لصحة دلالة النقل والعقل على هذا كما هو واضح في أدلة أصحاب القول الأول، وقد تقدمت الأجوبة عن أدلة القولين الآخرين، والله أعلم(١٣).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الهوامش

(١) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي، للشيخ عصمت الله ص ٨٠، الموقف الفقهي والأخلاقي من قضية زرع الأعضاء، للدكتور محمد علي البار ص ٤١ وما بعدها.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٩٧/١٤) والحاكم في المستدرك (٢٩٥/٣) ولم يعقبه الذهبي بشيء. وانظر أيضا: الانتفاع بأجزاء الآدمي، للشيخ عصمت الله ص ٦٩.

(٣) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي، للشيخ عصمت الله ص ٦٩.

(٤) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي للشيخ، عصمت الله ص ٧٠ نقلًا عن كتاب دلائل النبوة للأصفهاني، والشفاء لقاضي عياض.

(٥) انظر: أحكام الجراحة الطبية، للدكتور الشنقيطي ص ٣٨٦-٣٨٨، الانتفاع بأجزاء الآدمي، لعصمت الله ص ٦٨-٧٠، زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢١٩٢-٢١٩٧.

(٦) انظر: الانتفاع بأجزاء الآدمي للشيخ عصمت الله ص٧٣، زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي، ع٦/٢١٨٨.

(٧) انظر: زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢١٩١؛ الانتفاع بأجزاء الآدمي في الفقه الإسلامي ص ٧٤؛ زراعة عضو استؤصل في حد، للدكتور الزحيلي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢٢٢٠؛ أحكام الجراحة الطبية ص ٣٩٦.

(٨) واختاره الشيخ بكر أبوزيد، والشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع، والشيخ محمد عبد الرحمن آل الشيخ، والأستاذ محمد أحمد جمال، والشيخ مولاي مصطفى العلوي، والشيخ الدكتور محمد محمد المختار الشنقيطي، والشيخ عصمت الله عناية الله، والدكتور عقيل العقيلي وغيرهم. انظر: أحكام الجراحة الطبية ص ٣٨٩، الانتفاع بأجزاء الآدمي للشيخ عصمت الله ص ٧٦، الموقف الفقهي والأخلاقي من قضية زرع الأعضا د.علي البار ص ١١٩، حكم نقل الأعضاء للدكتور العقيلي ص ١٦، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، العدد ٦، الجزء ٣.

(٩) قرار رقم ١٣٦ وتاريخ ١٤٠٦/٦/١٧هـ، في دورته السابعة والعشرين العادية المنعقدة بمدينة الرياض، قرر المجلس بالإجماع: « أنّه لا يجوز إعادة اليد المقطوعة في حد إلى صاحبها؛ لأن المقصود من القطع الزجر والردع لا الإيلام فقط».

(١٠) قرار رقم (٦/٩/٦٠) بشأن زراعة عضو استؤصل في حد أو قصاص. قرر: «١- لا يجوز شرعًا إعادة العضو المقطوع تنفيذًا للحد؛ لأن في بقاء أثر الحد تحقيقًا كاملًا للعقوبة المقررة شرعًا، ومنعًا للتهاون في استيفائها، وتفاديًا لمصادمة حكم الشرع في الظاهر».

(١١) وممن قال به: د.وهبة الزحيلي، د.محمد أنيس عبادة، د.عبدالمنصف محمود، والشيخ إبراهيم الوقفي، والشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ. انظر: زراعة عضو استؤصل في حد، للدكتور الزحيلي، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢٢٢٠.

(١٢) انظر: زراعة عضو استؤصل في حد، للقاضي العثماني، ضمن مجلة مجمع الفقه الإسلامي ع٦/٢١٩٩.

(١٣) انظر: أحكام الجراحة الطبية ص٣٩٠-٣٩٩، الانتفاع بأجزاء الآدمي ص٧٥-٧٦.

ضوابط التداوي بالأعشاب الطبية قديمًا وحديثًا

د. محمود مهدي

منذ فترة ليست بالوجيزة بدأ انتشار باعة الأعشاب الطبية، حيث يفترشون الطرقات عارضين بضاعتهم، كاتبين على عبواتها أسماء أمراض يدّعون أنها تعالجها، وكثرت في الأحياء دكاكين امتزج فيها بيع التوابل والعطور بالنباتات الطبية، إذ يقوم الباعة فيها بسماع شكوى المرضى ثم يبيعون لهم بعض النباتات «المعالجة لأمراضهم!»، ولم يقف الأمر عند حد هؤلاء، بل زاد الطين بلة أن قنوات تلفازية عديدة تقوم بحملات إعلانية منظمة ومكثفة عن أعشاب طبية تداوي أمراضا، أنّ الناسُ من آلامها، وعجزت الأدوية الكيميائية عن علاجها، ولما تحطمت آمال المرضَى على عتبات الأطباء المغالين في أجورهم، وأرهقهم سعر الدواء الكيميائي، دفعهم ما تبقى لديهم من أمل لطَرْق باب باعة الأعشاب الطبية، لعله يتحقق لهم من خلاله ما يرجونه، وساهم في اتجاههم لهذا الباب رخص ثمن المعروض حينا، والاغترار بما في الإعلانات التلفازية من جذب وإغراء بالشفاء حينا آخر.

دكتوراه في الدراسات التراثية وتاريخ الصيدلة

تَـــرْكُ الأمـــر بـهـذه الـصـورة العشوائية الاستغلالية، وغياب الرقابة، نذير خطر يجب أن نتنبه له، وأن نعير الموضوع الاهتمام اللائق به كشفًا للحقائق؛ ليعلم الناس إلى أين يتجهون، ومع مَن يتعاملون؟ وأن التداوي بالأعشاب ليس بهذه السهولة، فالأعشاب ليست كلها صالحة للتداوي، والصالح منها قد تكون له آثار ضارة أكثر مما فيه من فوائد، كما أن جُلّ المتصدين لبيع الأعشاب يجهلون ما بها من مادة فاعلة، وطريقة تحضيرها، ومقدار جرعاتها، وقليل منهم اعتمد على المصادر القديمة فأخذ ما بها من معلومات قد لا تتناسب الآن مع ما تفشى بين الناس من أمراض لم يعرفها القدامى، كما تغيرت كثير من خصائص النبات نتيجة للتلوث البيئي مما جعل المادة الفاعلة في بعض النباتات غير مجدية؛ وعليه فالأمر يحتاج لضوابط يجب أن تُعْلَم لتكون الفائدة أرجى.

التداوي بالأعشاب قديمًا

ليس كل ما أنبتته الأرض يعد مصدرًا دوائيًّا، لكن الذي له علاقة بالتداوي من النبات هو ما احتوى كله أو بعض أجزائه على مواد فعّالة ذات قيمة دوائية علاجية، أو واقية من الأمراض التي قد تصيب الإنسان أو حتى الحيوان(١). ويرجع اهتمام كثير من علماء الصيدلة العرب بالنبات لأنه أحد أصول العقاقير الثلاثة: النبات، الحيوان، المعادن.

ولم يُعْنَ بالنبات تدوينًا ودراسةً إلا بعد أن تُرجمت العلوم، واطلع العلماء على كتاب ديسقوريدس(٢)، فبدأت التآليف العربية تسلك طريقها لترسيخ قواعد هذا العلم وتطويره، وبعد استقلال الصيدلة عن الطب، وتخصُّص العلماء فيها، وإفرادها بالتأليف اهتم العلماء بالبحث الميداني عن النباتات في مظان وجودها، فخرجوا إلى السهول والجبال، وجابوا البلدان لاكتشاف المزيد منها، للتحقق من أعيانها، ومعرفة زمن نباتها، ومراحل نموها، وموعد جَنْيِها، ووصفها وصفًا دقيقًا للتفريق بين المتشابهات منها، حتى لا يُنسب تأثير دواء لآخر.

وكان ابن البيطار ممن عُنُوا بهذا الأمر، إلا أن رشيدالدين الصُّوري قد انفرد بطريقة جديدة وصفها ابن أبي أصيبعة بقوله: «وكان يصحب مُصوّرًا ومعه الأصباغ واللّيَق(٣) على اختلافها وتنوعها، وكان يتوجه إلى المواضع التي بها النبات، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختص كل منها بشيء من النبات، فيشاهد النبات ويحققه، ويريه للمصور، فيعتبر لونَه ومقدارَ ورقه وأغصانَه وأصولَه، ويصوّرها بجنسها ويجتهد في محاكاتها. ثم إنه سلك في تصوير النبات مسلكًا مفيدًا، وذلك أنه كان يُري النباتَ للمُصَوّر في إبّان نباته وطراوته فيصوره، ثم يريه إياه أيضا وقت كماله وظهور بذوره فيصوره تلو ذلك، ثم يريه إياه أيضا في وقت ذواه(٤) ويبسه فيصوره(٥)». وهذا المنهج منح العلماءَ فرصةَ التعرف على مراحل نمو النبات ومراقبته وإجراء التجارب عليه في كل مرحلة للوقوف على فوائده العلاجية.

ليس كل ما أنبتته الأرض يعد مصدراً دوائياً ومن الخطر ترك التداوي بالأعشاب من دون رقابة

الدواء النباتي والحرارة

كما استطاع العلماء العرب من خلال التجربة والاختبار التعرف على كثير من العوامل المؤثرة في قوة فاعلية الدواء النباتي وضعفها، فعرفوا أن الحرارة تؤثر بالسلب في بعض النباتات، كالخيار شنبر(٦) إذا طبخ (غلي) سقطت قوته؛ لذا لا يمس بنار(٧)، وعرَفوا أن لكل جزء من النبات طريقة تناسبه في إعداده ليصلح دواء؛ فالعصارات لا تطبخ مطلقًا. والأصول (الجذور) إن كانت من أشجار وجب طبخها. والثمار والأوراق تُحدّد طريقة طبخها حسب حالة جرمها(٨).

ووقفوا على تأثير مجاورة بعض الأدوية في بعض. فقد تكون المجاورة محمودة مفيدة كمجاورة الفُلفُل والكافور والتين لدُهن النّفط، ومجاورة الساذج(٩) للزنجبيل. وقد تكون مضرة كمجاورة الحلتيت(١٠) للعنبر. وحذروا من اجتماع بعضها مع بعض في تركيب واحد، فالإهليلجات(١١) لا تدخل في تركيب الحقنة لما فيها من العفوصة(١٢) والقبض فتحبس الدواء. ورأوا عدم المبالغة في سحق بعضها كالغافث(١٣) والصموغ، وحذروا من سحق الكندر(١٤) والفستق والأشّق(١٥) في النحاس لأنه يتحلل منه زنجار(١٦) يفسد الدواء.

العلماء العرب من خلال التجربة والاختبار استطاعوا التعرف على كثير من العوامل المؤثرة في قوة فاعلية الدواء النباتي وضعفها

وأدركوا فوائد حرق بعضها، ومقدار ما تحتاجه من حرارة. وأيها يُغسل قبل استعمالها، وأيها يفسده الغسل؛ فالهندباء(١٧) لا تمس بماء لمفارقة جوهرها اللطيف بمجرد الغسل(١٨). وحذروا من غسل البقول، وحثوا على غسل الفواكه وخاصة العنب.

وعُنوا بطرق تخزينها وحفظها؛ فلا توضع العصارات مع الأصول الأجنبية(١٩)، ولا الأوراق مع الثمار، ولا الحَّب والورق. وخير ما حُفظ النبات إذا كان مقلوعًا في أوانه مجفّفًا من الرطوبة البالّة. وتُحفظ الصموغ في أخشابها، أو في الرصاص أوالفضة. ولا تُجعل الأوراق في زجاج، وإذا أريد تخزينها فيجب أن تختار سليمة من الغش. وحددوا موعد تخزين كثير من النباتات(٢٠)، وأوقات جنيها؛ فالأوراق تجنى بعد تمام النمو، وقبل تغير لونها أو سقوطها. والبذور تلتقط بعد أن يستحكم جرمها وتنتفي عنها الفجاجة(٢١) والمائية. وتؤخذ الأصول بعد سقوط الأوراق، وتجنى القضبان وقد أدركت ولم تأخذ في الذبول. والزهر يُجمع بعد التفتح التام، ويفضل جني المحصول في حالة صفاء الجو، والحذر من جنيه في حالة رطوبة الهواء، أو قرب العهد بالمطر، وتجنى الصموغ بعد الانعقاد وقبل الجفاف التام(٢٢). وعرفوا تأثير البيئة في النبات؛ فالعقاقير البرية أقوى تأثيرا من البستانية، والجبلية أقوى من السّهلية، كما عرفوا مقادير الجرعات الدوائية، وآثارها الجانبية، وكيفية التغلب عليها، وبديل الدواء النباتي عند

عدم وجوده.

فمعرفة الصيادلة العرب كل هذه الخصائص أعانتهم على تجويد عملهم، وتحقيق أكبر قدر من الفائدة العلاجية.

التداوي بالأعشاب حديثاً

وفي العصر الحديث تطورت الأبحاث الدوائية، وسيطر على صناعة الدواء عدة دول أوروبية تنتج تقريبا ٧٥٪ من الإنتاج العالمي، واستطاعت تحقيق أرباح كبيرة نتيجة تصدير الأدوية للدول الأخرى، ومن هذه الأدوية نسبة كبيرة تتكون من مواد كيميائية مخلّقة، وأدرك العالم أن كثيرا من الأدوية الكيميائية أصبحت آثارُها الجانبية أكبر من فوائدها، وأن هناك حالات مَرَضِيّةً يصعب معها استخدام العقاقير

أثبتت التجارب والتحاليل الكيميائية أن النباتات الطبية التي تزرع زراعة منظمة تكون المادة الفعالة فيها أكثر كمًّا وتركيزا

الكيميائية خوفا من تفاقم حالة المريض، وإصابته بأعراض ضارة، ولمواجهة هذه المخاطر الاجتماعية والصحية كان لمنظمة الصحة العالمية وقفة أصدرت على إثرها تقريرًا بتاريخ ٥ من نوفمبر ١٩٧٧م يحض على الإفادة من مصادر الطب الشعبي؛ لتوفير الرعاية الصحية للكثير من الشعوب(٢٣). وأن النباتات الطبية التي تحققت لها الضوابط الصحيحة أثبتت فاعلية في علاج مثل هذه الحالات. واللجوء إليها في العلاج سيقلل من الآثار الضارة التي حاقت بالناس، وأنها ستوفر بدائل رخيصة الثمن لأدوية مصنّعة باهظة الثمن، ويمكن إدماج الأدوية النباتية مع الكيماوية المصنعة للإفادة من الجوانب الإيجابية لكلا النوعين، وبذلك تتوفر أدوية مأمونة رخيصة الثمن، تفيد في مقاومة وعلاج الكثير من الأمراض.

وبالفعل بدأت دول غربية عديدة كألمانيا وكندا وأستراليا تهتم بالأعشاب الطبيعية، وخصصت بعض الدول كالهند والصين كلياتٍ ومعاهدَ تُعنَى بتخريج أجيال متخصصة في العلاج بالنبات(٢٤). وفي باكستان يوجد عدد من كليات الطب تسمّى «كليات الطب الشرقي» تُخرِّج أطباء تعتمد وصفاتهم العلاجية على النبات والأعشاب، وأنشئ مجلس قومي للطب الشعبي مهمته وضع المعايير، وعقد الامتحانات، وتحديد المناهج الدراسية(٢٥)، وهذا دليل على أن اللجوء للتداوي بالنبات لابد أن يكون

خلاصة النباتات في أوان زجاجية ... للعلاج

تحت إشراف علمي متخصص.

التجارب والتحاليل الكميائية

وقد أثبتت التجارب والتحاليل الكيميائية أن النباتات الطبية التي تزرع زراعة منظمة تكون المادة الفعالة فيها أكثر كمًّا وتركيزًا؛ لأنها تزرع في مواعيد مناسبة، وأرض ملائمة، وبتقاوٍ مُنتخَبة موثوق بها، وريّ مناسب، وتسميد بالمواد العضويّة الطبيعية، ووقايةً من الآفات، وبُعْدٍ عن أماكن التلوث البتروكيماوي، وحصادٍ عند اكتمال نضجها، ووصول المواد الفعالة فيها إلى أقصى درجات التركيز، وتجفيفها بواسطة أشعة الشمس غير المباشرة، أو بالأفران الكهربائية المخصصة لذلك، وعدم تكديس بعضها فوق بعض إلا بعد تمام جفافها، حتى لا تصاب بفطريات العفن أثناء التخزين.

هذه النباتات تكون أفضل من غيرها التي لا تلقى ذلك.

وحتى تؤدي هذه الأدوية الغاية منها على أكمل وجه لابد من مراعاة عدة أمور:

١ - وجود الطبيب الماهر القادر على تشخيص الداء، العالم بالدواء النباتي الذي يعالج به، الملم بما في المادة النباتية من أثر فعال، القادر على تحديد كمية الجرعة الدوائية، ووقت استخدامها، وطريقة تجهيزها وعدم تداخلها وتضادها، وكيفية إصلاح مضارها، وبديلها عند عدم وجودها.

٢ - لابد من تقييم المادة النباتية الطبية بالتعرف عليها ودرجة نقاوتها وقيمتها؛ وذلك بأخذ العينة المناسبة من الكمية والممثّلة للحالة التي عليها هذه المادة، ويكون تحديدها باختبار الشكل والحجم واللون والمظهر والملمس والرائحة والطعم والمميزات الأخرى ومطابقتها للمواصفات المعروفة لها، وقد يستخدم الاختبار المجهري لمكونات الأنسجة والخلايا.

وتعتمد النقاوة على خلو المادة النباتية من الشوائب العضوية والمعدنية، كزيادة نسبة أجزاء السيقان، أو أجزاء من نباتات أخرى وغيرها في الأوراق، أو وجود بعض الحشرات، أو مخلفات الحيوانات، أو رمال وأتربة بها، كما تحدد نسبة الرطوبة بها، واختبار وجود الألياف ونسبتها في بعضها. كما تقدر قيمتها بتحديد تركيز المادة الفاعلة بها عادة على أساس الوزن إلى الوزن الجاف بالنسبة المئوية (٢٦).

وهذه الدعوة توضح إلى أي مدى يمكن للنباتات الطبية المساهمة في علاج ومواجهة العديد من الأمراض إن أُعدّ القائمون عليها والمشتغلون بها إعدادًا علميا صحيحًا، وروعي في زراعتها وجمعها وتخزينها الضوابط السليمة، فهل راعى باعة الأعشاب الطبية، والمعلنون المتربحون هذه الضوابط؟

الهوامش

١ - على هامش النباتات الطبية واستخداماتها: مصطفى كامل، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧ص ٣.

٢ - ديسقوريدوس: طبيب يوناني، ولد سنة ٤٠م تقريبا بعين زربة، درس الطب بأثينا، شغل بدراسة الأعشاب الطبية، وله كتاب شهير يعرفه العرب باسم «كتاب الحشائش» أو «المقالات الخمس» أو «الأدوية المفردة»، وتوفي سنة ٩٠م.

٣ - الليق: جمع ليقة، وهو ما في الدواة من صوف متشبع بالحبر، والمراد الدواة.

٤ - أي في وقت ذبوله.

٥ - عيون الأنباء: ابن أبي أصيبعة، تحقيق: د.عامر النجار، الهيئة العامة للكتاب، بدون تاريخ: ٤/ ٢٧٠.

٦ - خيار شنبر «جنبر»: شجرة كقدر شجرة الجوز، وورقه كورقه، إلا أنه أصلب منه وأصغر قليلا، وأطرافه حادة، وله زهر عجيب في حسنه كأنها عرجون زهر، واسمه العلمي: Fistula L. Cassin.

٧ - تذكرة أولي الألباب: داود بن عمر الأنطاكي، المكتبة التوفيقية، القاهرة: ١/ ٣٣.

٨ - الجرم: هو جسد الشيء أو جسمه.

٩ - الساذج: ورق يظهر على وجه الماء، بمنزلة عدس الماء، وليس له أصل، يجمع ويشك في خيوط كتان ويجفف، وهو من فصيلة: Lauraceae، واسمه العلمي: Cinnamomum.

١٠ - الحلتيت: صمغ راتنجي، يعرف بأبي كبير.

١١ - الإهليلج: شجر ينبت بالهند وكابل والصين، ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار.

١٢ - العفوصة: بشاعة ومرارة وتقبض في طعم المأكول أو المشروب يعسر معها الابتلاع.

١٣ - الغافث: عشبة معمرة من الفصيلة الوردية تتواجد في منحدرات الجبال، وهي من الأدوية القابضة.

١٤ - الكندر: هو اللبان الذكر.

١٥ - الأشق: ويقال أشّج. صَمْغ شجرة كشجرة القثاء في الشكل، صغيرة دقيقة الساق، مزغبة إلى بياض، زهرها بين حُمْرَة وزرقة. من فصيلة: Umbelliferae، واسم نباته العلمي: Dorema ammoniacum.

١٦ - الزنجار: صدأ النحاس.

١٧ - هندباء: يمد مع كسر الدال، ويقصر مع فتحها، وهي بقلة من فصيلة: Compositae، واسمها العلمي: C. endivia L..

١٨ - تذكرة أولي الألباب: ١/ ٣٣.

١٩ - أي مع جذور أشجار غير أشجارها.

٢٠ - المصدر السابق: ١/ ٣٤، ٣٥.

٢١ - الفجاجة: عدم النضج.

٢٢ - القانون في الطب: ابن سينا، تحقيق: إدوار القش، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٠٨/١٩٨٧: ١/ ٣٦٢.

٢٣ - النبات الطبي والعلاج العشبي عند العرب: عادل زايد، بحث ضمن بحوث الندوة القومية الأولى لتاريخ العلوم، جامعة بغداد، مطبعة الرشاد، بغداد: ١/ ٧٤.

٢٤ - الأعشاب دواء لكل داء: فيصل بن محمد العراقي، الطبعة الأولى، ١٤١٣ ص١٣.

٢٥ - التداوي بالأعشاب والنباتات: عبد اللطيف عاشور، مكتبة القرآن، القاهرة: ١٢.

٢٦ - على هامش النباتات الطبية: مصطفى كامل، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى، ١٩٦٧، ص ١٩، ٢٠.

عبادة السيد نوح abadanooh@hotmail.com

مدرسة الابتلاء

من المعلوم أن الإنسان يمر في هذه الدنيا بمختلف الحالات من العواطف والانفعالات باعتبار انه بشر مكون من روح وجسد ، وبالتالي يتعرض للمتغيرات الحياتية بأقدار إلهية من خلال عمله في سبيل إتمام العبودية بهذه الدار.

ونحن إذ نستقبل شهر رمضان الكريم- أعاده الله علينا وعليكم باليمن والبركات- نقدم وصفات إيمانية، ولمسات وجدانية لإنسان يتعايش مع المرض الخبيث، راجيا من الله الشفاء التام، ومن الناس الدعاء في ظهر الغيب، ومن النفس الرضا بقضاء الله وقدره.

ولعل الابتلاء بالمرض يكون مدرسة تربوية لمن وعى حقيقته، وفهم مقاصده، وعلم مغزاه، فإذا كان المرء مؤمنًا حقًّا فإن كل أمره خير، وما أصابه سبب في تكفير خطاياه التي اقترفها بقلبه وسمعه وبصره ولسانه، وسائر جوارحه، وقد يكون للعبد منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، ولكن العبد لم يكن له من العمل ما يبلغه إياها، فيبتليه الله بالمرض وبما يكره، حتى يكون أهلًا لتلك المنزلة ويصل إليها.

والمحنة تتحول إلى منحة إذا فقه المؤمن فلسفة الداء، وعلم ما وراء المرض، وهذا ما وجد في قلب من أصيب بالمرض الخبيث ليقدم خلاصة ما استشعره وفهمه من تجربة الصراع مع الداء، وكيف يمكن الانتصار عليه بسهولة ويسر.

فقد علمه المرض الزهد في الدنيا، حتى شعر بأنه غريب أو عابر سبيل كما قال رسولنا المصطفى ﷺ، فالإنسان عندما يبتلى بداء خطير يرى أنه وحيد في هذه الدنيا ولن ينفعه احد إلا عمله باعتبار أنها معركة حياة أو موت، ولكن يتيقن أن هذه الدار فانية، وأن هناك دارًا أعظم منها وأجل قدرًا ألا وهي الجنة.

وعلمه أن الابتلاء يعدل مسار حياة الشارد، فمن يسير في طريقين متناقضين من قول وفعل، يحتاج إلى علامات وآيات توقظه من سباته، وتردِه إلى ربه، وتذكره بمولاه بعد أن كان غافلاً عنه، وتكفه عن معصيته بعد أن كان منهمكًا فيها.

وعلمه مفهوم الاحتساب، فكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أيها الناس احتسبوا أعمالكم.. فإن من احتسب عمله كُتب له أجر عمله وأجر حسبته» وهذا ما يتلمسه في كل وخزة إبرة أو ألم جسدي أو ضيق نفسي.

وعلمه عمليا نصف الإيمان، ألا وهو الصبر، خاصة أن المرض مقدر من عند الله، وهذا مصداقا لقوله تعالى ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ (التوبة:٥١)، فعندما يعلم المؤمن أن محبة الله له تكون مع عظم الابتلاء، وأن الله هو الحكيم يضع الأشياء في مواضعها اللائقة بها، يرى أن ما أصابه هو عين الحكمة، كما أنه عين الرحمة، وهذا مصداقا لقول رسولنا ﷺ: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم».

وعلمه معنى مقاومة كل ما ينافي الفطرة السليمة، وكيف يمكن أن تجاهد النفس الشريرة، وتجابه المفسدين، وتحارب المعاصي والذنوب، وتقاوم المنكرات ومداخل الشيطان ومزالق الطريق.

وعلمه أن قيمة الإنسان لا تقاس بمظهره وإنما بجوهره، فبالرغم من شحوب الوجه وتساقط الشعر، فإن الجوهر مازال مرتبطا بالخالق الأحد، وهذا مصداقا لقول رسولنا الكريم ﷺ «إِنّ اللّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» (رواه مسلم).

وعلمه الثبات والنجاة في وقت المحن، فلا نعلق القلب بغيره سبحانه، ولا نظن أن المخلوق يملك لنا شيئًا حتى ولو كان أكبر طبيب استشاري في العالم، ولنعلم أن المقادير، وأن الكون كله بيده سبحانه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (إبراهيم: ٢٧)

وعلمه أنه في قمة المحن تأتي البشارات الربانية للقلوب برضا الله لتتلاشى معها أشكال البلاء كافة، وهذا ما تحقق للمريض مع اليسر في العملية الجراحية، ونتائج الأشعة والتحاليل، والرؤى المنامية، والاطمئنان النفسي، وسؤال الأحبة والإخوان.

أخيرا هذه المحطات تعلمها من مدرسة المرض الخبيث، وفيها نفحات قلبية ووقفات روحانية للعبرة والعظة، فالبلاء حاصل لهذه الأمة، وخاصة من يقوم بأمر الله ويعمل لدينه، ولكن من أراد أن يحيا كبيرا ويموت كبيرا فعليه أن ينتصر على كل ما هو خبيث وضال.. والله ولي التوفيق.

لغة وأدب

قضية لا تحتمل التسويف

حمى الحق سبحانه وتعالى القرآن الكريم معنى ولغة عندما قال ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر: ٩)، وبهذا كتب للغة العربية الدوام والحماية من الاندثار والزوال كما اندثرت اللغات الأخرى، وتعرف اللغة العربية عالميا بلغة الضاد، لأنها تنفرد بهذا الحرف دون لغات العالم قاطبة، بالاضافة الى انها تحتوي على حروف الثاء والحاء والذال والظاء والعين والغين وغيرها، وكل هذه الحروف أو بعضها ليس موجودا باللغات الأخرى، فمثلا حرفا الحاء والخاء ليسا موجودين باللغة الإنجليزية. كما تشتمل اللغة العربية على الحركات الاعرابية من فتحة وضمة وكسرة، ولهذا وغيره تعتبر اللغة العربية من أغنى لغات العالم، وتعريب العلوم يعني تطوير واستخدام اللغة العربية لعرض العلوم باعتبارها لغة من لغات العلم والتكنولوجيا كالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وهذا يستدعي ترجمة الألفاظ والمصطلحات وتعريب التعليم بحيث تكون اللغة العربية لغة التعليم في كل مراحله.

إن الدراسة باللغة الأم خاصة إذا كانت هذه اللغة عريقة كاللغة العربية من شأنها أن تسهل استيعاب المادة العلمية وتخرجها الى ثقافة الجماهير بدلا من أن تظل حبيسة قلة من الدارسين والمتخصصين وهذا من شأنه أن يعمل على نشر العلم بين أبناء الأمة العربية والإسلامية حتى نكسر ذلك الستار الحديدي الذي يعزل المجتمع عما يدور بأروقة البحث العلمي نتيجة تحدث العلميين بلغة أجنبية لا يفهمها سواد الأمة.

وتعريب العلوم له دور آخر وهو توحيد جهود الأمة العربية نحو هدف سام والالتفاف حوله مدفوعين بهدف واحد ومصير واحد ودين واحد وبالتالي نستطيع الخروج من دائرة التخلف يدا واحدة ونوهن طوق التبعيات الاقتصادية والثقافية والعسكرية التي مازالت تسيطر على أجزاء من الوطن العربي.

إن الجامعات في اليابان تدرس العلوم والتكنولوجيا بلغتها الأم منذ عهد امبراطورها «المايجي».

والصين تدرس بلغتها الأم وفرنسا وألمانيا وإيطاليا كذلك، دون أن يكون هناك انخفاض في المستوى العلمي لأي من هذه الدول مقارنة بالمستوى العالمي.

الشافعي منصور

«اللغة العربية في الإعلام» في مجمع اللغة العربية

محمد عويس

اللغة العربية هي وعاء العصر في كل المجالات العلمية والثقافية والأدبية، بالإضافة الى المجالات السياسية والفنية، حيث يصب في خطاب اللغة في الإعلام كل ما ينتجه العصر ويبدعه من خلال التأليف والترجمة والتعريب والنحت والقياس والاشتقاق والمجاز بصوره المختلفة، وهذا يجعلنا نستشعر خطورة دور تأثير اللغة المستخدمة في وسائل الإعلام إيجابا وسلبا وتعاظمه يوما بعد يوم، ويسعى مجمع اللغة العربية إلى إحداث التوازن المعقول بين عوامل المحافظة وعوامل التجديد، لذا تتوافر تساؤلات عدة: إلى أي حد يمكن ان تتبنى وسائل الإعلام العربية لغة صحيحة سهلة، بعيدة عن التقعر واستخدام المهجور من المفردات والتراكيب؟ وإلى أي حد يمكن مواجهة ما فشا من إعلانات في الصحافة وفي الإذاعة والتلفزيون والفضائيات باللهجات العامية والمحلية؟ وهل يمكن للمجامع اللغوية أن تنسق فيما بينها من أجل استكمال مشروع الرصد اللغوي الوظيفي الذي يمثل اللغة الأساسية في الاستخدام التعليمي التربوي والاعلامي والعلمي والمجمعي؟.. ومن هنا جاءت أهمية مؤتمر مجمع اللغة العربية السنوي (اللغة العربية في الإعلام) في دورته السادسة والسبعين حيث تناولت أوراق المؤتمر المحاور التالية: تأثير وسائل الإعلام في اللغة العربية، وسائل الإعلام والاستجابة الآنيّة لاحتياجات اللغة، لغة الإعلام بين الفصحى واللهجات العامية، مظاهر الحداثة في الفصحى المعاصرة من خلال وسائل الإعلام، لغة الإعلام والتوسع المعجمي للفصحى المعاصرة، دور الفصحى في التعبير عن الهوية العربية من خلال وسائل الإعلام، وسائل الإعلام والإعلان بالعامية وبالألفاظ الأجنبية، أهمية الإعداد اللغوي للإعلاميين على مستوى الدراسة الأكاديمية وفي مجالات العمل.

رئيس مجمع اللغة العربية د.محمود حافظ دعا علماء المؤتمر والمشاركين فيه إلى وضع استراتيجية وآلية للنهوض باللغة العربية والإعلام على حد سواء، والتفاعل بينهما في الاتجاهات وعلى أوسع نطاق، وطالب حافظ بإقامة مؤتمر عالمي للغة العربية تقوم به المجامع اللغوية في الوطن العربي والجامعة العربية وكافة الهيئات والجمعيات اللغوية والثقافية، يتناول بالدراسة والبحث والتحليل حاضر اللغة العربية ومستقبلها، ويضع الحلول لتعود اللغة العربية إلى سابق عزها ومجدها.

شارك في المؤتمر أعضاء المجمع من داخل مصر وخارجها، والأعضاء المراسلون العرب والأجانب، وخبراء المجمع المصريون، وصفوة العلماء الأعلام في اللغة والأدب ومختلف العلوم والفنون في مصر وجميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى كبار الشخصيات العامة المصرية والعربية والأجنبية من الدول المختلفة، منها ليبيا والأردن وفلسطين والعراق وقطر والسودان والجزائر وتونس والمغرب والسعودية وسورية واليمن والكويت وإيران وموريتانيا وإسبانيا وأميركا والمجر وإنجلترا وتركيا وهولندا ورومانيا والسنغال ونيجريا وإندونيسيا والصين وباكستان وأوزبكستان واليابان والهند وأذربيجان وكازاخستان...وغيرها.

ومن الأبحاث التي ناقشها المجمعيون «الإعلام والإعلان» للدكتور عوض بن حمد القوزي من السعودية، والذي أشار إلى أن إعلامنا العربي وقع تحت تأثير الربح والخسارة بفعل المنافسة الفضائية، وانتقال معظم قنواته إلى أيدي القطاع الخاص الذي يسعى إلى الكسب المادي فضحى بالمكتسبات اللغوية، وعرض القيم التي كانت مرعية في المجتمع العربي إلى مباحات عالمية، واتجه في لغته إلى العامية التي تيسر له الرواج فأسهم هذا التوجه في تكوين الحصيلة اللغوية لدى أفراد المجتمع بشكل عام، والأطفال بشكل خاص، ويلفت القوزي إلى أن هذا المكون لم يراع الهدف اللغوي الذي تنشده الأمة، الهدف الذي ينمي الحصيلة اللغوية لدى الناشئة والعامة بما يتفق والعربية الفصيحة التي توحد الوطن العربي كله، بل أسهم في ترسيخ العاميات المنتشرة على طول الوطن وعرضه.

واستعرض عادل نورالدين رئيس معهد الإذاعة والتلفزيون المصري في ورقته واقع وطموحات تدريب اللغة العربية في المؤسسات الإعلامية المسموعة والمرئية، مشيرا إلى وجود مشكلة حقيقية في ممارسة اللغة العربية وتعليمها وتدريسها

صحفي مصري

في المنطقة العربية ترمي بظلالها على الأداء الإعلامي العربي بشكل عام وعلى مستوى الإعلاميين لغويا، وتحتاج الى اهتمام ووعي بأعراضها ونتائجها بالقدر نفسه الذي تحتاج فيه إلى علاج مواطن الخلل والضعف، بالإضافة إلى افتقاد معظم هذه المؤسسات إلى وجود كتاب الأسلوب Stylebook الذي يُعد مرجعا لا غنى عنه لكل إعلامي وكل مؤسسة إعلامية، فهو لا يحدد فقط الصواب والخطأ في كتابة وقراءة اللغة العربية، بل يتسع أكثر من ذلك ليوحد استخدام المفردات والجمل اللغوية حتى لا نجد قافلة يسير كل عضو من أعضائها في اتجاه، وحتى تكتمل شخصية الوسيلة الإعلامية وتتميز عما سواها.

وتوقف د.عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني في دراسته «من مزالق لغة الإعلام العربي» عند بعض الكلمات والمصطلحات الشائعة الاستعمال في لغة الإعلام العربي في الوقت الحاضر من حيث دلالاتها وما تحمله من إيحاءات، وقدرتها على الإبانة، وأيضا على التمويه والغموض وتغيير المفاهيم والاتجاهات من أجل تحقيق أهداف خارجية تعادي في جوهرها مصالح الأمة العربية وأهدافها الأصيلة وقيمها، ومن هذه الألفاظ لفظة «مستعمرة» وإحلال كلمة «مستوطنة» مكانها في لغة الإعلام في الوقت الحاضر، والسلطات الصهيونية درجت على استعمال المصطلحات باللغة الانجليزية «SETTLE» ومشتقاتها «TOSETTLE» و «SETTLEMENT» وتجنبت استعمال «COLONY» ومشتقاتها، كما تحرص جميع الأدبيات العالمية التي تترجم في الوقت الحاضر هذه المصطلحات العربية ولاسيما الانجليزية والفرنسية على استعمالها بمعانيها وإيحاءاتها في السكن والإقامة الدائمة بعيدة عن معنى «الاستعمار» و«المستعمرات» وإيحاءاتها التاريخية.

جانب من المؤتمر

وعن دور الفصحى في التعبير عن الهوية العربية من خلال وسائل الإعلام أشار د.عبدالعزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (ايسيسكو) إلى دراسة إحصائية حديثة بينت أن عدد القنوات التلفزيونية الفضائية المجانية وصل إلى ٤٧٤ قناة في العالم العربي، وأن عدد هذه القنوات قد نما بنسبة ٢٨,١٪، وتصدرت القنوات العامة المملوكة من قبل القطاع الخاص قائمة القنوات المجانية، وتليها القنوات المملوكة من قبل الجهات الحكومية، وجل هذه القنوات لا تحترم اللغة العربية، ولا تراعي سلامتها وصحتها فيما تبثه من برامج، لذلك يرى التويجري أن قيام وسائل الإعلام العربية بالإسهام في نشر الثقافة العربية الإسلامية من خلال برامجها المختلفة سيكون له اثر كبير في تعزيز الهوية العربية وترسيخ مقوماتها في عقول الجماهير العربية، وهذا لن يتأتى إلا بسياسات إعلامية جادة تمنع التسطيح الثقافي واللغو الفني والركاكة اللغوية السائدة، والمسؤولية هنا تقع في المقام الأول على وزارات الإعلام التي من مهامها الإشراف على العمل الاعلامي في الدول العربية، ولها حق سن التشريعات والتنظيمات والضوابط التي تحكم هذا العمل.

اللغة العربية لغير الناطقين بها.. دوافع تعلّمها والصعوبات التي تعترض ذلك

اللغة منة الله العظمى، وميزة الإنسان الكبرى، لها قيمتها في مختلف ميادين الحياة البشرية، وهي الخاصية التي تميز بها الإنسان عن سائر الحيوان، فلغة الإنسان مقرونة بالفكر في إصدار الأصوات وتلقيها، يحكمها العقل وينظم عملياتها ولا يجعلها أصواتًا خالية من المعنى.

وتتطور اللغة وترتقي بتطور نضج الإنسان، ونضج عقله ورقي تفكيره. واللغة بهذا المعنى من خصائص الإنسان وحده دون سائر المخلوقات الأرضية الحية الأخرى، وكما أنها من خصائص الإنسان فإنها غاية منشودة في حياته الفردية والاجتماعية.

منزلة اللغة العربية

تبوأت اللغة العربية مكانة رفيعة بين اللغات، فقد اختارها خالق البشر وعاء الكتابه الخالد، كما أشار إليه قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين.على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين﴾ (الشعراء: ١٩٢ -١٩٥).

ومع نزول القرآن المجيد بهذه اللغة أصبحت هي اللغة السائدة في بلاد العرب والمسلمين. ومن هنا يمكننا القول بأن اللغة العربية ربطت بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها برباط فكري لفظي، لأن القرآن ليس مجرد مبادئ وتعاليم منعزلة عن الظاهر اللفظي بل إن إعجازه منوط باللغة العربية. وأن العربية بقدراتها وتراثها لجديرة بأن تكون وسيلة التفاهم بين الشعوب المسلمة في كل مكان وعونا على المحافظة على الوحدة الفكرية والمظهرية بين أفرادها وجماعاتها.

وترجع أهمية نشر اللغة العربية شرقا وغربا لمجموعة نقاط منها:

- أن اللغة العربية تلعب دورًا مهمًا وفعالا في مواجهة التحديات المعاصرة وذلك لأن انتشارها بين المسلمين المنتشرين في أرجاء العالم يساعدهم على تفهم دينهم ويزيدهم تمسكًا بطاقتهم الروحية.

- أن اللغة العربية هي وعاء القرآن الكريم؛ فهي تساعد على توطيد ركن التعارف وتوثيق عرى التفاهم بين أبناء الوطن العربي وبين أبناء البلدان غير الناطقة بها.

- أن اللغة العربية تساعد على التفاهم المتبادل فيما بين المسلمين حتى يتيسر إيجاد تفاهم مشترك يمكنهم من مقاومة التخريب الفكري الذي تمارسه الجهات المغرضة لتشويه تعاليم الإسلام الحقه وتقطيع ذلك الرباط الذي يربط بين أبناء الأمة الإسلامية برباط فكري وروحي.

وهناك طائفة أخرى من الدوافع أدت وساعدت على نشر اللغة العربية منها:

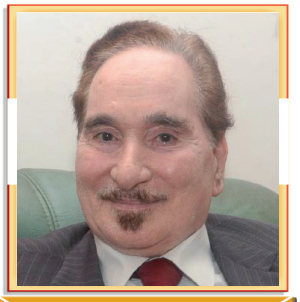

د. محمد أحمد عبد الهادي
أستاذ اللغة في جامعة قطر

الدوافع الدينية

إن الدوافع الدينية قديمة قدم الإسلام نفسه، وواسعة باتساع انتشاره في مختلف أنحاء البسيطة، منذ مجيء نصر الله والفتح ودخول الناس في دين الله أفواجا حتى وقتنا الحاضر.

وبدافع الدين الحنيف يندفع مئات الدارسين سنويا من الدول الإسلامية إلى الوطن العربي لتعلم العربية ابتغاء تحقيق فهم أفضل لتعاليم الدين، وليكونوا بعد عودتهم لأوطانهم علماء دين أو أئمة أو معلمين أو قضاة أو دعاة.

الدوافع العلمية

هذه الدوافع بدأ بعضها

منذ أمد بعيد، ولا يزال مستمرا حتى وقتنا الحاضر ممثلا بالمستشرقين من الدول الأوروبية المختلفة، وبعضها جديد متمثل بعشرات بل مئات الطلبة الوافدين إلى الأقطار العربية من الدول الصديقة النامية في آسيا وإفريقيا للدراسة في كلياتنا ومعاهدنا العليا والتخصص باللغة العربية أو العلوم التطبيقية والنظرية كالهندسة والطب والزراعة، والعلوم الإنسانية كالاقتصاد والإدارة والقانون.

الدوافع السياسية

هي دوافع تخص الكثير من الدبلوماسيين والصحفيين والمراسلين الأجانب المقيمين في الوطن العربي الذين يقدمون على تعلم العربية بهدف تحقيق فهم أفضل للحياة الاجتماعية والسياسية للبلد المقيمين فيه عن طريق الاستماع إلى الناس أو وسائل الإعلام وقراءة الصحف، وقد ينجذب هؤلاء إلى اللغة العربية بشكل يدفعهم إلى التعمق بدراسة الآداب والحضارة والعلوم العربية، ويكونون بذلك في بداية الطريق نحو الاستشراق أو الاستعراب الكامل.

الدوافع الاجتماعية

تتمثل هذه الدوافع في أعداد كبيرة من الزوجات الأجنبيات اللاتي قررن البقاء مع أزواجهن العرب والمعيشة في الوطن العربي بصفة مستمرة، ولتحقيق ذلك نجد هؤلاء الزوجات يندفعن إلى تعلم اللغة العربية لتحقيق قبولهن اجتماعيا، كما تتمثل في الكثير من الأجانب – وخاصة المسلمين منهم– الذين قرروا العمل والاستقرار في الوطن العربي.

إن البرامج المعدة لهؤلاء تركز على الجوانب الاجتماعية في المجتمع العربي المعاصر ابتغاء تسهيل الفهم الأفضل للحياة الاجتماعية والاندماج فيها.

الدوافع العملية

تحت هذه الدوافع نضع نوعيات متعددة من الخبراء الأجانب والفنيين والتجار والعاملين الآخرين في الوطن العربي كأساتذة وأطباء أو مهندسين ممن يتوجهون لتعلم ما يكفيهم من اللغة العربية، خاصة لغة المحادثة وبعض المصطلحات التي تتعلق باختصاصاتهم وأعمالهم، ويميل هؤلاء إلى المطالبة بتعلم اللهجات الدارجة في الأقطار التي يعملون بها، ولكنه اتجاه لا ينبغي إطلاقا تشجيعه لأن العامية لا تلبي أغراض المتعلمين الأجانب على المدى البعيد. ومن هنا وجب اختيار اللغة الفصحى منطلقا لتعليم العربية لغير العرب لأسباب علمية وعملية ومنهجية.

لولا حفظ الله تعالى للأمة الإسلامية وحفظ عقيدتها لزالت اللغة العربية مع توالي الهجمات عليها

وهنا يثور سؤال وهو: ما هي هذه الأسباب العلمية والعملية والمنهجية التي دعت لوجوب اختيار اللغة العربية الفصحى لهذا النوع من التعليم؟

والإجابة على ذلك ترجع إلى طائفة من العوامل المهمة منها:

– أن العامية تختلف من بلد عربي إلى بلد عربي آخر، وهي صورة من صور الكلام تحمل في طياتها فروقا متعددة، واختلافات شتى، سواء في الحروف أو النطق أو التراكيب الكلامية بحيث تخلو من خاصية الوحدة اللغوية التي تمثل العرب من حيث المجموع كأمة واحدة. ومن هنا تصبح هذه العاميات عاجزة عن سد حاجة المتعلم الأجنبي في الإطار العربي العام.

– أن العمل على نشر العامية في التعليم فيه مجانبة للصواب، ومخالفة للواقع المحسوس، أضف إلى ذلك أن العربية الفصحى إنما هي همزة الوصل بين أبناء الوطن العربي وبين مئات الملايين من المسلمين في البلاد غير العربية لكونها لغة القرآن الكريم ولغة العبادات ولغة العلوم الإسلامية.

– أن الفصحى تلبي أغراض الدارس الأجنبي وتفي بحاجته على المدى البعيد بحيث يسهل عليه الاستماع إلى أي عربي وفي أي بلد والتفاهم معه في صورة موحدة أو شبه موحدة، فلا يتعب في فهم العاميات المختلفة ذات المسميات المحلية الخاصة ببلد عربي دون آخر.

عرفنا أن اللغة العربية الفصحى هي الوعاء الحقيقي للقرآن الكريم والسنة والعلوم الإسلامية، وعلى ذلك فان الدارسين للغة العربية من أجل فهم القرآن والعلوم الإسلامية سيواجهون مشكلات كبرى وعديدة لو قدمت إليهم اللهجات العامية.

وجدير بالذكر أن اللغة العربية الفصحى لا تزال – بفضل القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وغيرها – تنتظم مجموعة من الخواص الأساسية للغة العربية، فجميع قواعدها ثابتة ومحددة بحيث يسهل فهمها وتناولها والتعايش مع التدريبات اللغوية وفقا لقواعد الإعراب وقوانين نظم الكلام وأحكام الصياغة والتصريف وغيرها.

الصعوبات التي تواجه تعليم اللغة العربية

– منذ القدم واللغة العربية تواجه الدعوات الهدامة التي تريد أن تفت في عضدها، وتقضي عليها، فالشعوبيون أول من هاجم العربية، وتبدل هذا الهجوم على مر الزمن بتبدل العصور، ولولا حفظ الله لهذه الأمة وحفظ عقيدتها لزالت هذه اللغة مع توالي الهجمات،

فكما حفظت هذه اللغة عقيدتنا الإسلامية فان الإسلام حفظها أيضا برغم كيد الماكرين وعنت الشعوبيين الجدد، إذ باءت كل هذه المحاولات بالفشل، ولا تزال لغتنا لغة حية.

- التخلف الحضاري الذي تعانيه الشعوب العربية، فاللغة تنشط بنشاط شعوبها وتحضرهم، وتجمد بجمودهم وتخلفهم، والشعوب العربية اليوم غير ناشطة حضاريا، مما يجعل لغتهم مقصورة ومقيدة بهم، لذا رماها أعداؤها بالعقم والقدم والضعف فتركت حياتها بيد خالقها وهي التي قالت على لسان حافظ إبراهيم منذ مائة عام:

رجعت لنفسي فاتهمت حصاتي
ونديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وتشير إلى العز الذي وصل إليه رجال الغرب بفضل لغاتهم التي أعزوها فأعزتهم، وبذلك أتوا بالمعجزات التي حققوها تفننا لبلادهم، ويا ليت أبناء العربية يأتون بالكلمات:

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة
وقد عز أقوام بعز لغات
أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا
فيا ليتكم تأتون بالكلمات

- حداثة المؤسسات التعليمية، مما جعل طرق التدريس في طور الارتجال والتجارب الشخصية، ومقارنة بسيطة بين تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتعليم الانجليزية لغير الناطقين بها تبرز لنا الفروق الواسعة بينهما.

فاللغة الانجليزية بلغت مرحلة متطورة ومتقدمة في مناهجها ووسائلها وموادها، وكل ما يتعلق بتعليمها لغير الناطقين بها، وهذا ليس بغريب لنتاج عمره يتجاوز قرنين من الزمان، بينما لا يزال تعليم العربية لغير الناطقين بها في مراحله الأولية.

- تدني مستوى بعض مدرسي العربية في كثير من بلداننا العربية، مما يمثل عقبة في نشرها صحيحة سليمة، وكذلك الأخطاء الفاحشة والعديدة التي يقع فيها محررو الصحف والمجلات العربية، وكذلك مذيعو المذياع والتلفاز، وبهذا الصدد يقول الشاعر المعاصر وليد قصاب:

وإذا يعلم في المعاهد عالم
أقصيت عن علم له وقضاء
ومذيع أخبار يطيش لسانه
ما ماز سينا قالها من ثناء

وعن الأخطاء التي يقع فيها محررو الصحف قال حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية:

أرى كل يوم بالجرائد مزلقا
من القبر يدنيني بغير أناة

- ومن الصعوبات التي حرمت لغتنا العربية من أبنائها النابغين الذين قد يسهمون في تطوير وسائل تعليمها وطرق تدريسها، اتجاه هؤلاء الأبناء أنفسهم إلى تعلم العلوم التجريبية، بهدف تحقيق الأهداف المادية وإهمال تعليم اللغة العربية النظرية.

- الزحف الحضاري الغربي، فالتيارات الغربية التي تجتاح لغتنا في عقر دارها، تفسد أذواق أبنائنا، وبشيء من التفكير يستطيع المرء أن يحصي كثيرا من الكلمات الأجنبية المنتشرة في حياتنا اليومية، بل العلمية أحيانا، فنحن نقول «بوتاجاز» ونقول «الراديو» ونقول «التلفزيون» ونقول «التليفون» ونقول «البنطلون» ونقول «ديمقراطية»

كلمات عديدة - ليست عربية - تستعمل في حياتنا اليومية. وهذا مما جعل الشاعر الغيور يقول:

كم زاحمتني ألسن عجمية
وعدت علي رطانة الهجناء

وبهذا الصدد أيضا قال شاعر النيل:

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى
لعاب الأفاعي في مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة
مشكلة الألوان مختلفات

علاج ومقترحات

بعد هذا العرض الموجز لقدرات اللغة العربية الفصحى، والمعوقات التي تعوق تعليمها، ينبغي لنا أن نبين بعض المقترحات المفيدة، التي تسهم في رفع مستوى اللغة العربية وهي في إيجاز:

١- إعادة النظر في بناء مجتمعاتنا فكريا وحضاريا، وإعادة الثقة لأفراده بلغتهم ومبادئهم ومثلهم، ومنحهم الصفة المميزة لهم.

٢- إعداد معلم اللغة العربية إعدادا سليما علميا وتربويا، والارتقاء بكليات التربية وتمديد فترة الدراسة بها إلى خمس سنوات بدلا من أربع.

٣- إعداد البرامج الإذاعية والمرئية المناسبة لتدريس اللغة العربية وتصحيح الأخطاء الشائعة على ألسنة العامة والدارسين.

٤- السعي على المدى الطويل إلى إحلال الفصحى مكان العامية في لغة التخاطب اليومي.

٥- استخدام النظريات المتطورة في تدريس اللغات، ومدى ملاءمتها للعربية.

٦- التأكيد والإسراع والاستمرار في عمليات التعريب وتهذيب المجتمعات العربية من الكلمات الأجنبية الشائعة.

المراجع

أحمد زكي صالح، نظريات التعلم، القاهرة ١٩٧١
داود عبده، نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا، الكويت ١٩٧٩
محمد أحمد عبدالهادي وزميله، التربية وطرق تدريس العلوم الإسلامية واللغة العربية، جدة ١٩٨٣
محمد أحمد عبدالهادي، المربي والتربية الإسلامية، جدة ١٩٨٤
محمد قدري لطفي، مشكلة ضعف الطلاب في اللغة العربية، محاضرات الموسم الثقافي - جامعة الملك سعود ١٩٧٣
محمد صلاح الدين مجاور، تدريس اللغة العربية بالمرحلة الابتدائية، دار المعارف.

لماذا أحبك؟

أسامة كامل الخريبي

أقلب في صحائف ذكرياتي
وأسأل- في غمار الصدق- ذاتي
لماذا كل هذا الحب يجري
بأعماقي ويصدح في لهاتي؟
لماذا يخفق القلب ابتهاجا
إذا ذكر الحبيب على شفاتي؟
وتلمع بالضياء حداق عيني
إذا ما مر طيفك في سباتي
ألست معرفي بالله ربا
تنزه عن ضلال الترهات
وبالإيمان والإسلام دينا
يضم سعادتي و به نجاتي
ألست حبيب رب العرش حتى
لترفع في الآذان وفي الصلاة
وتقرن باسمه في كل أمر
ومفتاح القلوب المؤمنات
وآواك المهيمن بعد يتم
وصانك عن فساد المرضعات
وعن نزق الجهالة في شباب
وعن خرف العقول المظلمات
فعشت مطهرا من كل عيب
وإن عصفت رياح المنكرات
وعشت الصادق المصدوق حتى
ليعنو تحت حكمك كل عات
ألست حبيبه حتى تصلي
بجمع الأنبياء من الهداة
وزادك فوقهم قدرا وفضلا
لتشفع للورى بعد الممات

وتحت لواء حبك كل حي
يريد الخلد في الجنات آتى
ومفتاح الجنان لديك سر
كأسرار الغيوب المحجبات
ألست مرقق الأرواح حتى
تحلق في سموات العظات
وتسمو حول بابك ثم تسمو
لتأتي بعدها بالمعجزات
فلا الشهوات تخطر في خيال
ترفع عن دنايا الموبقات
ولا الآثام تطرق باب عبد
تجرد للعبادة والصلاة
وإن حمي الوطيس فهم أسود
تبث الرعب في روع البغاة
صنعت بهم عبيدة والمثنى
وخالد للبطولة والثبات
لهم منك اقتداء واتباع
وتاريخا من القمم السراة
ألست موجه التاريخ حتى
بدا فجر الحضارة في الفلاة
وتجتمع القلوب عليك حتى
تثوب إليك من ظلم الشتات
وتغزو بالعقيدة أرض كسرى
وتهزم قيصر الروم الكماة
ملكت حضارة الدنيا فقامت
تصفق للعلوم الشامخات
وزال ظلامها في كل قطر
لتسطع بالنجوم الزاهرات

تسائل كل صقع عن منار
أضاء بعلمه شتى الجهات
وعن حسن وجابر وابن سينا
ومن بعثوا العلوم النافعات
لهم من حب سيدهم نصيب
ومن أثر الوصايا الباقيات
لقد تبعوا النبي هدى ونورا
يبث الروح في قلب الموات
وتنتفض الحقيقة حين يمشي
كأن الخطو من عبق الحياة
وتهتز الحدائق بعد جدب
وتبسم بالشقائق معجبات
فبين مسلم يحنو ويدنو
وبين مظلل لك في المشاة
وتدنو الشمس في عرس بهيج
بأضواء الكواكب مشرعات
أليس محمد في الكون نورا
تجسد في إهاب المكرمات
يضيء الكون في حلك الدياجي
بأضواء اليقين الناصعات
ويكشف بالهداية عن طريق
إلى الجنات مؤتلق السمات
فأنعم بالنبي رسول صدق
وبالقرآن نبع المعجزات
وزدني يا إله الكون حبا
لآل محمد الغر الأباة
فحب محمد يمحو الخطايا
وحب محمد طوق النجاة

عضو رابطة الأدب الاسلامي العالمية

الكويت في عيون الشعراء

عبدالهادي صافي

لكل عاصمة من العواصم العربية والإسلامية بريقها وجاذبيتها ومذاقها الخاص، والكويت هذه المدينة التي تقبع على الخليج العربي، وتمتد إلى جوف الصحراء، وبين البحر والصحراء عمارة وحضارة وتاريخ من الكفاح والنضال من أجل الحياة والبقاء.

وقد كان للشعراء العرب الذين عاشوا على أرضها وقفات في قصائدهم وأشعارهم، فقد رأوها في عيونهم وخيالهم الخصب واحة وملجأ لكل الأحرار في ليالي الضنى والأسى، وحين امتدت براثن الغدر والخيانة، وغزاها جارها بجيشه الوحشي، بكاها شعراء الغربة، ووقفوا معها بكل صدق وإخلاص، يبثونها نوازع الحزن والأسى لما صارت إليه من خراب ودمار بعدما كانت آية من الحسن والجمال، وقد عصفت بها الليالي ودمرتها رياح الجريمة النكراء في أغسطس الأسود.

لقد شارك شعراء الكويت محنتها، كما شاركوها الفرحة يوم نصرها واندحار العدو الغاشم:

في يوم فقدك قد بكيتْ
ولفقدي أمي ما بكيتْ
فلأنت أجملُ ما عشقتُ
وأنتِ أحلى ما رأيتْ
كنتِ الأمانَ لخافقي
في النائباتِ حمىً وبيَتْ

هذه المدينة الطيبة، هذه المدنية التقية النقية، كانت ملاذًا لكل من يبحث عن الأمن والأمان والحرية، ضمت الجميع إلى صدرها الحنون، وهذا أحد الشعراء يوم محنتها يبكي طفل الكويت في أتون محنتها فيقول:

هدْهدي يا كويت ليل الطفولة
فليالي الأطفال باتت ثقيلة
كنت أمنا من المحبة رحبًا
يغمر الطفل بالأماني الجميلة
فأفاقتْ منه الجوارحُ يومًا
ليرى الريح تستبيح الخميلة
ليرى في النهار شمسًا توارت
ويرى الليل كيف أرخى سدولهْ

وأنشد الشعراء أجمل القصائد وأروعها في تخليد مجدها ومآثرها وبطولتها، وصوروا في أشعارهم شجاعة أهل الكويت وبأسهم على عدوهم، كالآساد تدافع عن عرينها:

لا تسأل الآسادَ عن بأسها
أهل الكويت سيوفهم صارمةْ
الطامعون بأرضهم أدبروا
لما رأوا حصونهم راجمة
إن كشر الحاقد عن نابه
تبقى الكويت لغيظها كاظمةْ(١)

ولم يشعر المقيمون على أرضها الطيبة بالغربة والوحشة لأنهم في وطنهم وبلادهم، فشاركوا أهلها العطاء والبناء، يدًا بيد، وجعلوا من الكويت واحة في الصحراء:

ما ذقت في رهف احتضانك غربةً
ما رمت إلا أن يقر فؤادي
فعلى ثراك الخطو صار قصائدي
وعلى خطاك تحققي وجهادي

وهل كانت الكويت بالنسبة للعرب الوافدين مصدر رزق فحسب وبقعة نفط وكفى، يعود على أهلها وعليهم بالخير والنماء؟! أبدًا.. لم تكن في قصائد الشعراء هذه النظرة ولا هذه المعاني المادية، ولكنها كانت لهم مصدر السعادة والحرية، يعملون ويعبرون عن رأيهم بحرية تامة، ويعيشون يكتبون في صحفها بمنتهى الصدق والشفافية، وها هي الكويت تتحدث عن حالها وتصور نفسيتها وواقعها:

أنا لست من رملٍ وماءٍ إنني
من عسجد وزبرجد وقّاد
لا تحسبوني محض زيت أسود
هذي مقولة حاسدٍ حقّاد

وها هي الكويت مرة أخرى تصرح على لسان أحد الشعراء الوافدين وتصف حالها وترسم صورتها واضحة جلية، فهي الصبح والندى للأحرار المخلصين، وهي الموت والدمار إن غزاها الغازي:

أنا بنتُ هذا الصبح رقته الندى
وأنا المنية إن غزاني العادي
عيناي من وهجٍ وقلبي جمرة
من ذا يباري صولتي وجلادي

حقًا لقد لوّنت الكويت أحلام هؤلاء الوافدين بألوان مترفة وخيالات خصبة، لم

ناقد أدبي

يأت إليها إنسان إلا وقد أحبها، لأنها مدينة الأحلام والرؤى المخضلة بعبير الإيمان الملأى بمنابر الثقافة والعلم والأدب:

أنا قصد أحلام البرية كلها
أنا للوجود حديقة الإسعاد
أنا خفقة التوحيد في قلب الورى
قدسيّةُ الترتيل والأوراد
أنا أمكم.. أنا بنتكم.. أنا أختكم
والعشق محض تميمة بقلادي(٢)

يا لها من مدينة حرّة أبيّة، أهلها يتصفون بالشجاعة والكرم، والوافدون إليها من مختلف أصقاع الدنيا يشعرون فيها بالأمن والاستقرار، ويعيشون في كنفها في سعادة ورخاء، وهذا ما رصدته من قصائد فوّاحة بحب الكويت وأهلها من دواوين ومجلات صادرة في «الكويت»، وكم في الكويت من كتب وشعراء وكم حملت على أرضها من محبين معترفين بفضلها غير ناكرين مآثرها وخيرها وعطائها، وكم عاش على أرضها من شعراء كانت لهم في الكويت صور فنية رائعة، عاشوها في عقولهم وخيالهم ووجدانهم،

أجمع الشعراء الذين كتبوا عن الكويت على مدحها والثناء عليها والاعتراف بفضلها

وكانت لهم معينًا لا ينضب من المشاهد والصور.. فصاغتها قرائحهم شعرًا فنيا راقيًا لا تعوزه الفكرة، ولا يعوزه الوجدان ولا التعبير الفني، والصورة الشعرية في القصائد التي عرضت أبياتًا منها حية تفيض بالمشاعر وتمتزج بالأحاسيس، فهي ليست صورًا لفظية أو مشاهد باردة لا حياة فيها، وإنما كتبَت بنبضات القلوب، وإيحاءات الخيال معًا.

ولكن شاعرًا أراد أن يسدي النصيحة لابن الكويت كي يأخذ طريقه إلى معارج المجد والعلا، فهو يحثه على تحصيل العلم ليخدم وطنه ويبني حضارته.. فبنور الإيمان والقلم تبنى الأمم:

لك المجد يا ابن الكويت الأبي
من الشام ظلك للمغرب
لكي تسترد الكويت الجلال
تقحم بعلمك كلّ مجالْ
خُلقنا لنبلغ حَد الكمال
ونبني الحضارة صحبًا وآلْ
تقوم الكويت بعالي الهمم
وتبني بنور الهدى والقلمْ
بعلمك تغدو أعز الأمم
وتلحق بالركب أهل القممْ (٣)

وهكذا نجد أن هؤلاء الشعراء الذين عرضت شيئًا من شعرهم، قد اجتمعوا على مدحها والثناء عليها، والاعتراف بفضلها، وتصوير محاسنها ومآثرها، ولم نجد منهم مَنْ بالغ في وصف شعوره نحوها وأسرف في تقديرها وإنما كانت مشاعرهم صادقة لا يعتريها شيء من رياء ونفاق.. هاتين الصفتين اللتين ما دخلتا الشعر إلا أفسدته وقتلته، وأحس القارئ بالنفرة من هذا الشعر وقائليه.

هل كانت هذه الأشعار خالية من الروح الشعرية، مفتقدة لأهم مقومات الشعر وعناصره وهو التصوير؟! أبدًا فقد جاءت تحافظ على هذا العنصر المهم الذي يكسب الشعر الجمال والجلال، ويخصب عقل القارئ بالاستعارات والمجازات اللغوية والبلاغية، ناهيك عن رصانة الأسلوب، فقد أتت هذ الأبيات يتوافر فيها الأسلوب الشعري الصحيح الذي يوحي ولا يعلن، يرمز ولا يفصح، يبوح ولا يصرح، وهذا ما يميز الشعر من النثر.

الهوامش
١- ديوان نسيم الصباح، ص و ق صافي.
٢- مجلة الهوية، مختار عيسى.
٣- ديوان مخطوط، محمد دركوشي

شيخ الخطّاطين الأديب محمد أبوقمر لـ «الوعي الإسلامي»:

«الخط العربي» ألبس لغة القرآن ثياب الروعة والبهاء والجمال

حوار/ محمد عبدالشافي

هذا اللقاء مع أديب إسلامي، وشاعر كبير، احترف رسم وكتابة وتجويد «الخط العربي» بجميع أشكاله وألوانه ومدارسه، فبرز فيه، وبلغ غايته، وصار شارة من شاراته، وعلمًا من أعلامه.. وإنْ شئت قُلْ: صاحب مدرسة في الخط العربي! لعلّ من أهم أعماله وأشهرها وأخلدها- بالطبع- كتابة «المصحف الشريف» بصورة جديدة وجذابة وعبقرية لم يسبق لها مثيل، مما جعل وزارة التعليم المصرية تعهد إليه بكتابة مصحف خاص بها كيْ تعتمده وتقرره على الطلاب.. ولوْ لمْ يفعل غير هذا الإنجاز الجليل لكفاه! إنه الشيخ/ محمد عبده أبوقمر- عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية، الذي شارك في كثير من الندوات والمؤتمرات الأدبية والثقافية، وأسهم فيها إسهامًا كبيرًا بأشعاره وقصائده، التي اتسمت بجزالتها، وطولها، ونكهتها غير المألوفة لدى المستمع الجيد، والذائق الفهم.. التقيناه لاستلهام رأيه حول رحلته مع الخط العربي، ومسيرته متى وكيف بدأت وماذا جنى من ورائها؟ وسألناه عن شيوخه وأساتذته في تلك المدرسة.. ماذا تعلم؟ وماذا أفاد منهم؟ إلى غير ذلك من التساؤلات.. وإليكم نص الحوار:

■ ماذا يمثل لك الخط العربي في رحلتك الحياتية؟

- الخط العربي رسالة، وليس مجرد فن رفيع وجميل جدًا، فهو يُلبس لغة القرآن ثياب الجمال والروعة، فيضيف إلى شموخها شموخًا، وإلى جمالها جمالاً، كما أنه يمثل روضًا خصيبًا ومرتعًا رطيبًا للحديث النبوي والشعر وأقوال الحكماء وشتى مجالات الأدب والفكر، كما أن الخط العربي يعتبر تاجًا من تيجان العرب، فهو صرح من صروح حضارة هذه الأمة التي حُسدت ولا تزال محسودة عليه حتى وقتنا هذا، لدرجة أن الخط العربي الآن مستهدفًا من أعدائه، وهم لا يألون جهدًا في محاربته والنيل منه بشتى السبل، ولا يوجد حرف مكتوب في لغة من لغات العالم القديم أو الحديث يستطيع أن يقف أمام الحرف العربي، وقد أُثر أن «بيكاسو» قال: ما رسمتُ خطًا في لوحاتي إلا ووجدت أن الخط العربي سبقني إليه! وقد استطاع الخطاط العربي الفنان أن يكوّن من الحرف الواحد منه لوحة فنية رائعة لا تستطيع العين أن تمر عليها حتى تقف أمامها وقفات، بل وتؤدي فروض الثناء، وتبدي مشاعر الإعجاب، وهذا لا يتأتى لأي حرف غير العربي في كل لغات العالم، وهو الخط الوحيد الذي تعقد له المؤتمرات وتقام له المسابقات وترصد الميزانيات، وتقام له المعاهد وتمنح الأنواط، وتعطى له أعلى الشهادات حتى شهادة الدولة التقديرية التي حصل عليها العديد من عمالقته مثل الأستاذ/ محمد عبدالقادر عبدالله- رحمه الله- والأستاذ/ محمد سعد حداد - أمدّ الله عمره- وغيرهم.

وللخط العربي في التاريخ أعلام مثل: المعتصمي، وابن مقلة، وابن البواب، وغيرهم كثير.. أولئك الذين قعّدوا للخط، وأصّلوه، وطوَّروه حتى وصل إلينا على هذه الصورة التي لا أظن أن بعدها مزيد.

فمن أعطاه الله هذه الموهبة فاشتغل بها، عليه أن يعلم أنه صاحب رسالة، وليس فقط صاحب مهنة.. وإذا جلس له فليعد هذه الجلسة جلسة تعبد

لله، ولكن في محراب الجمال والفن، ولا يكتب إلا ما يرضي ربه ويرتاح إليه ضميره ولا يعلن به إلا عن خير.

■ هل بلغ بك الإعجاب بالخط العربي إلى درجة العشق؟

– نعم.. فالخط يُعشق وصماء ينطق وجمال مغدق، الجلوس في محرابه متعة ما بعدها متعة لا تشعر معه بالوقت، فلا ملل فيه ولا كلل، وكلما جودته طلب الزيادة، وإن كانت كل مهنة تصيب بالسأم منها، إلا الخط فهو بحر له أول وليس له آخر، لا يشعر السابح مهما طالت المسافة، فإن غرق فيه فلا يحب أن يطفو فعمقه أجمل من شاطئه، فبينما يجمع الجالس على شاطئه الرمل والحصى والصدف، فإن الغارق فيه يجمع اللؤلؤ والمرجان، فقد رُفع بهذا الفن أقوام.. رفعوا لواءه، وجعلوا منه رسالة ترفع شأنهم في الحياة، وتبقي ذكرهم بعد الوفاة!

■ قمتَ منذ عدة سنوات خلتْ، بكتابة المصحف الشريف.. إلى أي مدى وفّقت في هذه المهمة الشاقة؟

– حكايتي مع «المصحف الشريف» كانت بدايتها عندما راودتني فكرة كتابته وللعلم فإن جهابذة الخط العربي وعمالقته الذين علّموا الأجيال قد رحلوا عن الدنيا دون أن يكتبوه ولا

مدرسة الخطوط العربية مستهدفة من أعداء الأمة وخصومها التقليديين

يزال على الساحة الآن من إذا شاء الله له أن يكتبه كتبه وربما أفضل مني، فأنا لا أدّعي أنني أحسن من غيري في هذا المجال، إلا أن الأمر يتعلق فقط بتوفيق الله تعالى واختياره واصطفائه لمن يكتب كتابه الكريم ويحظى بهذا الشرف الذي ما بعده شرف لكل من أمسك بالقلم وخط به حرف، ولذلك تجد من كتبوه في مصر لا يتجاوز عددهم أصابع اليد، ومنهم الأستاذ/ محمد سعد حداد، وهو أفضل من كتبه بعد الشيخ مصطفى نظيف– رحمه الله– فقد كتبه الأستاذ/ محمد سعد حداد ست مرات، أما المهندس/ عبدالمتعال إبراهيم– رحمه الله تعالى– رغم أنه لم يؤت مهارة وفن الأستاذ حداد، إلا أنه كان غزير الإنتاج، فقد كتب المصحف الشريف عشرين مرة على مدى عمره المديد الذي ناهز الخمسة والتسعين عامًا، ومات رحمه الله وهو يكتب النسخة الحادية والعشرين ويحلم بأن يكتب النسخة الثلاثين!

كان عليّ أن أذهب إلى من سبقني قبل أن أبدأ الكتابة على الأقل لأخذ النصيحة وكان أقربهم مني سكنًا المهندس/ عبدالمتعال، فذهبت إلى بيته وعرفته على نفسي وأطلعته على بعض النماذج الخطية للنسخ المصحفي وبيّنت له رغبتي في كتابة المصحف، ولم أكن أتوقع أبدًا ما رأيته من الرجل، فقد وجدت كمية من التواضع والتشجيع لم أرها في إنسان غيره قط، فما إن وقعت عينه على نماذجي والتحقق منها حتى قبّلها بفمه ووضعها على رأسه وقال: كيف تكون على هذا المستوى ولم تبدأ حتى الآن؟! قلت: جئت لأتلقى النصائح والتوجيهات حتى أبدأ وأنا على بينة من أمري، فأطلعني مشكورًا على بعض أعماله وحجم ورقة المصحف وسطورها وأنواع الأحبار وسمك الورق وأشياء أخرى كنت في حاجة إليها، فبدأت وكنت كلما قطعت شوطًا ذهبت لزيارته وكنت في كل مرة أرجع من عنده بذخيرة من التشجيع والثناء والدعاء، وكان رحمه الله دائمًا يقول لي لا تترك كتابة المصحف ولا تتوقف أبدًا، ولا تنظر إلى تسويقه، فكتابة المصحف عبادة، وكنت دائم الاتصال به وهو أيضًا حتى تعرفت على الأستاذ/ محمد سعد حداد أطال الله بقاءه، فلقيت منه من التشجيع والثناء مثل ما لقيت من المهندس عبدالمتعال رحمه الله، حتى أتم الله علي من فضله كتابة النسخة الخامسة، وقد طلبت مني مؤسسة الأهرام، فكتبت لها مصحف الأهرام والذي تقرر على وزارة التربية والتعليم بمصر، ومن فضل الله تعالى أيضًا الآن عندي ما يقرب من ثلاث نسخ من المصحف الشريف جاهزة للتسويق والطبع، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

■ في الختام.. ما هي النصائح التي يمكن أن توجهها إلى جيل الشباب من الخطاطين، أو الذين سوف يسلكون هذا المسلك يومًا ما؟

– نصيحتي لكل خطاط هي أن يتقي الله فيما استأمنه عليه من هذه الموهبة وألا يخط بيده إلا ما يحب أن يراه يوم القيامة ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا ...﴾(آل عمران: ٣٠) فالأرزاق مضمونة وهي في السماء، وأن ما عند الله لا يُنال بمعصيته، وأن يجدّ ويجتهد، وأن يجعل لنفسه وردًا من الكتابة يوميًا كورد القرآن الكريم، فكلاهما عبادة، وأن يتواضع لتلميذه كما يتواضع لأستاذه، وأن يداوم التدريب مهما علا شأنه، وأن ينشد الكمال دائمًا، وأن يطلع على الجديد باستمرار وأن يحتسب كل أعماله لوجه الله، فلا يغالي في الأسعار.. فقليل من البركة خير من كثير من المال.

الأسطورة الزائفة

رحيل الصهيونية والبحث عن البديل

د. مصطفى رجب

لم تكن الصهيونية يومًا إلا حركة يهودية تاريخية استغلت شيوع ما يسمى بالمسألة اليهودية وهفت إلى حلها بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة» لتعتلي مسرح الأحداث التاريخية المتوترة إبان فترة تكوينها كحركة، ثم يسدل الستار في النهاية بتحقيق الهدف الأسمى، وهو قيام كيان يهودي مستقل بعيدًا عن حياة الشتات التي عاشها اليهود.

فإثر تلك الحروب والنزاعات الداخلية والخارجية التي تقودها الدولة الصهيونية (إسرائيل) راح الأدباء الإسرائيليون يعبرون عن تقييمهم لواقع الأيديولوجية الصهيونية في أي شيء نجحت أو أخفقت، وتميزت الرواية العبرية المعاصرة بلهجة نقدية لاذعة في الكشف عن ضعف الصهيونية وعن ضعف قدرتها على مواجهة التحديات التي تواجهها دولة إسرائيل وعن إخفاقها في تحقيق بعض أهدافها مثل تجميع الشتات اليهودي، وعن إعداد ورثة لجيل المؤسسين وعن توفير الأمن للجموع اليهودية، بحيث أصبحت العلاقة بين الدولة والأيديولوجية الصهيونية في حاجة إلى مراجعة شاملة وتدقيق، واتهمت الرواية العبرية المعاصرة الصهيونية بالفشل وبأنها السبب في كل المحن التي وقعت فيها الدولة.

عن هذه العلاقة صدر كتاب «الأسطورة الزائفة.. رحيل الصهيونية والبحث عن البديل» تأليف د.عمرو عبدالعلي علام، وهو عبارة عن دراسة نقدية في الأدب الإسرائيلي، أصدرته دار العلوم للنشر والتوزيع، من القطع المتوسط.

يبدأ الكاتب في الفصل الأول الذي يحمل عنوان «تطور العلاقة بين الأدب العبري والصهيونية» بتناول العلاقة التي جمعت بين الأدب العبري الحديث والقضايا اليهودية منذ فترة «الهكسالاة» وحتى نهايات القرن العشرين، فتكلم عن نشأة الصهيونية وأهدافها، وتطور العلاقة بين الأدب العبري والصهيونية.

فقد أسهم الأدب العبري الحديث في نجاح الحركة الصهيونية سياسيًا منذ فشل حركة «الهكسالاة» التي مهدت الطريق إلى ظهور الحركة الصهيونية في ظل قيام بعض الحركات التحررية الأوروبية، فارتبط الأدب العبري الحديث ارتباطًا قويًا بالأحداث السياسية والاجتماعية التي مر بها اليهود عبر الأزمان، وكان مرآة تعكس الواقع النفسي الذي عاشه مجتمع اليهود إثر الأحداث السياسية المتتالية.

وفي حقيقة الأمر لعب الأدب العبري الحديث دورًا هامًا في نقل أفكار الحركة الصهيونية في ذلك الوقت حيث قاموا بتمهيد الطريق للأفكار الصهيونية فأثاروا حمية اليهود عن طريق كتاباتهم، ويمكن القول أنه لولا هؤلاء الأدباء والمفكرون لما نجحت الصهيونية في تحقيق هدفها الأسمى وهو تكوين كيان مستقل في فلسطين، وهكذا حمل الأدب العبري الحديث الفكرة الصهيونية على أكتافه وعبر بها إلى حيز الوجود ليحققا معا حلمهما وهو إنشاء هذا الكيان الصهيوني المستقل حتى نجحا في النهاية في إقامة دولة إسرائيل كدولة يتجمع فيها يهود الشتات، وأيضًا لعب دورًا هامًا في إرساء دعائم هذا الكيان الصهيوني الذي لولاه لتغير وجه التاريخ اليهودي بأكمله، ومن هنا نجد أن العلاقة التي كانت تربط الصهيونية والأدب العبري الحديث كانت علاقة تكامل، فالظروف التي خلقتها الصهيونية لهذا الأدب التي تحدث عنها بن أور- الأديب الإسرائيلي- أدت في النهاية إلى قيام دولة إسرائيل، فالصهيونية ودولة إسرائيل استخدما القدر اليهودي وأحداث النازية كحجة حاسمة لدخول فلسطين.

ولقد كشفت حرب ١٩٤٨م عن الوجه الحقيقي للصهيونية التي أولت اهتمامًا كبيرًا للأهداف الجماعية دون النظر لأهداف الفرد ذاته، وتحولت هذه الحرب إلى فخ نفسي وأزمة نفسية لهؤلاء الأدباء الإسرائيليين، وأصبح الأدب الإسرائيلي ساحة قتال، وأصيب الأدباء بالتخبط خصوصًا بعد أن كشفت الصهيونية القناع عن هدفها غير الأخلاقي وهو تفريغ فلسطين بالكامل من سكانها الأصليين عن طريق الطرد بالقوة ونزع الملكيات وهدم المنازل.

وبعد ذلك جاءت حرب يوليو ١٩٦٧م التي خاضتها إسرائيل ضد ثلاث دول عربية وهي مصر وسوريا والأردن واحتلت على إثرها أجزاء عديدة من أراضي هذه البلاد، الأمر الذي أثقل كاهل النفسية الإسرائيلية للأدباء، فعلى الرغم من الانتصار الذي حققته إسرائيل هذه المرة فإنها أضافت أزمة جديدة في الساحة الإسرائيلية من الأزمات التي تتفجر بعد كل حرب تخوضها إسرائيل، وإثر هذه الحرب اعتلت الأجواء الأدبية في إسرائيل آراء عدة حول قيام دولتهم باحتلال أرض العرب، فكان هناك اتجاه يرى بأن هذه الأراضي التي تم

باحث أكاديمي

احتلالها هي جزء من أرض إسرائيل الكبرى التي يجب أخذها بالقوة، وهناك اتجاه آخر معتدل يؤمن بأن هذه الأراضي هي ورقة مساومة على السلام داخل المنطقة، ورأي آخر يرفض فكرة احتلال إسرائيل لأراضي الغير وينظر إليها على أنها دولة استعمارية بما يتناقض مع مبادئ الصهيونية وسمت هذه الأراضي بالأراضي المحتلة.

وكان للحروب المتتالية التي خاضتها إسرائيل وخاصة حرب ١٩٧٣م أثرها الكبير في الجو النفسي الإسرائيلي في حدوث تغيرات جذرية والنظر في إعادة تقييم الصهيونية وأهدافها ومساعيها، وبات الجو مهيأ لفكرة التنكر لكل مبدأ صهيوني يسعى لترسيخ مفاهيم العنف والاحتلال وبدا في الأفق أن الوقت قد حان لتشييع الصهيونية إلى مثواها الأخير.

وجاء الفصل الثاني بعنوان البحث عن صهيونية جديدة في رواية مولخو ليهوشواع، ليتعرض فيه لمحاور نقد الصهيونية لرواية مولخو حسب رؤية يهوشواع عن ضرورة البحث عن بديل للصهيونية الكلاسيكية بعدما أصبحت أيديولوجية عقيمة حيث باتت تظهر أخطاؤها يومًا بعد يوم.

حيث كشف يهوشواع عن تحطم بوتقة الانصهار والانخراط في المجتمع المحيط اللذين حلمت بهما الصهيونية، وأصبح النزوح عن إسرائيل في تزايد مستمر شأنه شأن تزايد الصراع الديني والعلماني بداخل إسرائيل، وأصبحت هذه الأيديولوجية غير قادرة على إعداد جيل لورثة المؤسسين في إسرائيل.

لقد أثارت رواية «مولخو.. الفصول الأربعة» ردود فعل عديدة لدى الأدباء الإسرائيليين فور صدورها، وتم تفسيرها بوجهات نظر مختلفة ترتبط بالواقع السياسي لدولة إسرائيل، فلقد صاغ يهوشواع هذه الرواية بأسلوب رمزي وطرح خلالها الواقع الحقيقي للمجتمع الإسرائيلي، ذلك المجتمع الذي ارتسمت حوله علامات استفهام عدة عن أهداف الصهيونية ومغزاها الرئيسي، فالكيان الصهيوني يتكون من خليط من المجتمعات البشرية التي تفصل بينها خيوط عرقية وثقافية، والآن وبعد مرور أكثر من خمسين عامًا لا تزال فكرة بوتقة الانصهار الصهيونية موضوعة على المحك، فبسبب تعمق الحاخامات في حياة المجتمع الصهيوني خلقوا حاجزًا منيعًا لدى المجتمع الصهيوني من الاختلاط والاحتكاك بالمجتمعات المجاورة الأخرى مما جعل فكرة بوتقة الانصهار يتضاءل أملها في التحقق شيئًا فشيئًا.

تكلم الكاتب بعد ذلك عن مسألة النزوح عن إسرائيل فقال إن يهوشواع عبر عن هذه المسألة وتأصل الشتات في النفس اليهودية وذلك في روايته من خلال شخصية «نينا» تلك المهاجرة الروسية التي لم يمض على إقامتها في إسرائيل سوى تسعة أشهر فقط لم تتأقلم خلالها على العيش في إسرائيل وأصرت على العودة إلى وطنها الأم روسيا.

ولكون الشتات طبيعة متأصلة في النفس اليهودية كما يقول يهوشواع فقد جاءت معظم شخصيات هذه الرواية لتتفق على مبدأ العودة للوطن الأم، ومن هنا كان النزوح عن إسرائيل وتفضيل الشتات على العيش فيها أمرا يحلو لعدد غفير من اليهود، وإذا كان هؤلاء الشُتات يفكرون بأمر الوطن الموحد (إسرائيل) فإنهم يترددون كثيرًا في الهجرة إليه، ولقد أكد يهوشواع في روايته هذا المفهوم إشارة إلى ما يواجهه المهاجر اليهودي من مشكلات داخلية وتضارب قيم وأهداف الصهيونية وكشف هدفها الدنيء باحتلال أراضي الغير مما يجعله يفر وينزح عن المجتمع الإسرائيلي عائدًا إلى وطنه الأم الذي نشأ فيه وتربى على تقاليده.

ولقد عمد يهوشواع أيضًا إلى الإشارة في هذه الرواية إلى افتقاد الصهيونية للبعد الإنساني في حركتها، حيث عمدت فقط إلى جمع يهود الشتات في إسرائيل دون أن تدرك ما يشعر به الفرد المهاجر من وطنه إلى وطن آخر، ويمكن القول أن يهوشواع قد بين لنا كيف تحطمت بوتقة الانصهار عبر النزوح عن إسرائيل والرجوع للوطن الحقيقي، وكيف تحطمت إحدى مبادئ الصهيونية بعدم العودة إلى بلاد الشتات مرة أخرى، وكيف فشلت الصهيونية في صهر جموع اليهود داخل إسرائيل، ونجح يهوشواع إلى حد كبير في التعبير عن هذا الفشل الذي حالف الصهيونية بتأييد معظم شخصيات هذه الرواية للنزوح عن إسرائيل والعودة للوطن الأم (بلاد الشتات)، بعدما تفاقمت المشكلات وانكشف القناع عن وجه الصهيونية الحقيقي.

ثم تحدث الكاتب بعد ذلك عن الصراع الديني العلماني في إسرائيل الذي كان من أهم الأسباب المرسخة لفكرة النزوح عند يهود الشتات فقال فيه: بدأت أبعاد هذا الصراع بين اليهود الدينيين والعلمانيين مع نشأة حركة «الهكسالاة»- حركة التنوير اليهودية- التي

هدفت إلى تحطيم النفوذ الديني وسيطرته واستبداده على النفس اليهودية من الداخل، وإلى تحطيم أسوار الجيتو (تجمعات اليهود في بلاد الشتات)، التي كانت تفصل بين اليهود ووجوه الحياة العلمانية في الدول التي كان يعيشون فيها.

وهكذا أصبح الانقسام اليهودي الديني العلماني من أكثر القضايا التي تقلق المجتمع الإسرائيلي وأصبحت أشكال الصراع الدائر بين اليهود الدينيين والعلمانيين في إسرائيل من المظاهر التي تميز طبيعة الواقع اليهودي في إسرائيل، ومن أهم قضايا الخلاف بين الدينيين والعلمانيين في إسرائيل قضية حرمة يوم السبت التي استمرت حتى قال أحد علماء الاجتماع اليهود مناحم فريدمان: إننا أصبحنا نعيش على الجرف، ولم نعد يطيق بعضنا بعضا.

وقد فشلت الصهيونية في إعداد ورثة لجيل المؤسسين ليستكملوا الطريق، وذلك من الأمور التي اهتم بها الأدباء الإسرائيليون وأولوها اهتمامًا كبيرًا في إنتاجاتهم الأدبية، فلقد انتحى مشروع المؤسسين جانبًا وهجر ودمر على يد الأبناء، ومن هنا باءت محاولات الآباء المؤسسين بالفشل في إعداد وريث يواصل الهدف الصهيوني بحماس.

ثم تعرض الكاتب في الفصل الثالث لرواية «رواية روسية» لمئير شاليف، حيث أوضحت الرواية موقف شاليف من القوى الصهيونية وبصورة مباشرة، حيث ترى هذه الرواية أن افتراض الصهيونية بأن هناك حلفًا تاريخيًا خاصًا بين الشعب اليهودي وأرض فلسطين هو ما يكسب اليهود ملكية خاصة وأزلية على هذه الأرض، وهو ما يصفه شاليف بأنه افتراض خاطئ وأسطورة خرافية تجبُّ حقوق العرب الفلسطينيين، حيث إنه لا توجد حقوق مادية للشعب اليهودي في فلسطين كما تزعم الصهيونية وهو بذلك يدحض أسطورة العودة إلى الطبيعة بعودة الشتات إلى فلسطين، وينظر إلى ادعاءات الصهيونية على أنهم أصحاب الحق في أرض فلسطين على أنها أساطير خرافية ابتدعها الصهاينة ليشجعوا الشتات على الهجرة إلى أرض فلسطين (إسرائيل).

وأثبتت «رواية روسية» فشل المشروع الصهيوني على هذه الأرض التي تحولت إلى «مقبرة جماعية للرواد الصهاينة» لتعود وتقوم بدورها الذي كانت تقوم به في الماضي، ويشير لنا عنوان هذه الرواية إلى أنها تتعرض لقصة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على خلفية قصة اغتصاب «يعقوب» للباكورة من أخيه «عيسو» وهو ما أدى لاحتدام الصراع بينهما، ولم يعبأ مئير شاليف بموجة الغضب العارمة التي شهدتها الساحة الأدبية في إسرائيل بعد صدور هذه الرواية.

وفوجئ النقاد الإسرائيليون برواية جديدة لشاليف تواصل تهكمها على المشروع الصهيوني، وتدحض كل الأساطير الصهيونية التي روجت لها لتأتي لنا بعملية تقييم أخرى لكل الإخفاقات التي وقعت فيها الصهيونية على كل المستويات السياسية والأيديولوجية.

ولقد أثرت هاتان الروايتان لمئير شاليف في موقف المؤرخين اليهود مع الأيديولوجية الصهيونية على أنها حركة قومية مثل الحركات القومية الأوروبية التي نشأت في القرن التاسع عشر، ولكنه لم يستطع في نفس الوقت إنكار أنها تختلف عن سائر الحركات القومية الأوروبية في افتقارها لسمة القومية مثل الأرض واللغة.

ثم انتقل الكاتب بعد ذلك إلى مناقشة مسألة الوعد الإلهي بين العهد القديم والحاخامات اليهود فقال إن ادعاءات الصهيونية ترجع الحق الديني لليهود في أرض فلسطين إلى فكرة الوعد الإلهي لليهود بتخصيص هذه الأرض لهم وفقًا لما جاء في العهد القديم من وعود، ويتكرر هذا الوعد مرارًا وتكرارًا في كتب العهد القديم لدى إبراهيم ويعقوب وإسحاق وعيسو... الخ، وفي العصر الحديث اتخذ الحاخامات اليهود ذريعة من أجل شحذ همم الإسرائيليين نحو التمسك بهذه الأرض التي وعدهم الرب حسب ادعاءاتهم، واتخذت فتاواهم منحنى خطيرا في التعامل مع الفلسطينيين أصحاب هذه الأرض بكل قسوة وعنف بحيث أصبح القتل والدمار والتخريب والاغتصاب من أهم الطقوس الدينية لدى اليهود تجاه الفلسطينيين.

ولم يجهد شاليف القارئ كثيرًا في محاولة الكشف عن هدفه في هذه الرواية فقد كان صريحًا ومباشرًا من البداية من عنوان الرواية بأن قضيته الأولى عبر أحداث الرواية هي أسطورة «المقرا» الشهيرة.. قصة عيسو ويعقوب والوعد الإلهي ليعقوب بالأرض التي اتخذتها الصهيونية كمبدأ لحل الصراع ما بين فلسطين وإسرائيل على أرض الواقع، فقد كان موقف شاليف من أسطورة المقرا مغايرًا تمامًا لموقف الصهيونية والمعسكر الصهيوني اليميني المتطرف في إسرائيل، فبينما حسمت الجولة الأولى من الصراع ليعقوب واتخذ اليمينيون الإسرائيليون ذريعة لحل الصراع بكل بساطة، فإن شاليف يحذر في هذه الرواية من الاعتماد على مثل هذه الأساطير التي تحل الصراع بأخذ أحد الطرفين الأرض كلها مشيرًا إلى أن الاعتماد على مثل تلك الأساطير التي تفتقر إلى الحكمة والعقل تنذر بعواقب وخيمة.

ولم ير الكاتب بدا في الفصل الرابع من مناقشة موضوع الصهيونية في ميزان النقد من المنظور الديني الأسطوري في رواية «عيسو» لمئير شاليف، والذي تعرض فيه للصهيونية وعلاقتها بالتراث الديني اليهودي لخدمة هدفه في دحض ادعاءات الصهيونية بأن هناك حلفًا دينيًا خاصًا بين اليهود والرب، وشهدت الساحة الأدبية في إسرائيل سجالًا جديدًا بين النقاد حول رواية عيسو، وهدف شاليف من ورائها، وخاصة أنه تعامل مع العهد القديم على أنه مجموعة من الأساطير غير الموثوق فيها،

الأمر الذي من شأنه أن تعرض شاليف لهجوم شرس من النقاد الإسرائيليين.

ويشير لنا عنوان الرواية إلى أنها تتعرض لقصة الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين على خلفية قصة اغتصاب يعقوب للباكورة من أخيه البكر، الأمر الذي أدى إلى احتدام الصراع بينهما، ويقول الناقد الإسرائيلي هليل فايس، في معرض التحليل لهذه الرواية «إنها رواية تحكي لنا عن التنازل الكبير الذي حدث، والذي لم يكن تنازلاً عن الباكورة فحسب، بل هو تنازل عن المرأة والحب، وعن المخبز والخبز، فهذا التنازل لم يكن فقط عن الأرض (فلسطين) وإنما كان تنازلاً عن الحياة كلها».

فيرجع ادعاء الصهيونية بالحق الديني لليهود في أرض فلسطين إلى فكرة الوعد الإلهي لليهود بتخصيص هذه الأرض لهم وفقًا لما جاء في العهد القديم من وعود، ويتلخص مفهوم هذه الفكرة إلى أن الآباء الإسرائيليين ابتداءً من آدم إلى نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف، قد تلقوا وعودًا إلهية، وأن التاريخ الإسرائيلي اللاحق هو المسرح الذي تحققت فيه هذه الوعود.

إذن فكان موقف شاليف من أسطورة المقرا التي تحل الصراع بإبقاء الميراث في يد أحد الأخوين واضحًا عبر صفحات هذه الرواية حوله لإثبات الحق العربي الفلسطيني في هذه الأرض، وسواء كان هذا عن قصد أو عن غير قصد، فقد نجح شاليف إلى حد كبير في إثبات هذا الحق، لاسيما أنه قد طالعنا على لسان بعض شخصيات الرواية بكلمات وجمل وأماكن عربية عديدة تشير جميعها إلى جذرية الوجود العربي في هذه الأرض المقدسة من ناحية، وتدحض أسطورة الصهيونية وتحطمها من ناحية أخرى، وهو ما فعله أيضًا في روايته السابقة «رواية روسية»، لتؤكد من جديد على استحاله انتهاء دائرة الصراع بهذا الشكل.

وأخيرًا ختم الكاتب كتابه بالتعرض إلى رواية «الحالة الثالثة» لعاموس عوز التي تناقش الصهيونية وصراعات القوى السياسية في إسرائيل، فتأتي رواية الحالة الثالثة ضمن الروايات التي تعرضت للصهيونية بالنقد الشديد وإن كانت أكثر حدة من الروايات الأخرى في تناولها للصراع السياسي في إسرائيل ونقده حيث تعبر عن التطورات السياسية المختلفة التي يتعرض لها المجتمع الإسرائيلي خلال فترة وجيزة مما جعله مجتمعًا يفتقر إلى الاستقرار والطبيعة ويختلف تمامًا عن بقية المجتمعات الأخرى .

ويرى عوز أن الصهيونية كانت في الأصل حركة لتحرير النفس اليهودية وليست الأرض اليهودية، ولم تكن الصهيونية بمنأى عن انتقادات عوز لها فقد نظر إليها على أنها المتهم الأول لكل ما آل إليه المجتمع الإسرائيلي من انهيار وتخبط في ظل قيادة اليمين الإسرائيلي تارة واليسار تارة أخرى، واحتوت عريضة اتهامات على كثير من المحن التي ظلت تؤرق هذا المجتمع مما أفقدته هويته وهدفه، حيث تفشى الانحلال الأخلاقي في ظل تعاليم الصهيونية التي انهارت على مذابحها نفسية الشباب الإسرائيلي وجعلته يتشكك ويتخبط في اتجاهاته نحو كثير من القضايا مثل السلام وغيرها...، ولقد ركزت اتهامات عوز للصهيونية على تمسك اليمين الصهيوني ومحاولة فرض برامجها على اليسار بقوة مما خلق حالة من التردد والتشكك في قطاع كبير من المجتمع في جدوى الصهيونية وهدفها لاسيما وقد تزايدت إخفاقاتها في الواقع المعيش يومًا بعد يوم.

فالحالات السياسية السريعة التي يتعرض لها المجتمع الإسرائيلي في ظل قيادة كل من اليمين واليسار مع اختلاف التوجهات بينهما يستلزم حلًا أو حالة ثالثة قد تخرجه من مستنقع التشرذم، قد ردها عوز في إمكانية خلق حالة من الانسجام أو الامتزاج بين اليمين واليسار من خلال حكومات الوحدة الوطنية بالرغم من أنها فكرة أو حالة معرضة للفشل في غالب الأحيان.

كما كان إخفاق الصهيونية في إعداد ورثة لجيل المؤسسين من الأمور التي اهتم بها عوز في هذه الرواية، حيث اهتم بمسألة الميراث ومشكلة المرشحين له من جيل الأبناء، حيث يكمن هذا الفشل الصهيوني في آباء الأسرة الصهيونية الذين أسسوا الضيعة الأسرية التي نمت وتحصنت لتدل على هدف الصهيونية في استخدام الميراث على مدار أجيال عديدة، فلم تنجح نبوءات المؤسس في تحقيق ذلك في الأجيال اللاحقة، وانتحى مشروع المؤسس جانبًا وهجر ودمر على يد نسله بعدما ظهر الوريث المستهدف مستهترًا لا يمكن الاعتماد عليه، ومن هنا باءت محاولات الآباء المؤسسين بالفشل في إعداد وريث يواصل المسيرة بنفس الحماس، وبالتالي فإن مرحلة النجاح في الاستيطان الصهيوني أعقبتها في فترة متأخرة من سنوات قيام الدولة مرحلة الفشل وهي نفس الرؤية التي أكد عليها يهوشواع وشاليف في رواياتهم السابقة.

وهكذا لم تجن الصهيونية من تعاليمها سوى حالة من القلق الوجودي في عالم مليء بالإثارة والعنف، فالأطفال الإسرائيليون لا يعيشون مثل باقي أطفال العالم، فقد ساقتهم الصهيونية للعيش في عالم آخر، ليس عالم الأطفال الأبرياء، فخلقت منهم شبابًا مريضًا يكره المجتمع الذي يعيش فيه، وقد علق الأديب الإسرائيلي أورن على ذلك فقال: «إننا منغمسون في حالة لا مخرج لها منذ أن تعلم الأطفال القتل، فالمرأة تخاف أن تضاجع زوجها حتى لا تلد طفلًا يصبح مثل هذه الأطفال».

وفي النهاية ، في ظل هذه الإخفاقات الصهيونية المتتالية أجمع بعض المفكرين والأدباء على ضرورة رحيل هذه الصهيونية والبحث عن بديل، ورأوا أنه لابد من انفصال الدولة الإسرائيلية عن الصهيونية وبالتالي لقد آن الأوان لتشييعها إلى مثواها الأخير.

الفضائيات الإسلامية ودورها في بناء الشخصية المسلمة

د.عبدالله بدران

يدرك معظم الباحثين أن الاهتمام ببناء الشخصية المسلمة يعني الاهتمام ببناء الأمة الإسلامية ومستقبلها، وأن الإعلام يُعدُّ أنجح الوسائل في تحقيق الأهداف التربوية، إذا استُعْمِل بطريقة صحيحة، ولتحقيق هدف واحد، ألا وهو تحقيق الشخصية المسلمة المتكاملة من جميع النواحي: العلمية، والعبادية، والاجتماعية والنفسية، والأخلاقية، والصحية.

ويرى هؤلاء الباحثون أن الفضائيات الإسلامية تؤدي دورا مهما في بناء الشخصية المسلمة، وتسهم في تنمية شخصية المسلم وتعزيز حضورها في شتى المجالات .

وهذا الأمر كان موضوع رسالة الماجستير التي نالت بها الباحثة الكويتية ليلى سعود الخياط شهادة الماجستير من كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية بإشراف أ.د.محمد منير سعدالدين وتعرضت فيها لنماذج الفضائيات الكويتية بالتفصيل.

وركزت الدراسة على الفضائيات الإسلامية ودورها في بناء وتشكيل الشخصية المسلمة من جميع جوانبها، وبدأت بأنواع وسائل الإعلام الإسلامي المعاصر، ثم تطرقت إلى تعريف الفضائيات الإسلامية، وعددت بعض الفضائيات الإسلامية وأهدافها وخصائصها ووظائفها، ثم بيّنت الصعوبات والتحديات التي تواجهها الفضائيات الإسلامية، وركزت في الختام على نتائج الدراسة الميدانية التي تناولت دور مشاهدة الفضائيات الإسلامية على عينة من المشاهدين من الشباب الكويتيين من طلاب جامعة الكويت.

أهداف الدراسة

قالت الباحثة في مقدمة الدراسة إن الهدف الرئيسي لهذه الدراسة هو معرفة دور الفضائيات الإسلامية في بناء الشخصية المسلمة، لذا تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف إلى وسائل الإعلام الإسلامي المعاصر.
- بيان أهداف وخصائص ووظائف الفضائيات الإسلامية .
- التعرف إلى بعض الفضائيات الإسلامية في العصر الحديث.
- إبراز التحديات والصعوبات التي تواجهها الفضائيات الإسلامية في عالمنا الإسلامي.
- تحديد حجم مشاهدة الفضائيات الإسلامية.

توصيات الدراسة

رأت الباحثة أن للفضائيات الإسلامية تأثيرا كبيرا ودورا مهما في بناء الشخصية المسلمة، وفي مواجهة الحرب الإعلامية الموجهة ضد الإسلام والمسلمين، كما أن لها أهدافا ووظائف كثيرة ومتنوعة لكنها تواجه تحديات داخلية وخارجية كثيرة تمنعها من أن تكون بالمستوى المطلوب والمأمول منها لتحقق هذه الأهداف والوظائف ولتجذب عددا أكبر من المشاهدين لتؤثر تأثيرًا إيجابيًا عليهم.

ودعت إلى انطلاق فضائية إسلامية شاملة لجميع جوانب الإسلام تمثل الصورة الصحيحة للإسلام والمسلمين، وأن تكون قوية وإيجابية وصادقة وشاملة ومستقلة وواقعية ومتزنة وواضحة ومقنعة وهادفة وعالمية كدينها الإسلام، وأن لا تختص الفضائية الإسلامية بالبرامج الدينية والعبادية والعقدية، بل تحقق جميع وظائف ومهام الإعلام كالوظيفة الإنسانية بتبليغ الدعوة ونشر الرسالة والدفاع عن الدين الإسلامي وتصحيح صورة المسلمين، وتحقيق الوظيفة الثقافية والسياسية والإخبارية والتعليمية والتربوية والترفيهية والترويحية، وأن تؤدي وظيفة الخدمات العامة للمشاهدين وأن تحقق الشورى، وتعبر عن رأي المشاهدين وتحقق وظيفة التنمية الخلقية والفكرية والعقائدية والتعليمية، وأداء الوظيفة الاجتماعية لتساهم بوحدة المسلمين وصيانة المجتمع المسلم.

وتوصلت الدراسة إلى عدد من التوصيات منها:

١- الاهتمام بمحتوى الفضائيات الإسلامية ودعمها وتطويرها لتساهم في نشر الدين والثقافة الإسلامية، ولتؤدي دورها في بناء الشخصية المسلمة.

٢- توعية الأسر بالآثار الإيجابية للبرامج التي تعرضها القنوات الفضائية الإسلامية، والترويج لها في وسائل الإعلام المناسبة ليستفيد منها أكبر عدد ممكن من المشاهدين.

٣-إجراء دراسات دورية لتقويم الفضائيات الإسلامية نظرًا لانطلاق العديد من الفضائيات الإسلامية، وتحذير الجمهور من الفضائيات الإسلامية المشبوهة.

٤-تطوير أجهزة الفضائيات الإسلامية والاستفادة من الخبرات الأجنبية البشرية والتقنية المتخصصة، لتساهم بجذب عدد أكبر من المشاهدين.

٥- تشجيع الإنتاج المشترك بين الفضائيات الإسلامية، وإجراء لقاءات مشتركة بين مديري القنوات الفضائية الإسلامية للاستفادة من الخبرات والمساهمة في تحقيق التعاون وتبادل البرامج بين الفضائيات الإسلامية.

صحافي في وكالة كونا الكويتية

أسرتي

كلكم مسؤول

نظام شهر رمضان يختلف كليًا عن باقي شهور العام، ففيه يجتمع أفراد الأسرة على مائدة إفطار واحدة بعد أن غاب هذا الاجتماع عن كثير من الأسر خلال أيام العام بسبب مشاغل الحياة وهمومها، ولاشك أنها مناسبة طيبة ليقوم الوالدان بدورهما التربوي ويؤديا واجبهما ويقوما به خير قيام، وفي هذا قال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...»

فرمضان فرصة ليعوض الوالدان ما فاتهما من تقصير إن وجد من خلال غرس المفاهيم والقيم الإسلامية النبيلة في نفوس الأبناء حتى يكونوا قرة أعينهما عندما يكبرون، فالعبادات التي شرعت في الإسلام واعتبرت أركانًا في الإيمان ليست طقوسًا مبهمة من النوع الذي يربط الإنسان بالغيوب المجهولة ويكلفه بأعمال غامضة وحركات لا معنى لها، بل هي فرائض تعوّد المؤمن أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل مستمسكًا بهذه الأخلاق والفضائل النبيلة مهما تغيرت الظروف وتبدلت الأحوال.

إنها مهمة عظيمة يجب ألا يتناساها الآباء والأمهات وهم يعيشون مع أبنائهم أيام هذا الشهر العظيم، حيث شرعت الأبواب لكل من أراد أن يدخل في طاعة ربه ويكسب مغفرته ورضوانه.

سلمان الرومي

المرأة المسلمة وترشيد الاستهلاك في شهر رمضان

رفعت بروبي

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾. وقال نبينا ﷺ: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (أخرجه البخاري)، فالصيام عبادة روحية فرضها المولى عز وجل على المسلم والمسلمة ولرمضان دور بارز في راحة النفس البشرية وتهذيبها وطهارة قلب المسلم والمسلمة والزهد عن كل شيء يتعلق بماديات الحياة، كما أنه شهر التسامح والتصالح مع الآخرين.

بالنسبة للمرأة المسلمة في شهر الصوم الكريم عليها ألا تسرف في أمور كثيرة لها صلة وثيقة بأحوال معيشة الأسرة في شهر رمضان المبارك، وحتى في غير شهر الصوم، سواء في المأكل أو المشرب أو الملبس أو الانفاق للمال في غير موضعه، كالإنفاق على المحادثات الهاتفية والاستغراق فيها، وهو ما تفعله بعض النساء مما يعطلهن عن الطاعة والعبادة وأداء الواجبات الأخروية وإضاعة الوقت فيما لا يفيد ولا ينفع.

والإسراف ممقوت في كل شيء حتى مع السعة، فقد جاء التوجيه النبوي الكريم لمن أراد الوضوء بعدم الإسراف في الماء ولو كان على نهر جار، فكيف الإسراف فيما لا نفع فيه؟

ويلاحظ على بعض الأسر المسلمة في شهر الخير والبركة والإحسان تزاحمهم على الحوانيت والأسواق المركزية الكبيرة والصغيرة وإقبالهم الشديد على اكتناز وتجميع ما يحتاجونه وما لا يحتاجونه بشكل لافت للنظر، حتى يخيل لمن يشاهدهم على هذه الحال بأن الشهر الفضيل شهر موائد مليئة بالطعام والشراب التي حرموا منها في الأيام والليالي الخوالي، وأن إمساكهم عن وجبة الغداء تجيز لهم تحويلها الى وجبتين أو ثلاث أو أكثر في أثناء الليل ويتحولون من مخلوقات بشرية عادية إلى مخلوقات «مجترة» لاعتقادهم أن ما بذلوه في صيامهم وقيامهم بالسعي للمساجد والى البر والإحسان وأداء الصلوات وتلاوة القرآن الكريم والسهر إلى ما بعد السحور وبعد أداء صلاة الفجر يحتاج إلى زيادة كميات الطعام والشراب.. مع أن الغرض من الصوم هو الإحساس بالجوع والعطش والإمساك عن أمور أخرى تخدش الصوم لنشعر بمشاعر المحرومين في أوقات الفطر وتلين قلوبنا وتسمو نفوسنا وتصفو إحساساتنا وتزكو أفهامنا وتصح أبداننا وتهذب جوارحنا.

وللصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، وفرحة فطره لا تكون بالاندفاع من منتصف رمضان الى الأسواق والى المتاجر بأرتال بشرية بحجة الاستعداد لهذه الفرحة، فتشتري المرأة كل ما يلزم الأسرة وما لا يلزمها من ملابس وأزياء وبخور، وزهور وحلوى وزينة وأحذية وخلافه وتغيير فرش المنزل، وعمل التجديدات والطلاءات وغير ذلك، وإنما الفرحة تكتمل في قصد السبيل والاقتصاد في النفقة والاعتدال في كل شيء طلبًا لرضا الله سبحانه وتعالى والابتعاد عن نواهيه وزواجره، ولقد أمرنا الله عز وجل فقال: ﴿ولاتسرفوا﴾ (الأعراف: ٣١)

اذن الفرحة ليست في لبس النفيس والغالي وإنما الفرحة في القبول ورضا الله والسعي للفوز بالجنة إن شاء الله تعالى.

جعل الله نساءنا من العابدات الصائمات المقبولات إن شاء الله، وبارك الله لنا في الشهر الكريم وقبله منا على ما يحب ويرضى، ووفقنا فيه للخير من العمل الصالح والعبادة الخالصة وأكرم الأمة الاسلامية بالفتح المبين والنصر العظيم.

كاتب صحافي

لماذا اليمين وليس الشمال؟

بشرى شاكر

خلال استطلاع أقامته القناة الفضائية المصرية (دريم) لعدد من الأشخاص يسألونهم ماذا يمثل لهم دخول البيت بالرجل اليمنى؟ معظمهم كان ردهم أنها عادة وشكليات وأمور صورية فقط وانه لا يهم دخول البيت باليمين أو بالشمال، وللأسف غالبية من كان ردهم هكذا، كانوا من الفتيات المحجبات! فبتنا نتساءل هل الحجاب هو غطاء للرأس فقط أم قبله إيمان يقيني بديننا الإسلام ودراية بتعاليمه؟

ولكي لا نخوض أكثر في مثل هذا السؤال، نعود لموضوعنا وهو لماذا ندخل البيت باليمين وهل ذلك مجرد شكليات وتقاليد تعارف الناس عليها أم إن ذلك من صميم الإسلام؟

من سنن سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام أن ندخل البيت بيميننا وأن نلقي السلام حتى ولو كان البيت فارغًا، قال الله تعالى في سورة النور: ﴿فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة﴾، والسلام دعوة للأمن والأمان ويكفي أن من أسماءه الحسنى سبحانه وتعالى «السلام»، ويعد المؤمنين بدخول دار السلام، إذ قال في سورة الأنعام: «لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون».

كما أن من سننه عليه الصلاة والسلام أن يقول: «اللهم إني أسألك خير المولج وخير المخرج، باسم الله ولجنا وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا».

بالعودة للدخول باليمين، أولًا كلنا نريد أن نكون من أهل اليمين، والسنة أن نبدأ بكل شيء حسن باليمين، كدخول البيت ودخول المسجد وعكس ذلك باليسار مثل دخول الخلاء.

ولكن هل لدخول البيت باليمين سبب علمي؟

الجواب نعم، فكلنا ونحن نعود لبيوتنا مرهقين من العمل أو من قضاء حاجاتنا خارج البيت، نعود بسرعة، وأدمغتنا تفكر فيما انجزناه وما نسيناه، وننسى إن كنا قد قدمنا اليمين أم الشمال، ولكن إن عودنا نفسنا على الانتباه لهذه السنة الحميدة فإننا نقف، لنختار الرجل اليمنى لكي نلج البيت، وهنا يحدث الاختلاف، ليس عند الدخول بالتحديد ولكن عند نقطة الوقوف، فالوقوف عند المدخل والتريث، هو أحد النقاط التي باتت تتحدث عنها البرمجة اللغوية العصبية، إذ إنه من قوانينها، أن نتريث بين الحدث والآخر، نقف ونتأمل ثم نبدأ الحدث الثاني المغاير للأول، وهنا الحدث الأول هو العودة إلى البيت من خارجه والحدث الثاني هو دخول البيت والانقطاع عما يدور خارجه.

بمعنى أننا نفصل بين أحداث الخارج، والأحداث الجديدة التي يجب أن تكون بداخل البيت، فالوقوف عند البيت للاستعداد بدخوله باليمين هو في حد ذاته وقفة تأمل وتنصل من مشكلات الخارج، وهمومه للاستعداد لدخول بيت السكن والرحمة والمودة، فلا نحمل همومنا وغضبنا لداخل البيت فما جعل البيت إلا مكان دفء اسري ومبعث طمأنينة وسكن للزوج والزوجة وأبنائهما.

إذن الوقوف عند المدخل للدخول باليمين، هو نوع من الفصل بين مكانين وبين زمنين، وهو ما يسمى بالتحفظ في المكان والزمان، أي تغيير المكان من خارج البيت إلى داخله وتغيير الزمان من الفترة التي كنت فيها خارج البيت إلى فترة جديدة تدخل فيها بيتك لترتاح وتستقر.

إلا أن غالبية الناس باتوا في عصرنا هذا، يصلون الخارج بالداخل، فيتحدثون بعصبية إلى أهل بيتهم بسبب مشكلة عانوا منها خارجًا، دون التفكير في أن هؤلاء لا ذنب لهم فيما حدث، وطبعًا من يقوم بهذا في هذا العصر الذي باتت السرعة والعجلة عنوانه، هو شخص لم يمنح لنفسه فرصة الفصل ولا الوقوف وبالتالي هو شخص لم يدخل بيمينه ولم يستعد لدخول بيته فتساوى لديه المكانين وتساوت أيضًا الفترات والأوقات.

نحن لا نقول أن من يدخل باليمين لا يتحدث بمشكلاته خارج البيت إلى أهله وإنما يكون أكثر روية وأكثر حلمًا وأقل عصبية واستعدادًا لشرح ما حصل له بأسلوب سليم لا يشوبه قلق ولا توتر فينقله لباقي أهل بيته.

الوقوف عند المدخل للاستعداد لدخول البيت، ليس عادة ولا تقليدًا وإنما هي سنة حسنة لخاتم المرسلين ﷺ نقتدي بها ونمشي على نهجها، وهي فرصة لاستعادة رباطة الجأش وهدوء النفس، ويزيد ذلك إن خلا بيتك من الشيطان، فلا طمأنينة ولا سكينة وهو يتربص بك بين أرجاء بيتك، ولذلك يجب أن نذكر الله ونسميه عند دخول البيت، ففي رواية عن جابر رضي الله عنه انه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عز وجل عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، فإذا دخل ولم يذكر الله قال: أدركتم المبيت، وإن لم يذكر الله عند طعامه قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء».

كاتبة مغربية

دور المرأة المكية في إنعاش الحركة العلمية

ليلى محمد محمد

عن أبي سلمة بن عبدالرحمن قال: «ما رأيت أحدًا أعلم بسنن رسول الله ﷺ ولا أفقه في رأي إن احتيج إلى رأيه، ولا أعلم بآية فيم نزلت، من عائشة (١)وتفيد الدراسات أن المرأة كان لها الدور الفعال في الحركة العلمية بشكل عام، ومزاولة مهنة التدريس بشكل خاص وذلك في القرنين السابع والثامن الهجريين، ولقد كانت أغزر النساء علمًا وفقهًا في صدر الإسلام أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، حتى إن كبار الصحابة والتابعين كانوا يلجأون إليها في كثير من أمور الدين.

شهد القرنان الهجريان السابع والثامن اهتمامًا بالعلم من قبل ثلة مباركة من نساء مكة من مثل: عائشة بنت محمد بن أحمد بن علي القيسي المكية، بنت الشيخ قطب الدين القسطلاني، المولودة بمكة والمتوفاة بها ٦٤٣-٧١٦هـ، حيث سمعت من كثيرين، كما سمع منها بعض طلبة الحديث ونالت الإجازة من بعض المشائخ، وكذلك أم الحسين سعادة ابنة عبدالملك بن محمد البكري التونسي المكي، وقد سمعت في سنة ٧٨٩ هـ من كثير من المشايخ الكبار، كالجمال الأسيوطي، ونالت الإجازة منهم ومن غيرهم.

ومن النساء المكيات اللاتي تولين التدريس والرواية في مكة في تلك الفترة الزمنية من تاريخ مكة، حيث كن يجمعن بين رواية الحديث ودرايته كل من :

- فاطمة بنت طنطاشي بن كمشتكين البغدادية المقرئة المتوفاة سنة ٦٥٠هـ، وقد حدثت وسمع منها الحافظان قطب الدين القسطلاني وشرف الدين الدمياطي ببغداد، وسكنت مكة.

- زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني، سمعت من حنبل في سنة ٦٨٨ هـ، وقد تولت التدريس وازدحم عليها الطلبة.

- عائشة بنت إبراهيم بن أحمد الطائي ٦٤٥-٧١٨ هـ، سمع منها البرزالي (٢)، وإن سماعه منها يدل على علو شأنها، وأجازت لعدد من المحدثين مثل البرهان بن أحمد البعلي الشامي، وقد جاورت بمكة سنين.

- ست الأهل القرشية، وهي من بين نساء مكة اللاتي أجزن بالاستدعاءات أي كتبوا إليهن «استدعاءات» يطلبون فيها إجازتهم (٣).

ومن الجدير ذكره في هذا الصدد، ان الرحلة لم تقتصر على الرجال، وإنما النساء كن يرحلن أيضا مثل عائشة الطائي، وفاطمة البغدادية، وان كلًا من القسطلاني والدمياطي قد سمعا من عائشة، حيث يعدان من المحدثين البارزين في زمانهما.

ولقد شهدت مكة في هذه الفترة من تاريخها عددًا من النساء المكيات اللاتي تلقين اجازات الشيوخ، وعلى سبيل المثال لا الحصر، نذكر بعضهن:

- أم ريم بنت علي بن ثاقب، القرشية السهمية المكية التي أجاز لها في سنة ٧١٣هـ الدشتي والقاضي سليمان بن حمزة والمطعم وجماعة من أولاد القاضي جمال الدين بن فهد، وقد توفيت بالمدينة سنة ٧٦٨ هـ.

- أم كلثوم بنت القاضي محمد بن عبدالله من آل فهد القرشية المتوفاة سنة ٧٧٧هـ بمكة، أجاز لها الرضي الطبري وأبوالعباس الحجار وأحمد بن كتندي والقطب الحلبي والدمياطي وغيرهم.

وكما أجاز ابن القاري، وابن عقيل والبهاء بن خليل لـ «أم الحسن بنت أبي الخير محمد بن محمد بن آل فهد، الهاشمية المكية المتوفاة في مكة سنة ٨٢٧ هـ، وأيضًا أجاز لـ «صفية بنت محمد بن محمد المدني» البرهان الشامي وابن ابي المجد عبدالله الحرستاني، وأحمد بن علي بن عبدالحق، وأبوهريرة بن الذهبي وغيرهم.. ومن اللافت للانتباه، ان «خديجة بنت محمد بن حسن بن الزين القسطلاني المكي»، و«زينب بنت يوسف بن إبراهيم بن أحمد المدني» و«كمالية بنت علي بن أحمد الهاشمي العقيلي النويري»، قد أُجِزنَ بالمراسلة، ومن النساء المكيات اللاتي حصلن على اجازات من علماء الأقطار الأخرى، على سبيل المثال:

١- عائشة بنت محمد القيسي المتوفاة سنة ٧١٦ هـ.

٢- فاطمة بنت الشيخ قطب الدين

باحثة شرعية

القسطلاني، المتوفاة سنة ٧٢١هـ.

٣- ست الكل بنت أحمد بن محمد القيسي القسطلاني - المتوفاة سنة ٨٠٣ هـ.

ولم يقتصر دورهن على انعاش الحركة العلمية في مكة، وإنما شمل اهتمامهن بالحرمين، حيث تركن آثارًا حميدة في البقاع المقدسة، من خلال مشاركتهن في الأعمال الخيرية، ومن أبرز أولئك النسوة:

- والدة الشيخ قطب الدين القسطلاني

لقد اوقفت والدة الشيخ قطب الدين القسطلاني مع جماعة من النسوة، رباط الساحة في القرن السابع الهجري على الفقيرات الغريبات المتدينات.

- أم الحسين بنت شهاب الدين الطبري

أوقفت السيدة أم الحسين بنت شهاب الدين الطبري في سنة ٧٨٤هـ رباط السيدة أم الحسين على الفقراء والمساكين.

- أم الخليل خديجة وأم عيسى مريم

أوقف رباط ابن السوداء سنة ٥٩٠ هـ على النساء الزاهدات المتدينات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب من قبل كل من أم الخليل وأم عيسى (٤)

- ابنة علي بن عبدالله بن عطية الرفاعي

أوقفت ابنة علي بن عبدالله بن عطية الرفاعي رباط عائشة على المقيمات في الرباط.

ولعبت المرأة المكية دورًا بارزًا في الحياة العلمية ولاسيما المساهمات الخيرية في القرنين السابع والثامن الهجري، حتى لقد نبغ عدد كبير من النساء في علوم القرآن والفقه والحديث وغدون معلمات من الطراز الأول ولاسيما اللاتي تصدين للتدريس والرواية، والمشاركة في الأعمال الخيرية.

الهوامش

١- ابن الأثير، أبوالحسن عزالدين علي بن محمد بن عبدالكريم الشيباني الجزري، أسد الغابة في معرفة الصحابة (١٩٧٠م) ج ٧، ص ٢٩١.

٢- البرزالي يعد من أكابر المحدثين.

٣- أجاز لها في سنة ٧٨٨هـ النشاوري والصردي وابن حاتم العراقي والهيثمي.

٤- ابنتا القائد أبي ثامر المبارك بن عبدالله القاسمي.

لكي يعبر الأبناء عاصفة الطلاق بأمان

أميرة سليمان محمد

الأبناء أعضاء أساسيون في الأسرة، لكن إذا فشلت الحياة الزوجية بين الوالدين فانهم يظلون بحاجة إلى الأب وإلى الأم بنفسٍ القدر، ومن هنا يكون الحديث شائكًا عن أسباب الأنفصال والطلاق.

فماذا يجب أن تقوله الأم في هذه الحالة، خاصة أنها تكون غالبًا الطرف الحاضن للأبناء؟، توضح د.علوية عبدالباقي استاذ الطب النفسي للأطفال والمراهقين بجامعة عين شمس أن الأبناء يفهمون ما يحدث حتى لو لم تتكلم معهم الأم، فيكفيهم ملاحظة التغيرات في علامات وجهها وتصرفاتها، لذلك لابد أن تحرص الأم دائمًا على البقاء في حالة من الايجابية والتفاؤل ولابد أن تحافظ على التوازن بين الأطفال في الكلام مع التسليم بأنه من المستحيل أن تتظاهر الأم بالصبر والهدوء وهي تعاني وتحتاج إلى البكاء والتنفيس بعد انهيار حياتها الزوجية، ولكن يجب أن تكون الأم صبورة لأن أبناءها أحيانا يكررون سؤالهم عن أسباب ما حدث للأسرة، فالأولاد يحتاجون إلى سماع المعلومات مرارًا لترسيخها في الذهن، وتضيف أن الزوجة يجب ألا تتكلم بالسلب عن طليقها أمام أبنائها لأن الأولاد جزء من والدهم وأي انتقاد من أحدهما للآخر يجعلهم يشعرون بأن الانتقاد موجه إليهم شخصيًا، وبالنسبة لكيفية المناقشة مع الأطفال حول هذا الموضوع تنصح د.علوية عبدالباقي بأن تحترم الأم حاجة أولادها إلى مناقشة هواجسهم لأنه أمر طبيعي ولا ينبغي تلافيه وعليها التقرب منهم لأنهم يحتاجون إلى سماع الأجوبة ولكن لا ينبغي أن يعلموا بالتفاصيل التي أدت إلى الطلاق فهذه يمكنها أن تحتفظ بها لنفسها وإذا شعرت بأنهم يلحون لمعرفة المزيد من التفاصيل فيمكنها أن تقول لهم بكل وضوح أن هناك أمورًا تتعلق بالكبار وحدهم، وأنه حتى لو كانت مستعدة للإجابة عن كل شيء فهناك تفاصيل لا ينبغي أن تناقشها.

وهناك أمر مهم على الأم أن تراعيه وهو عدم توقع انحياز الأبناء لها تمامًا والموافقة على كل قراراتها لأنه مهما كانت علاقتها بشريكها السابق فعليها أن تتوقع أن يرغب الأبناء في إقامة علاقة جيدة معه وعليها مساعدتهم في ذلك تحديدًا، مطلوب من الأم في حالة الانفصال عدم التحدث مع الأولاد عن المصاريف لأنها مسألة تخص الكبار وحدهم وعليها أن تجنب الأولاد الخوض فيها حتى لو تأخر شريكها السابق في إرسال مصاريف لتظل صورة الأب جيدة في مخيلتهم.

باحثة تربوية

الشفافية والاستقرار الأسري

أ.د. أمان قحيف

كثيرة هي العوامل والأسباب التي تؤدي بالأسرة إلى أن تحيا حياة هادئة مستقرة، وكثيرة ايضا هي العوامل والأسباب التي تنزع من الحياة الأسرية الهدوء والاستقرار، ومن هذه العوامل ما يتعلق بظروف عصرنا وطبيعة مجتمعاتنا المعاصرة، ومنها ما يتعلق بالأسلوب أو المنهج الذي يتعامل به أفراد الأسرة الواحدة مع بعضهم البعض.

إذا أخذنا جانب المصارحة والشفافية في التعامل بين أفراد الأسرة الواحدة فسنكتشف أن هناك من الأسر من يعتمد طريق الوضوح والمصارحة والشفافية لا بين الزوجين فقط، بل بين كل أفراد الأسرة من الأب والأم إلى الأبناء والبنات جميعًا، وهناك على الجانب الآخر نجد بعض الأسر التي لا تطبق هذا الأسلوب ولا تتعامل به، فيحتفظ كل فرد منهم بانفعالاته بداخله ولا يكاشف أفراد عائلته بما يدور في سريرته ولا يتحدث إليهم بما يتولد أو يعتمل في ذهنه من أفكار وخواطر، وشيئًا فشيئًا يتحول أفراد الأسرة- وفق هذا الأسلوب في التعامل- إلى ما يشبه الجزر المنفصلة التي لا يعرف بعضها عن بعض إلا أقل القليل.

لماذا تراجعت ظاهرة المصارحة؟!

كثيرًا ما قرأنا في كتب التاريخ والاجتماعيات أنه كانت تسود الأسر، لاسيما الأسر العربية، روح المصارحة والمكاشفة بين جميع أفرادها من الأب إلى الأم إلى الأبناء جميعًا ذكورًا وإناثًا، غير ان الملاحظ في مرحلتنا الراهنة أن هذه الروح قد تراجعت، بل تكاد تكون قد اختفت وتوارت عن الفضاءات الأسرية خلف العديد من العوامل والمسببات التي نذكر منها ما يلي:

أولًا: ذيوع وانتشار النزعة الفردية في العالم أجمع، فهناك حالة من النزوع إلى الذاتية والفردية- التي تؤدي إلى الانكفاء على الذات والتقوقع على النفس- تسود العالم أجمع، حتى أضحى التواصل الإنساني في أقل صوره وأضعف أشكاله في أوضاعنا الاجتماعية الحالية.. وليس ادل على ذلك من تراجع ظاهرة الصداقة بين الناس، فلقد مرت أزمان على البشرية لم يكن الشخص يستطيع العيش فيها من دون صديق أو مجموعة من الأصدقاء، وكان يمكن التعرف إلى اخلاقيات المرء وقيمه ومستواه العلمي ووضعه الاجتماعي من خلال معرفة أصدقائه، حتى لقد قيل في هذا السياق «قل لي من تصادق أقل لك من انت»، ولقد انعكست هذه الحالة النفسية على شبكة العلاقات بين أفراد الأسرة الواحدة، فاتسعت المسافات وتباعدت الخطى بين الأفراد داخل البيت الواحد، ما أدى إلى تغييب وتهميش روح الحوار بين الجميع، فندرت المصارحة وتغيبت الشفافية وتوارت الحميمية إلى حد كبير.

ثانيًا: تنوع الاهتمامات وتعددها، كان السائد في الأزمنة السابقة علينا أن اهتمام الرجل ينصب كله على أفراد عائلته، فهو مشغول بتوفير لقمة العيش لهم، ومشغول بتحقيق مطالب كل فرد منهم على حدة، ومشغول برعايتهم من الصغير إلى الكبير، وكان مجهود ولي الامر في الأسرة موزعًا ومستنفدًا كله في تحقيق هذه المطالب وتلبية تلك الرغبات.

ثالثًا: تعدد الانتماءات خارج مؤسسة الأسرة، تتميز المرحلة الحضارية التي نحياها الآن بتعدد الأنشطة وتنوع الولاءات، وفي المقابل كان الشباب في الزمن الماضي ينتمي إلى اسرته كأقصى ما يكون الانتماء، وكان يصب جل اهتمامه على افراد بيته وعائلته، بينما الحالة الحضارية الراهنة أدت إلى انجذاب الشباب إلى الاهتمام بالعديد من القضايا التي تدور وتحدث خارج نطاق الأسرة، ومن تلكم القضايا ما استحوذ على نسبة كبيرة من اهتمام الشباب وشواغلهم، خذ مثلا مباريات الكرة وانتماء الشباب إلى بعض الأندية دون الأخرى، هذه مسألة انتشرت وتعمقت داخل نفوس شبابنا وشبابا العالم أجمع بصورة لم يشهدها التاريخ من قبل، لقد اهتم الشباب بمتابعة الفريق المحبوب اكثر من الاهتمام بمتابعة دراسته العلمية او مشروعاته المستقبلية، فالشاب قد يعرف عن حياة لاعبي الفريق الذي يشجعه وينتمي إليه أكثر مما يعرف عن المشكلات الدراسية أو الحياتية التي تواجه أخاه أو أخته أو تواجهه شخصيًا!! ولقد جاء الاهتمام والانتماء للأندية الرياضية ومتابعة النجوم من اللاعبين واللهث وراء أخبارهم على حساب الانتماء الأسري، وبالتالي فقد أثر ذلك بشكل سلبي على مدى الشفافية في تعامل وانتماء الشباب إلى هموم وقضايا أهله وذويه.

رابعًا: تسارع عجلة الحياة، إن أبسط ما يمكن أن تتصف به المرحلة الحضارية الراهنة هو أن عجلة الحياة متسارعة فيها بصورة لم يسبق لها مثيل، وبقدر ما تتسارع حركة الحياة بقدر ما تزداد انشغالات الآباء عن ابنائهم نتيجة لاستحواذ الظروف الحياتية على تفكيرهم واهتماماتهم، وكلما تعمقت هذه الحالة من الاستلاب والانشغال عن الأسرة كلما تغيبت الحوارات داخل المنازل والبيوت،

باحث أكاديمي

الأمر الذي يؤدي إلى تعميق المسافة واتساع الهوة بين افراد الأسرة الواحدة، وهذا ما يؤدي بالتالي إلى غياب وتغييب الشفافية في التفاهم والتحاور بين الجميع.

خامسًا: قد يؤدي اسلوب التربية القائم على الضغط والتعنيف إلى الخوف او التردد من التحدث في الموضوعات ذات الحساسية او الموضوعات التي يتوقع الشاب او الفتاة أنها ستعرضه إلى مزيد من التعنيف او التوبيخ او ما شاكل ذلك من اساليب اللوم او العقاب وربما التسفيه، الأمر الذي يحتم على الآباء واولياء الأمور الاعتماد بقدر الإمكان على اسلوب الحوار والمناقشة الهادئة، مع الوعي بأن محاورة الشباب والبنات- لاسيما الذين يمرون بفترة المراهقة منهم- تحتاج إلى رحابة صدر وسعة افق، ويكون ذلك كله مصحوبًا بالصبر وضبط النفس، لأن الشاب- او الفتاة- الذي يمر بمرحلة المراهقة يكون في غاية الحساسية تجاه الأوامر والنواهي، وهو جاهز دائمًا للانفعال والتوتر من داخله، الأمر الذي يفرض على محاوره ضرورة بل حتمية التحلي بالصبر وسعة الصدر والتأني قبل اصدار الأحكام أو اتخاذ المواقف.

من هنا يعد أسلوب التربية المنتشر في منطقتنا العربية القائم على السلطة الأبوية هو احد الأسباب والعوامل البارزة التي ادت إلى غياب الشفافية في التعامل بين الآباء والأبناء.

نماذج من المصارحة في القرآن الكريم

وإذا كنا قد رصدنا تراجع ظاهرة الشفافية في التعامل بين افراد الأسرة الواحدة في عالمنا العربي، واذا كنا قد حاولنا وضع أيدينا على اسباب انتشار هذه الظاهرة في مجتمعاتنا، لاسيما بين الأزواج لدرجة جعلت بعضنا يتحدث عن ظاهرة تسمى «الخرس الزوجي»، اذ يصمت كل من الزوجين لفترات طويلة ولا يخاطب بعضهما البعض حتى ليظن المرء أنهما يعانيان من داء الخرس! الأمر الذي يعكس المدى الذي وصلت إليه طبيعة

ظاهرة «الخرس الزوجي» أصابت كثيراً من الأزواج في عالمنا العربي ولابد من وضع حلول للحد من نسبة الطلاق

العلاقات الزوجية في معظم أسرنا العربية، ويحتم على الباحثين والمفكرين تناول تلكم الظاهرة بالدراسة والتحليل، من أجل وضع الحلول العلمية الناجعة لها حتى لا تتفاقم المشكلة وترتفع نسب الطلاق أكثر من المستوى- وهو مستوى مرتفع بطبيعة الحال- الذي وصلت اليه الآن.

والغريب ان تصل مجتمعاتنا إلى هذه الحالة بينما موروثنا الديني يستهجن أسلوب تغييب الشفافية في التعامل، بل يكشف البحث المدقق في القرآن الكريم أن هذا الأسلوب ليس من الإسلام في شيء، بل إن الإسلام يرفضه ولا يقبل به كمنهج للتعامل بين الأفراد والجماعات.

فلقد أشار القرآن الكريم إلى صراحة وشفافية نبي الله إبراهيم- عليه السلام- عندما ذكر أن إبراهيم طلب من ربه سبحانه وتعالى أن يريه كيفية إحياء الموتى- لاحظ أن سؤال ابراهيم كان عن الكيفية ولم يكن عن شك في مقدرة الله تعالى على الإحياء- قال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي...﴾(البقرة:٢٦٠)، وهنا تتضح الشفافية في أسمى معانيها، حيث لم يتردد نبي الله إبراهيم في أن يسأل ربه أن يوضح له كيفية إحياء الموتى، واللافت للانتباه أن الله تعالى لم يوجه نوعًا من اللوم أو حتى العتاب إلى ابراهيم- عليه السلام- جراء هذا المطلب بل حقق له رغبته، وكشف له النقاب عن الأسلوب الذي يلجأ إليه ليدرك بنفسه كيف يحيي الله الموتى، ثم انظر إلى رسول الله ﷺ عندما أسر إلى بعض نسائه بحديث معين فلم تحتفظ به بل نشرته وحدثت به غيرها، بينما هو سر لا يجب التحدث به مع أحد، فأخبر الله تعالى نبيه بذلك، ولم يسكت القرآن الكريم عن تلك المسألة بل عالجها بمنتهى الوضوح والشفافية حين قال الله تعالى ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثًا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا، قال نبأني العليم الخبير﴾ (التحريم:٣)، وهنا أيضا تظهر المصارحة والشفافية في أعلى صورها وأسمى معانيها، حيث صارح الرسول ﷺ زوجه بما كان منها وما عرفه عنها، ولم يلجأ إلى المداراة، ولم يخف الأمر في صدره ولم يتكتم عليه.

يضاف إلى ذلك أيضًا ما ورد في القرآن الكريم من أوجه العتاب للنبي ﷺ، فهناك بعض المواقف التي عاتب فيها ربنا سبحانه نبيه الكريم نحو قوله تعالى ﴿عبس وتولى. أن جاءه الأعمى. وما يدريك لعله يزكى. أو يذكر فتنفعه الذكرى. أما من استغنى. فأنت له تصدى. وما عليك ألا يزكى. وأما من جاءك يسعى. وهو يخشى. فأنت عنه تلهى﴾ (عبس:١-١٠)، وهناك من صور الشفافية أيضًا أن القرآن الكريم كان واضحًا في توجيه النبي ﷺ حيث تعامل معه بدرجة عالية من الشفافية والوضوح في مجال الإرشاد والتوجيه، نحو قوله تعالى ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطًا﴾ (الكهف: ٢٨).

الخلاصة

هكذا يتأكد لدينا بما لا يدع مجالًا للشك أن الإسلام أراد من المسلمين التحلي بالمصداقية والشفافية داخل الأسرة، ولا يعني ذلك عدم التركيز على التعامل بوضوح وشفافية خارج هذا النطاق الأسري، بل المسلم مطالب بذلك في كل المواقف وجميع الأوقات، لأن الإسلام هو دين الفطرة، ودين الوضوح، ودين الالتزام في القول والعمل.

ثقافة الزوجة.. تجدد وارتقاء

محمد إسماعيل

إن العلاقة الزوجية الناجحة من أهم أسباب سعادة الزوجين واستقرارهما، ومصدر خير لهما وللمجتمع من حولهما، ولذا فإنها تستحق منا أن نوليها من العناية والرعاية ما تستحقه.

ورغم أن أية علاقة بين طرفين يتحقق نجاحها واستمرارها بدعم من هذين الطرفين، فإن المرأة المسلمة التي تعرف حق ربها وحق زوجها ستبقى هي الطرف الأحرص والأقدر على الارتقاء بنفسها وبأسرتها إلى الآفاق الأكثر سموًا؛ شعورًا وسلوكًا، يحدوها إلى ذلك علمها بقوله تعالى: ﴿قد أفلح من زكاها﴾ (الشمس: ٩)، وقول النبي ﷺ «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة» (رواه الترمذي وابن ماجه)، كما أنها تعلم أن الزوجة هي ربة البيت وملكته، ومسؤوليتها في رعايته، والعناية به، والارتقاء به- هي من ألزم واجباتها، وأكثرها أهمية، وأبعدها أثرًا في رضا ربها ومن ثم زوجها، وضمانة أكيدة لتماسك أسرتها وصلاحها، قال ﷺ «والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها» (متفق عليه).

إذا كنا نتحدث عن تميز ما نَنشده، وسعادة أكبر، ومزيج من وهج الهناءة والتألق في علاقتنا الزوجية، فهذا يتطلب منّا مزيدًا من البذل والعلم.

إذ كلنا يعلم، أو ربما يسمع، عن كثير من تلك العلاقات الزوجية التي كانت متوهجة متنعمة، فانطفأ وهجها، وكانت ممتلئة حيوية وحبورًا، فغَدتْ خالية الوفاض منهما، ذلك أن مضي الحياة الزوجية على وتيرة واحدة يولد الملل، حيث لا جديد يستحق الاهتمام، فيحصل مع مرور الوقت لدى الزوجين درجة من التشبُّع، فكل منهما عرف الآخر معرفة كاملة، فيصل الزوج إلى قناعة بعدم جدوى النقاش أو النصيحة؛ لعلمه سلفًا بحدود زوجته المعرفية، وطاقتها الثقافية، فيصبح التصلب والصمت هما سيد الموقف (١)، ويرى الزوج أن السكوت أجدَى عليه من حديث يدرك أبعاده ومنتهاه، بل وربما انعدام جدواه، حتى ولو كان محتاجًا للرأي والمشورة، أو استلهام حلول لمشكلة تؤرقه، أو انسجام تفاعلي يلائم مستواه الثقافي المعرفي، ولا شك أن هذا الصمت سيُفسر من قبل الزوجة بتفسيرات لعل أقلها سوءًا لن يكون جيدًا في انعكاساته على راحتها النفسية، فضلًا عن تفجيره للعديد من المشاكل التي ليس لها من مسوغ معقول أو مقبول.

وليس من دواء أنجع ولا أنجح لمثل هذه

مضي الحياة الزوجية على وتيرة واحدة يولد الملل

الحالات إلا أن تعلو قدرة أحد الطرفين على استشراف وملامسة آفاق الطرف الآخر، وإثارة شهيته وإعجابه؛ للانطلاق به إلى حيث يحب ويرضى.

أو بمعنى أخص، وهو ما يهمنا هنا، أن تثبت الزوجة أن إمكانيات التجديد والتغيير ما زالت موجودة، وأن قدرتها على الإبداع لم تَجِفّ بعدُ، ويتجسد هذا في مقدرتها على إتحاف الزوج ومفاجأته بين كل حين وآخر بتغيير ما في رأيها، أو مواقفها، أو تفسيرها تجاه بعض المسائل أو الأشخاص أو العادات نحو الأفضل والأجود (٢).

وثقي بأنك إن جربت هذا الأمر وأَشْعَتْه في حياتك الأسرية، فسوف تشعرين بأنكِ تولدين من جديد، وستلوح لك في الأفق طيوف عيش مختلف أكثر إشراقًا وتجديدًا، وحيوية وسعادة.

خطوات عملية لحياة أسعد

ولتحققي ما سبق يمكنك البدء التدريجي في الاستفادة من الإرشادات التي نوردها في النقاط التالية:

١- القراءة أفضل بداية:

قال تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ (العلق:١) فالقراءة نعمة عظيمة، وهي من أعظم وسائل تكوين المعرفة الإنسانية، وأفضل طريقة لتحسين التفكير، وإمداد القارئ بأمداء لا محدودة من القدرات العقلية والروحية، ولا يتأتى هذا للزوجة المسلمة بالقراءة في مجال واحد، بل تفتح نوافذ فكرها وعقلها، لتقرأ في شتى الكتب والمجلات العلمية والأدبية والثقافية، لتُلمّ من كل شيء بطرف، ما يوسع أفقها، وينشط ذهنها، وينمي ملكاتها، وسيكون من نافلة القول هنا التنبيه إلى أهمية تكوين مكتبة في المنزل تضم طائفة نافعة من الكتب والمجلات النافعة والمسلية في ألوان مختلفة من المعارف.

ولئن كانت القراءة المتنوعة مهمة، فإن متابعة الجديد من الأخبار والمبتكرات يعد رافدًا حيويًّا في بناء شخصية المسلمة المثقفة، فمثل هذه الأمور تشكل وعيًا أعمق، ومعرفة أكثر، وفرصة أوسع لحديث نافع وجديد، وربما مبهر، كما أنه يعد وسيلة لاكتشاف إمكانات مخبوءة لديك تستطيعين بها إسعاد الزوج، أو مَن يَهُمُّه أمرهم، وسيكون من أسباب سعادة كثير من الأزواج أن يجدوا لدى زوجاتهم المعرفة بآخر الأحداث، والقدرة على تلخيصها بشكل جيد، والوعي بمضامينها، ما ينعكس إيجابًا بمزيد من الثقة والتقدير، والشعور بالتأنق لدى الطرفين، ويمكن للزوجة أن تحقق ذلك من خلال:

باحث مصري

أ- متابعة نشرة إخبارية يوميًا قبل رجوع الزوج من العمل، وتلخيصها سواء بالكتابة أو حفظًا.

ب- متابعة بعض البرامج الثقافية الجادة والهادفة التي تتناول أحدث القضايا بأسلوب علمي، بحسب المتاح من وقتها.

ج- الاشتراك في مجلة ثقافية علمية أدبية، شهرية أو أسبوعية، أو استعارتها من بعض الصديقات أو الجيران.

د- الاطلاع على أحدث خطوط الموضة وفنون الطهي، وأحدث المبتكرات والاختراعات، والاستفادة من الملائم منها.

٢- الاستفادة من التقنيات المعاصرة:

تعد القدرة على استخدام التقنيات الحديثة وتطبيقاتها إحدى أهم العلامات التي تميز الإنسان العصري عمومًا، والمثقف خاصة، وبالتالي فإن جهل الزوجة المسلمة العصرية بإمكانات وبعض استخدامات الحاسوب والإنترنت، ستكون دليلًا على تأخرها عن ركب عصرها، كيف لا وقد صار الأطفال دون السابعة قادرين على استخدام الكثير من هذه التقنيات، والتفاعل معها بسهولة ويسر؟!

ولست أعني بالقدرة هنا أن تتعلمي التعامل مع هذه التقنيات- أيًا كانت- لمجرد التعرف عليها، وإمكان استخدامها فقط، بل المراد أن تتفاعلي معها في حدود المستطاع؛ للاستفادة من إمكاناتها الهائلة وقدراتها اللامحدودة في تعلم كل جديد، واكتشاف كل مفيد ما أمكنك ذلك، لتنفعي نفسك وأسرتك، وتكوني مهيأة دائمًا لإفادة زوجك، أو استكمال ما يبدو لك من نقص في معارفك حول بعض القضايا أو الأحداث، فتبقي بذلك على صلة دائمة بجديد عصرك ومستجداته، مما يمنحك تألقًا مستمرًا، وتجددًا دائمًا في عيون زوجك وعقله.

وقد تعددت مراكز التدريب والتطوير والتعليم، فمهما أمكنك أن تضيفي جديدًا إلى مهاراتك وخبراتك فافعلي، ومن ذلك مثلًا:

أ- الانتظام في دورة لتعلُّم تطبيقات الكمبيوتر.

ب- الالتحاق بدورة لاكتساب مهارات التعامل مع شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)، والاستفادة منها.

ج- الإلمام بلغة أجنبية سواء عن طريق الالتحاق بمعهد خاص، أو دورة ما، أو أقراص CD، أو سوى ذلك من الوسائل المتاحة.

د- متابعة الدورات التي تعنى بتربية الأولاد، وأفضل الطرق لتعليمهم، وتنمية مهاراتهم، واكتشاف قدراتهم واستثمارها.

٣- الاستشارة إنارة:

مهما زادت قدرتنا على الاطلاع والقراءة والفهم، فإن نظرتنا للأمور ستبقى جزئية، وسيبقى إدراكنا لها منقوصًا لأسباب عديدة، بعضها موضوعي، لكن لكي تكون نظرتنا أشمل، وفجوة النقص أضيق، ينبغي أن نستخير، لأن العلم المطلق بما فيه المصلحة والخير هو لله وحده، كما أن علينا أن نستشير، لأن فوق كل ذي علم عليم، وصدقت الحكمة القائلة: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

ولعل هذا ما يفسر لنا سر الشعور بالحاجة الدائمة إلى من يساعدنا على تكوين رؤية أعمق وأشمل لما يجري من حولنا، أو لما يصيبنا نحن أنفسنا من حيرة، أو إحباط، أو انعدام اتزان في بعض الظروف والأحوال، وهذا في الحقيقة لا يتم بكثرة سماع الأخبار، أو القراءة، وإنما من خلال ما توفره الخبرات العميقة لدى أولئك الأشخاص الذين يتميزون بأنهم أكثر خبرة، وأعمق فكرًا، وأنضج فهمًا، وهذا ما يعني ألاّ نكف أبدًا عن استشارة الأعلم والأكثر خبرة، خاصة فيما يتعلق بأسرار النجاح، وفيما يُشكل علينا من الأمور، ويُعين على توفير بعض المعلومات حول بعض القضايا.

٤- حضور الندوات والمحاضرات:

يمثل حضور بعض الندوات أو المحاضرات المتعلقة بقضية من القضايا أو مسألة ما، أحد عوامل إزالة الغموض الذي يكتنف هذه القضية أو المسألة، ورؤية الأبعاد المختلفة لها، والعلاقات المتشابكة بينها وبين قضية أخرى، ما يشكل لعقولنا ووعينا حماية من نظرة البعد الواحد، أو الاستسلام لسلطان الشائعات، أو الظن والهوى في التعامل مع هذه القضية أو تلك المسألة، وسيكون من المفيد في هذا الصدد التركيز على الندوات والمحاضرات التي تولي عناية خاصة للعلاقات الزوجية، وكيفية التعامل مع الزوج، فمن غير المقبول أو المعقول أن تفقه الزوجة المُسلمة الكثير من الأمور والشؤون، ولا يكون في مقدمة ذلك وفي أولويته علاقتها الدائمة بزوجها، وأسباب نجاحها، وهي مسؤوليتها الأولى، وواجبها الأول والألزم شرعًا وعُرفًا.

الهوامش

١- عصرنا والعيش في زمانه الصعب، د. عبدالكريم بكار، دار القلم- دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٣١٧، بتصرف.

٢- عصرنا والعيش في زمانه الصعب، د .عبدالكريم بكار، دار القلم- دمشق، ط ١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ص ٣١٧، بتصرف.

أسرتي الرمضانية.. كيف أرعاها؟

منى السعيد الشريف

رمضان ضيف عزيز، وشهر كريم، فيه تقال العثرات وتنهمر الرحمات، وتنعم الأسرة المسلمة بأجواء إيمانية ذات مذاق خاص، وتواصل اجتماعي متميز، تستعيد فيه الكثير من القيم والسلوكات الإيجابية والمشاعر الدافئة التي ضاعت منا في «زحمة» الحياة، ولذلك فمن الأهمية بمكان أن نولي هذا الشهر عناية خاصة تليق به، ونتعامل معه على أنه شهر عبادة وتجديد لا شهر طعام وتبديد.

للقدوة دور كبير في تربية وتوجيه أبنائنا، خاصة في شهر رمضان حيث التواصل الاجتماعي فيه أكبر من أي شهر آخر، فلابد أن يلاحظ الصغير فينا التميز الخلقي والسلوكي الراقي كأحد مكاسب صومنا، وألا نجعل الصوم مبررا لعصبيتنا أو تضجرنا من أقل شيء، ولنعلم جيدا أننا بسلوكاتنا السلبية نرسخ في أذهان أحبابنا الصغار مفهوم ارتباط رمضان بالتشنج والتوتر تحت ذريعة أننا صائمون، ومن ثم يفقدون الإحساس بميزة هذا الشهر وتفضله على سائر الشهور، بل ربما يكرهون قدومه.

لا يدرك الطفل حتى سن الخامسة تقريبا ما تعنيه الفرائض الدينية ولا ما يعنيه شهر رمضان، لكن يمكننا الاستفادة من قدرة الطفل الخصبة على التخيل في هذه المرحلة العمرية ونساعده على توسيع مداركه وترك العنان لخياله مع الأنوار والزينات الملونة في كل مكان، واجتماع الأسرة كلها على مائدة طعام واحدة في موعد محدد كل يوم، كل ذلك يعد فرصة طيبة لتعميق العلاقات الأسرية واستمتاع الأبناء بالدفء الأسري الذي تسببت ظروف الحياة في حرمانهم منه باقي شهور السنة.

إن رمضان فرصة سانحة- أخي المربي وأختي المربية- لتدرب ابنك فيها على الصيام، الذي يعلمه الصبر والإرادة، ويرفع في نفسه قدر العبادة، وبالصيام نبدأ؛ لأنه عنوان هذا الشهر المبارك، وكما هو معلوم أن السن التي يجب فيها الصوم شرعا هي سن البلوغ، أما الوقت الذي يطالب فيه الطفل بالصوم قبل البلوغ هو سن الإطاقة، بمعنى قدرة الطفل على الصوم دون أي مضاعفات تضره، وهو يختلف باختلاف البنية الجسمية للطفل، وقد حددها بعض العلماء بعشر سنين، قال الخرقي: وإذا كان الغلام له عشر سنين وأطاق الصيام أُخِذ به، قال ابن قدامة: يعني أنه يُلْزم الصيام ويؤمر به.

وقد نصّ أهل العلم على أن الولي يَأمُر من له ولاية عليه من الصغار بالصوم من أجل أن يتمرنوا عليه ويألفوه، وتنطبع أُصول الإسلام في نُفُوسهم حتى تكون كالغريزة لهم، ولكن إذا كان يشق عليهم أو يضرهم فإنهم لا يلزمون بذلك، ولا يشترط أن يصوم الطفل الشهر كله في البداية أو يصوم اليوم كله إلى نهايته، بل يتدرج معه فهو لم يبلغ سن التكليف بعد.

يمكن للآباء تشجيع أبنائهم على الصوم بوسائل متعددة، أهمها توضيح ثمار الصوم في الدنيا والآخرة، وتارة بالهدية وشراء ما يحبون، أو بالثناء عليهم وتشجيعهم، أو التنافس الشريف، وكذلك الحال في تلاوة القرآن الكريم، وإعطاء الصدقات،

استشارية أسرية

والانشغال بالذكر، وإفطار الصائمين، وصلاة التراويح والتهجد، مع توفير الأشرطة السمعية والمرئية والبرامج الثقافية الرمضانية الجذابة المبرمجة على الحاسوب أو غير ذلك من الوسائل المطبوعة وغير المطبوعة.

من الأسس التربوية التي يجب على الآباء والأمهات مراعاتها في تحبيب العبادة إلى نفوس الأولاد أن يكون الدافع إلى العبادات حب الله تعالى، فهذا أجدى من الحافز المادي، أو بريق الثواب ولهيب العقاب، فالمربي الناجح هو الذي يؤثر في أطفاله، حتى يحبوا الله عز وجل، ومن ثم يعبدونه، لأنهم يحبونه، فالأطفال مفطورون على كره العقاب، فإذا أحبوا الله عبدوه بحب، وليس معنى ذلك إلغاء الثواب والعقاب.

من المهم كذلك التنويع في الثواب والبدء به، وتأخير العقاب بعد استنفاد وسائل الثواب، وأن يكون العقاب مناسبًا دون إفراط ولا تفريط، وأن يكون الضرب

من الأسس التربوية في تحبيب العبادة للأطفال أن يكون الدافع هو حب الله تعالى

آخر وسائل العقاب وبضوابطه التربوية، كما ينبغي أن يحرص الآباء والأمهات على إفهام الأطفال معنى كل عبادة، وما يدور في العبادات من قول وعمل، فذلك يدفع أطفالنا إلى الإقبال على العبادة، ذلك أن فهمهم للعبادة يعطيهم روحها، فيتذوقون حلاوتها، ومن ثم يتعلقون بها.

حاولي أن تنظمي أوقات أبنائك في رمضان، والاستفادة المتوازنة بين العبادة والمذاكرة واللعب، ولو بوضع نظام خاص لهذا الشهر الفضيل بالمناقشة معهم، ولابد أن يعرف الأولاد بأنك أنت أيضا من حقك الاستفادة من رمضان؛ لذلك يجب عليهم مساعدتك في أعمال المنزل حتى تأخذي حظك من العبادات، ولتنمي فيهم روح الإيجابية وتحمل المسؤولية، فحددي لكل منهم أعمالاً واضحة يستطيع أداءها، وخاصة الأعمال التي تتعلق بشؤونهم، كتنظيم غرفهم وملابسهم وكتبهم وكل ما يخصهم.

من الضروري أن ترشد الأم ابنها بعدم بذل مجهود عنيف في المدرسة، كي لا تنفذ طاقته سريعا وتتسارع مشقة الصيام إليه، وينجح في إكمال صيام يومه، وعند العودة إلي المنزل يفضل أخذ حمام، والنوم لمدة ساعتين، ومن المهم الاستفادة من السكريات والفيتامينات التي توفرها العصائر الطبيعية في وجبة الفطور والسحور كي نحافظ على حيوية كل أفراد الأسرة طيلة اليوم.

يراعى في البرنامج الرمضاني الفروق الفردية بين أفراد الأسرة، فليس بالضرورة ما يصلح لأحد الأفراد يصلح للآخر، فلا مانع من أن تحفزي أحد أبنائك على حفظ القرآن مثلا، وآخر على التلاوة، ومن الأولاد من يصلح في العلاقات الاجتماعية كمساعدة الغير وتولي توزيع زكاة الفطر والمشاركة في الخدمة في الإفطارات الجماعية، ومن الأبناء المنطوي الذي يتميز في العبادات أكثر، فمن المستحب أن تصطحبيه معك في صلاة التراويح وغيرها من مواطن وأوقات العبادة... وهكذا.

ما أجمل الحرص على الاستفادة من الأجواء الاجتماعية في رمضان، وبالأخص اصطحاب الأبناء في كل يوم بعد صلاة التراويح لزيارة قصيرة إلى أحد الأقارب، ولا بأس أن نلفت نظرهم بإيجاز إلى قيمة صلة الرحم وأثره في البركة في الأرزاق والأعمار.

اجعلي وجبتي الإفطار والسحور بالنسبة للأطفال الذين لا يصومون هما الأساسيتين؛ ليسمعوا الدعاء ويشاركوا الكبار فرحتهم.

شهر رمضان فرصة للتخلص من العادات الغذائية الخاطئة التي تعتمد على الكمية وليس النوعية، فمن المهم تجنب الوجبات الدسمة واختيار الأصناف الخفيفة التي لا تثقل كاهل البدن ولا تبعث على الخمول فتفقد العبادة في هذا الشهر رونقها ولذتها، وقد كان الهدي النبوي في الإفطار أن يجعل- عليه أفضل الصلاة والسلام- من قوته قيامًا لصلبه لا تكثيرًا لشحمه، فكان يكسر صومه تدريجيًا ويأكل بكميات قليلة تبدأ بالتمر والماء.

ما يقوم به كثير من الناس في عصرنا هذا من السهر في رمضان فإنه عادة سيئة لعدة أسباب منها أنه لم يعهد عن السلف الصالح سهر الليل كله، وقد كان السلف يقضون جلّ وقتهم في عبادة الله بينما كثير من الناس في عصرنا هذا يقضون جل وقتهم فيما لا فائدة فيه، ولم يعهد عند السلف نوم نهار رمضان بينما نجد في عصرنا هذا من ينام جلّ يوم رمضان، وكانت الغاية من سهر رمضان عند السلف هي العبادة بينما الغاية عند بعض الناس في عصرنا هذا التسلية والترفيه، كل تلك الأمور تجعل السهر في رمضان في وقتنا الحاضر عادة خاطئة ينبغي التخلص منها.

لماذا يتصادم الآباء مع الأبناء؟!

د.عبدالرحمن النمر

بلهفة بالغة وشوق عظيم، يرقب الزوجان وصول المولود الأول، لكن ما إنْ يخرج صاحب الجلالة إلى الوجود حتى تتحول الحياة إلى جحيم لا يطاق! فالصغير المنتظر «شيطان مصور» يعيث في البيت فسادًا، ويملأ الدنيا ضجيجًا وعويلاً، ويسلب والديه راحة البال! كيف تتحول نعمة الذرية إلى نقمة على الآباء؟! هل صحيح أن الصغار «عفاريت»؟ أم أن الآباء ليسوا ملائكة؟! كيف تتحول رابطة الأبوة والبنوة إلى صراع يذهب ضحيته الطرفان؟!

طب الأطفال النفسي ينظر إلى هذه المشكلة الخطيرة الشائعة بعين الجد والاهتمام، لمعرفة أسبابها ووضع أسس العلاج لها.. وعلى هذه السطور نمضي مع طب الأطفال النفسي لنرى ماذا يقول في هذه المشكلة.

ميلاد الصراع

حين يتوقع الوالدان وصول المولود الأول، تكبر أحلامهما وأمانيهما حول الوليد، وينسجان خيوط مستقبله، ويرسمان نهج حياته من قبل حتى أن يخرج الصغير إلى نور الحياة! فإذا جاء المولود ذكرًا، فيجب إعداده للتاج والعُرْس، وإذا جاء المولود أنثى، فيجب إعدادها لتكون «وَلاَّدة بنت المُسْتَكْفي» لزمانها!

ولا ضير على الوالدين في التمادي في الأحلام والاستئناس إلى الأماني، فتلك فطرة طبيعية تحفز الآباء على حسن السهر على الأبناء، ولكن آفة أحلام الإنسان إذا تمادى فيها أنها تصبغ سلوكه وتهيمن عليه، بحيث تؤدي كثيرًا إلى الصدام مع الواقع، فما إنْ ينمو الصغير ويصل إلى الشهر الثامن عشر من عمره، حين يبدأ في الحركة النشيطة وتعلم الكلام، حتى تنهال عليه الأوامر من كل حدب وصوب، وفي كل وقت وحين!

فالصغير المسكين الذي بدأ لتوه يدب على الأرض بعد أنْ كان يحبو عليها، والذي بدأ- مستعينًا بقدرته على الحركة- في استكشاف بيئته بجميع حواسه، بعد أن كان يستكشفها بسمعه وبصره، يفاجأ بالمحظورات والممنوعات! لا تقترب من كذا.. لا تلمس كذا.. لا تفعل كذا... إلى آخر قائمة الممنوعات.

فإذا كبر الطفل شهورًا أخرى، وزادت قدرته على الحركة والكلام زادت قائمة الممنوعات والمحظورات، إذْ لا يليق بطفل يقوم والداه بإعداده للتاج والعرس أن يُسْقِط الطعام من فمه، أو أن يصيح وهو جالس على المائدة، أو أن ينثر الطعام من صحفته على ثيابه! ولا يليق بطفلة يجري إعدادها لأن تكون «ولادة» زمانها، أن تضحك على رأس جدها الصلعاء، أو أن تقذف دمية لا تعجبها وقد أهديت إليها في التوّ، ولا أن تعبث بشارب أبيها وهو يحملها ليداعبها!

بتعبير آخر فإن الوالدين يعاملان الصغير كبالغ عاقل مكتمل النضج، ويطلبان منه التصرف على النحو اللائق بالشخصية التي صنعاها له من أحلامهما، ومن هنا يولد الصراع! وهو صراع ناشئ من صدام التوقعات مع الواقع، فمن المخطئ ومن المصيب؟!

قليل من الآباء من يذكر كيف كان «عفريتًا» في طفولته! وأقل من هؤلاء من يسمح لصغاره بتقمص الدور الشيطاني الذي لعبه مئات المرات في سني حياته الأولى، والغالبية من الآباء تتوقع من الصغار التصرف بحكمة الكبار ورزانة الشيوخ ونبل الأمراء! وغني عن الذكر أن توقعات الآباء في هذه الحالة في غير محلها، ولا يمكن اعتبارها توقعات معقولة بأي مقياس من المقاييس.

لذا تأتي الخطوة الأولى لحل صراع الآباء والأبناء من الوالدين، وذلك بإدراك معنى الطفولة والنزول إلى مفهومها الواقعي، وليس بمطالبة الصغار بالارتفاع إلى مستوى أحلام وأماني آبائهم. وهذه النظرة الواقعية إلى عالم الصغار كفيلة بتغيير الموقف تغييرًا جذريًا، فالصغير نبتة نامية، من حقها استكشاف بيئتها والعالم من حولها، في حرية فطرية لا تعرف قيود الكبار، ثم إن الصغير كائن بريء لا

طبيب مصري

يتقن التمثيل بَعْدُ، ولا يجيد فنّ ارتداء الأقنعة، لذلك لا يجب أن تفرض عليه قيود «التمثيل الاجتماعي» التي يتقنها الكبار ويسمونها «إتيكيت»، وإنما يجب أن تترك له حرية التعبير البريء مطلقة من كل قيد.

اكتساب السلوك

هناك حقيقة مهمة يُغْفِلُها كثير من الآباء عند التعامل مع صغارهم، وهي أن الصغير يتعلم بالتقليد أكثر مما يتعلم بالتوجيه، فالصغير يتعلم اللغة بمحاكاة أبويه وليس بدراسة قواعد اللغة! وقل مثل ذلك عن باقي المهارات وأنماط السلوك التي يكتسبها الصغير في سنوات حياته الأولى.

ومن عجب أن كثيرًا من الآباء يتصرف بطريقة معينة في مواقف معينة، ولكنه يصرّ على ألا يتصرف صغاره على نفس المنوال، ويزعم أنه يريد تعليمهم السلوك الأقوم! ومرة أخرى، فإن هذا المسلك من جانب الوالدين يكون مصدرًا لصراع من نوع جديد، وواضح في هذه الحالة أن الوالدين نَسِيا أن صغيرهما مطبوع على التقليد والمحاكاة.. هكذا خُلق، وهكذا يتعلم في السنوات الأولى من عمره، وطبيعي أن حل هذا النوع من الصراع يكمن في أن يسلك الآباء نفس السلوك الذي يطلبونه من صغارهم.

خذ مثلًا ذلك الأب الذي لا يكف عن استخدام ألفاظ نابية في حديثه، فهي تجري على لسانه مجرى الدم في عروقه، وصغاره من حوله يتعلمون تلك الألفاظ ويضيفونها إلى

الوالد غير المنظم في بيته ونفسه وهندامه يغرس الفوضى في صغاره بسلوكه

قاموس معرفتهم، فإذا ردّد الصغار نفس الألفاظ النابية التي تعلموها من رائدهم، جاءهم النّهْرُ والزّجْرُ! فإذا عادوا إلى مثلها كان التهديد والوعيد، ثم العقاب! فمن المخطئ ومن المصيب؟!

ليس يفيد أن يعطي الآباء أبناءهم عشرات التوجيهات والنصائح والأوامر كل يوم عما يليق وما لا يليق، بقدر ما يفيد أن يكون سلوك الوالدين قدوة لصغارهما.

والزوجة التي تكذب على زوجها، تزرع بذور الكذب في صغارها دون أن تشعر، ولن يفيد بعد ذلك أن يتلقى الصغير عشرات النصائح عن فضيلة الصدق.

الوالد غير المنظم في بيته ونفسه وهندامه، يغرس الفوضى في صغاره بسلوكه، ولن يجدي بعد ذلك أن يُؤمَر الصغير بالنظام وحُسْن الهندام، والأم التي لا تعتني بنظافة نفسها وبيتها، تعلم صغارها عدم النظافة، ولا قيمة لأي نصيحة توجه للصغار من بعد عن أهمية النظافة وضرورة مراعاتها.

سلوك الآباء إذن يدخل عنصرًا أساسيًّا في صراع الآباء والأبناء، ولمّا كان سلوك الصغار مكتسبًا بتقليد سلوك آبائهم، فيجب أن يكون الآباء قدوة في السلوك القويم، ليست هناك حاجة إلى عشرات التوجيهات اليومية إذا توفر السلوك الفعلي، يكفي أن يفعل الآباء شيئًا فيحاكيهم الصغار بتعبير أبسط، فإن سلوك الطفل مرآة لسلوك أبويه، وفي هذا ما يكفي لإلغاء حملة التوجيهات التي تجعل الآباء في حالة عصبية، وتجعل الصغار في حالة تمرد وعصيان.

الثواب والعقاب

قد يُفهم من الكلام السابق أن الأطفال ملائكة مَحْضٌ، وأن الآباء زبانية جهنم! والحقيقة أن دوافع الآباء نبيلة، وتصرفات الصغار بريئة، وصراع الآباء والأبناء ليس إلا صدامًا بين تلك الدوافع وتلك التصرفات، ومرة أخرى فإن فض النزاع يتوقف على فهم الآباء للطفولة ومراحلها المختلفة، وما يمكن توقعه من الصغير في مراحل نموه المختلفة.

على أي حال، وإقرارًا للحق، فإن للصغار «شيطنتهم» وتصرفاتهم التي تذهب بعقول الكبار! وحين ينظر طب الأطفال النفسي إلى «شيطنة» الصغار، فإنه يجد لها مبررات كثيرة، على أن أهم مبرر- أو دافع- وراء شيطنة الصغار هو جذب الاهتمام، ولعل أكثر نوبات غضب الصغار وصراخهم راجعة إلى عدم اهتمام الوالدين أو أحدهما بهم، فالصغير في حاجة إلى اهتمام طول الوقت، وإلى مداعبة وملاطفة معظم الوقت، ولا تسمح له سنُّهُ الصغيرة باستيعاب حجم المسؤوليات المنوطة بالكبار.

إلا أننا يجب أن نلفت الانتباه هنا إلى الطفل الذي يبكي طول الوقت كوسيلة لجذب الانتباه إليه، في الشهور الثماني عشرة الأولى من العمر يكون بكاء الطفل وسيلته الوحيدة للتعبير، فيبكي عندما يجوع، ويبكي عندما يخاف، ويبكي عندما يحتاج إلى اهتمام أمه، لكنْ بعد ذلك العمر، يكون البكاء حيلة من الطفل يستخدمها لأغراض كثيرة، على رأسها جذب الاهتمام، والطفل الذي يبكي باستمرار يجب تعليمه وسيلة أخرى لجذب الاهتمام بدلًا من البكاء والصراخ، والطريقة ببساطة هي تجاهل بكاء الصغير حتى يسكت من تلقاء نفسه، دون أن يكون في ذلك تعريض الصغير لخطر من أي نوع، وإذا تكرر إهمال الوالدين لبكاء صغيرهما المستمر، فإن ذلك سيكون مَدْعاةً لسكوته عن البكاء، وانتهاج سبيل آخر للتعبير عن رغبته في اهتمام الآخرين به.

والصغير لا يتميز فحسب برغبته القوية في جذب الاهتمام إليه، ولكنه يتميز كذلك بقوة غريزة حب التملك؛ لذلك ينفجر الصغير غاضبًا في نوبة بكاء عنيفة، كلما انتهكت تلك الغريزة بصورة أو بأخرى! فمثلا: استئثار أخ أو أخت باهتمام الوالدين، سيدفع الصغير لا محالة للبكاء بعنف، وهذا التصرف الذي يوصف

بأنه غيرة من الصغير، ليس في الواقع إلا تعبيرًا عن غريزة حب التملك، ومثل ذلك يقال عن أخذ لعبة أثيرة لدى الصغير من بين يديه، إلى غير ذلك من الأسباب.

هنا يأتي دور الثواب والعقاب، لتعليم الصغير كيف يكبح جماع غرائزه ويكتسب سلوكًا مهذبًا لائقًا. فمثلًا يجب أن يثاب الصغير عندما يقتسم حلواه المفضلة مع شقيقه أو شقيقته، أو عندما يتخلى طائعًا عن لعبته المفضلة ليلعب بها أخوه أو أخته بعض الوقت، والثواب يجب أن يكون فوريًا ومن جنس شيء يحبه الصغير ويهواه، أحيانًا يكفي أن تضم الأم صغيرها إليها وتقبله ليعرف الصغير أنه قام بعمل حميد، والثواب من شأنه أن يرسّخ السلوك المراد اكتسابه في نفس الطفل، ويقوي بواعث الصغير لمعاودة السلوك ذاته.

ومما يقال عن الثواب أن دوره أكبر بكثير في تهذيب سلوك الصغار وترويض غرائزهم من دور العقاب، ويكفي أن يثاب الصغير على كل فعل حسن يقوم به حتى تتحول أفعاله وتصرفاته كلها إلى السلوك القويم المراد اكتسابه.

أما العقاب فيمكن أن يحل الحزم محله، وفي أحيان كثيرة يكفي تجاهل الصغير، وتجاهل الخطأ الذي ارتكبه، ليدرك الطفل من تلقاء نفسه، فداحة ما أقدم عليه، أمَّا تصيد أخطاء الصغير والوقوف له بالمرصاد، ومعاقبته على كل خطأ يبدر منه، فهي سياسة خاطئة بكل تأكيد، حسبما يؤكد طب الأطفال

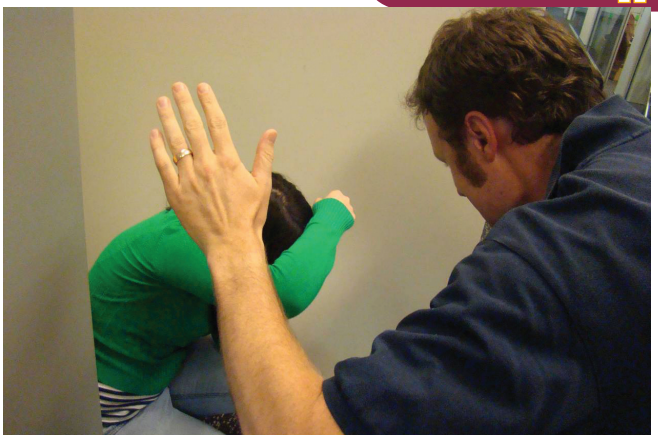

بعض الآباء يعطى أبناءه عشرات التوجيهات والنصائح والأوامر كل يوم عما يليق وما لا يليق

النفسي، بل أكثر من ذلك، فإن مشاهدات علم السلوك تؤكد أن عقاب الصغار المتكرر يؤدي إلى عنادهم وإصرارهم على معاودة نفس العمل الذي عوقبوا عليه!

وعلى ذلك، فيجب أن يكون العقاب حلًا أخيرًا يلجأ إليه الآباء عند الضرورة القصوى، وحتى في هذه الحالة فيجب أن يكون العقاب معقولًا ومقبولًا ويمكن أن يؤدي إلى النتيجة المطلوبة، أما تخويف الطفل بأنه سيحبس في غرفة مظلمة بمفرده مع الفئران، أو أن أباه سوف يستدعي رجل الشرطة، أو أن أمه ستأخذه إلى الطبيب ليخزه بالإبرة، كل هذا يدخل في إطار العقاب العقيم، إذ سرعان ما سيدرك الصغير أن كل تلك التهديدات غير جادة، وأن شيئًا منها لن يحدث! فضلًا عن أن تخويف الطفل بهذه الأشياء يخلق عنده مخاوف وحساسيات تؤثر على حياته في المستقبل، وكثير من البالغين ما زال يخاف الفئران ويخشى سطوتها، بسبب تخويفه المستمر بها في طفولته الباكرة! كذلك يكره أكثر الأطفال عيادات الأطباء بسبب الخوف من وخز الإبرة!

أقصى عقوبة توقع على الصغير هي الحرمان.. الحرمان مما يحبه الصغير ويهواه، إلا أن هذه العقوبة لا يجب اللجوء إليها بين حين وآخر، ولمعاقبة الصغير على أخطاء تافهة، فالحرمان المتكرر له عواقب وخيمة على نمو الطفل النفسي والعقلي! لذلك نعاود التنبيه على أن هذه العقوبة لا يجب فرضها على الصغير إلا في الحالات النادرة التي يصعب فيها تقويم سلوك الصغير بالأساليب الأخرى التي سلف بيانها، وأهمها تجاهل الصغير بعض الوقت.

ويأتي الضرب كسبب رئيسي من أسباب عناد الصغار، ومثله مثل الحرمان المتكرر، يقتل كرامة الصغير ويؤذي نفسه، لذلك فيجب عدم اللجوء إلى هذا النوع من العقاب إلا لضرورة بالغة، وفي هذه الحالة يكفي ضرب الصغير على كف يده مرة أو مرتين برفق، إذ الهدف من الضرب التأديبُ وليس تكسير عظام الطفل!

ولكي يؤتي الثواب والعقاب ثمرته المطلوبة، يجب ألا يعاقب الطفل على تصرف، ثم يثاب عليه في اليوم التالي أو العكس، إذ يجب أنْ يكون الاتجاه ثابتًا حتى لا يقع الصغير في حيرة، وحتى يستطيع اكتساب السلوك المراد، بعض الآباء يصفق لصغيره ويضمه في فرحة بالغة عندما يَسُبّ الصغير أحد أقرانه في اللعب، فإذا عاد الصغير وسب شقيقه، مثلًا، فإنه يعاقب بأشد صنوف العقاب! وهذا تصرف لا حكمة ولا إنصاف فيه، لأنه كوفئ مرة على سلوك ثم عوقب على نفس السلوك في مرة أخرى.

وخلاصة ما تقدم، أن صراع الآباء والأبناء يرجع في أساسه إلى عجز كثير من الآباء عن فهم أبعاد الطفولة والتعامل معها بما يناسبها، وكثير من أنماط السلوك التي يعاقب عليها الصغير تكون مكتسبة من الكبار! ولا يكون حل الصراع بتجريب كل أنواع العقاب على الصغير، بقدر ما يكون بتوفير قدوة سلوكية من الوالدين، مع التصرف بحكمة تسمح للصغير أن يعيش طفولته في حرية وبراءة.

من أقدم منارات العلم في العالم الإسلامي

دار الحديث الأشرفيَّة (الجُوَّانيَّة) في دمشق

إنَّ مَنْ ينظر في أسماء شيوخ دار الحديث ومدرسيها لا يملك إلا أن يمتلئ فخرًا وإعجابًا، لأنهم كانوا رؤساء العلم في عصرهم وشيوخه، ليس في دمشق وحدها، بل في جميع البلدان الإسلامية. في الأشرفيَّة صُنِّفَت أُمهات الكتب في الحديث وغيره، فكانت مراجع أساسية اشتهرت شهرة فائقة لا تعادلها شهرة، مثل: «علوم الحديث لابن الصلاح، وتهذيب الكمال للمزي، وتفسير ابن كثير...» إذا كانت دور الحديث حصونًا تاريخيةً ذادت عن سنة رسول الله ﷺ، فإن مدينة دمشق تفخر بأنها أول مدينة ضمت دارًا للحديث قبل أي مدينة في العالم.

تركي محمد النصر
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف الكويتية

كان الملك «الأشرف مظفر الدين موسى» من خيار ملوك الدولة الأيوبية عدلًا وعلمًا وجهادًا، وُلد بالقاهرة سنة (٥٧٦هـ) وروى عن «ابن طبرزذ»، وسمع منه «صحيح البخاري» في ثمانية أيام، وكان مليح الهيئة، حلو الشمائل، قام بتخريب خان العقيبة وجعله جامعًا، كما بنى: «مسجد باب النصر، ودار السعادة، ومسجد أبي الدرداء، وجامع جراح، ودارَيْ الحديث بالبلد... وغيرها».

وحكم دمشق، وساس الرعية بالعدل فأحبوه، واستمرت حياته على هذا النهج حتى توفاه الله سنة (٦٣٥هـ)، تاركًا وراءه آثارًا، ما يزال باقيًا منها حتى يوم الناس هذا مؤسسات تؤدي رسالتها التي أُنيطت بها كدار الحديث الأشرفيَّة (الجوانيَّة) للشافعية وتولَّى مشيختها العلامة المحدِّث «ابن الصلاح»، وتُعدُّ ثاني دارًا للحديث إنشاءً في العالم الإسلامي بعد «دار الحديث النوريِّة» التي بناها نور الدين زنكي في دمشق، وتولى مشيختها المؤرخ «ابن عساكر»، وفيها كتب تاريخه.

وقد طار صِيتُ الأشرفيَّة في الآفاق وتردد ذكرها في كتب التاريخ وملأت تراجم شيوخها وروادها صفحاتها، ولعل سبب شهرتها يرجع إلى ما عُرفت به من فضائل وما اتسمت به من صفات، وما التزمت من منهج علمي متقدم، كما شيَّد - رحمه الله دار الحديث الأشرفيَّة (البرانيِّة) للحنابلة . تأسست سنة (٦٣٤هـ)- بصالحية دمشق، وتولَّى مشيختها الشيخ الفقيه «عبدالرحمن بن أبي عمر المقدسي».

زار «ابن جبير الأندلسي» دمشق سنة (٥٨٠هـ) واطلع على الجانب العلمي فيها فقال: «لا عذر لطالب العلم إن قصَّر في السعي إليه؛ لأنَّ كل الأمور المعينات عليه متوافرة له في دمشق وأهمها فراغ البال والمعيشة الميسورة».

موقعها وتاريخها

تقع دار الحديث الأشرفية (الجُوَّانيَّة) في مدينة دمشق القديمة، بمنطقة العصرونية، بجوار الباب الشرقي لقلعة صلاح الدين.

بدأ ببنائها «الملك الأشرف مظفر الدين موسى» سنة (٦٢٨هـ)، بعد أن اشترى أرضها التي كانت دارًا للأمير «صارم الدين قايماز» وافتتحها سنة (٦٣٠هـ)، وسُميت بـ «الأشرفيَّة» نسبة له، وشرط أن يجمع شيخها بين الرواية والدراية، فاختار العلامة «تقي الدين ابن الصلاح» -صاحب المقدمة- وأوقف عليها الأوقاف، وجعل تدريسها للشافعية كما ذكر ابن كثير في طبقاته.

وكان بها نعل النبي ﷺ، هذه النعل التي وَرِثَها التاجر الدمشقي «أبوالحديد السلمي» من أجداده، وأوصى بها بعد موته للملك الأشرف، ففرح به وأقره بدار الحديث الأشرفيَّة.

وقفيتها

قال ابن طولون الدمشقي (ت:٩٥٣هـ) في كتابه «اللّمعات البرقية في النكت التاريخية»:

رأيت في الفتاوى السبكيَّة الكبرى، في كتاب الوقف، صورة كتاب وقف دار الحديث الأشرفيَّة الدمشقية مختصرًا: «هذا ما وقفه السلطان الملك الأشرف أبوالفتح موسى بن العادل ، جميع ما يأتي ذكره فيه، فمنه الدار، ومنه الحانوتين من شرق بابها، وجميع الحانوت من غرب الشباك، وجميع الحجرة من غرب ما يأتي ذكره، ومنه جميع القيسارية السفل والعلو، وجميع الساباط قبالتها، ودار أخرى، ومنه ثلث حزرمها وقفًا مؤبدًا، فالدار دار حديث...».

هذا وكان يُصرف على الدار من أوقافها، وما فضل من ذلك كان مصروفًا إلى أهل الدار من أصحاب الحديث والمشتغلين بعلمه، والسامعين له، والقرَّاء للسبع، والشيخ المحدث، والإمام والمؤذن وسائر المرتبين بالمكان المتعلقين به.

شيوخ دار الحديث وأعمالهم

تولّى دار الحديث الأشرفية كوكبة من العلماء الأجلاء، والمحدثين الفضلاء، والمتتبع لتراجمهم يجد أنهم أشهر علماء الحديث في العالم الإسلامي (دراية، ورواية، وتأليفًا)، مع العلم الجم والزهد والتقى، فنجد:

١- «العلامة ابن الصلاح» (ت:٦٤٣هـ) أوّل شيخ ومحدِّث للدار، قد ألَّفَ وأملى كتابه (علوم الحديث) فيها، وأقرأ كتاب «السنن الكبرى للبيهقي» سنة (٦٣٥هـ).

٢- والعلامة «أبوشامة المقدسي» (ت:٦٦٥هـ) مؤلف: «شرح الشاطبية، والروضتين» وغيرهما، يصف لنا درسه الأول في دار الحديث فيقول: «حضر عندي قاضي القضاة «ابن خلكان»، وأعيان البلد من المدرسين والمحدثين...».

٣- أمَّا «الإمام النووي» (ت:٦٧٦هـ) الذي قال عنه السبكي: «لم يتولَّ الدار أورع منه»، فقد حدَّث رحمه الله «بالصحيحين، وسنن أبي داود، وشرح معاني الآثار» وغيرها، سماعًا وبحثًا، واهتمَّ بمكتبتها اهتمامًا كبيرًا، وكان يشتري لها الكتب بما يتقاضاه من أجر.

٤- والإمام «الفارقي»(ت: ٧٠٣هـ) الذي لا يمكن أن يُنسى فضله، حيث باشر أوقاف الدار وجددها بعد تخريبها على أيدي التتار سنة (٦٩٩هـ).

٥- وأقرأ شيخها الإمام «ابن الوكيل» (ت: ٧١٦هـ) مواضع متفرقة من «صحيح مسلم» فيها.

٦- وفيها درَّسَ وحدَّثَ الإمامُ «المزّي» (ت:٧٤٢هـ)، الذي كان أعجوبة زمانه، وصنَّف وأقرأ فيها كتبه «تهذيب الكمال، والأطراف»، كما شاركته زوجته فيها بتعليم النساء والأطفال.

٧- أما شيخها العلامة «تقي الدين السبكي» (ت:٧٥٦هـ)، الذي قال عنه ابنه تاج الدين: «الذي نراه أنَّه ما دخلها - أي دار الحديث - أعلم منه، ولا أحفظ من المزّي، ولا أورع من النووي وابن الصلاح»، فقد اجتهد فيها بالتدريس ومجالس السماع.

٨- وتولّى الدار العلامة المحدِّث الحافظ «ابن كثير الدمشقي» سنة (٧٧٤هـ) الذي كان زوجًا لابنة شيخه «المزّي»، فقد ألَّفَ وأقرأ فيها عددًا من

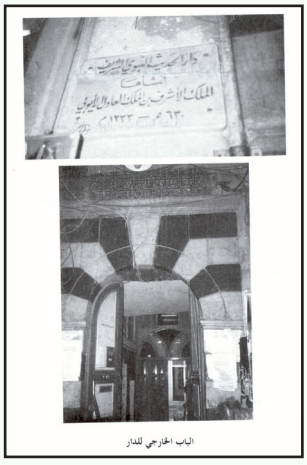
الباب الخارجي للدار

الكتب مثل «التفسير، والتاريخ، وتهذيب الكمال، وطبقات الشافعية، وغيرها»، وجلس رحمه الله لإسماع «صحيح البخاري» في الدار سنة (٧٦١هـ)، ومما سمعه على شيخه المزّي بدار الحديث الأشرفية كتاب «غرائب شعبة»، وهو مخطوط في المكتبة الظاهرية، ووُجِدَت الإجازة بخطه رحمه الله.

٩- وممَّن تولى الدار العلامة الحافظ «ابن ناصر الدين» (ت:٨٤٢هـ)، وألَّف وأملى فيها كتابه «توضيح المشتبه»، الذي يُعَد خاتمة كتب رجال الحديث توثيقًا، وقد قرئ عليه رحمه الله الكثيرُ من الكتب في الدار منها: «البخاري، مسلم، سنن أبي داود، سنن النسائي، سنن الترمذي، سنن ابن ماجه، كتاب الموطأ، مسند الشافعي، مسند الدارمي، مسند الحميدي، غالب مسند أحمد، السيرة النبوية لابن إسحاق، تهذيب سيرة ابن هشام»، وغيرها.

١٠- كما تولاها العلامة «سراج الدين عمر بن أرسلان البلقيني» (٨٠٥هـ)، الذي قال فيه ابن طولون: «إمام الأئمة وعالم الأمة، وخاتمة المجتهدين»، أجاز له الحافظ المزّي والذهبي، ولازم البهاء ابن عقيل وتزوّج ابنته.

١١- وتولَّى الدار قاضي القضاة العلامة «برهان الدين ابن جماعة» (٨١٩هـ)، صاحب التفسير، وكان رحمه الله كبير القدر بين العلماء حسن السمت، كامل الوصف والنعت، سمع وروى وأفاد في دار الحديث ما لا يُحصى من الكتب.

١٢. ثم تولّى الدار بعده القاضي «المعرّي» (ت: ٧٩٩هـ).

١٣. ثم تولّى بعده العلامة «شهاب الدين أبوالعباس القرشي» (ت: ٧٩٣هـ).

وتولى غيرهم الكثيرُ من العلماء وأهل الفضل الذين لا يتسع المقام لذكرهم، (ذكرهم د.محمد مطيع الحافظ، في كتابه دار الحديث الأشرفية).

وكان ممن تولّى مشيخة الدار أيضًا:

١٤- «الأمير عبدالقادر الجزائري» (ت: ١٣٠٠هـ)، الذي عُرفَ بحلمه وورعه وزهده، وكان معظمًا عند الملوك.

١٥- العلامة القطب والمُسند المحدِّث، الشيخ «بدر الدين بن يوسف الحسني» (ت:١٣٥٤هـ)، قال فيه السيد الكبير الكتاني المغربي: «إنه منذ خمسمائة سنة لم يوجد له نظير» الذي تسلَّم مشيختها، وأعاد لها عزّها ومجدها وفخرها، فأحيا بها دوارس الحلقات، ورواية الحديث، فعادت المدرسة دارًا للحديث والعلم بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، وبعد وفاته سنة (١٣٥٤هـ)، أشرف عليها بعده العلامة «يحيى المكتبي» تلميذ الشيخ ومرافقه، وقد تولى الإمامة والخطابة بها، وتردد عليها الشيخ «محمود

الرنكوسي» (ت: ١٤٠٥هـ) لتنفيذ وصية شيخة «الحسني» الذي كان يقول له: «لا تترك دار الحديث» فتولَّى مشيختها، وقام بمؤازرة أهل الإيمان والكرم بتشييد بنائها وتجديده، وأدخلوا مياه عين الفيجة إليها، وقاموا بتأسيس معهدها الشرعي.

ثم عمل الشيخ على تأسيس الجمعية الخيرية التعليمية بمقر دار الحديث، وقام بتأمين احتياجات طلابها من مسكن ومأكل وملبس وعلاج طبي.

وفي عام (١٩٥٤م) تم تجديد ترخيص المدرسة بمرسوم جمهوري موقعًا من رئيس الجمهورية «هاشم الأتاسي» لتصبح بعد ذلك مدرسة نظامية، وشهادتها تعادل شهادة الدراسة النظامية.

وفي عام (١٩٦١م) تم توسيع الدَّار، وكثَّفَ الشيخ الرنكوسي الجانب العلمي الحديثي فيها؛ فعقد مجالس السماع والتدريس وأقرأ فيها: «الترغيب والترهيب، حياة الصحابة، سيرة ابن هشام، مراقي الفلاح، الاختيار شرح المختار، اللباب في شرح الكتاب، زاد المعاد، صحيح البخاري».

وبعد وفاة الشيخ الرنكوسي رحمه الله، تولى مشيختها بعده تلميذه الشيخ «حسين صعيبة» الذي سار على نهج شيخه.

وبفضل الله استمر العمل في الدار على هذا النهج المبارك إلى يومنا هذا، حيث يتخرج من دار الحديث في كل عام كوكبة من طلاب العلم، فيكون منهم الواعظ، والخطيب، والإمام، والمدرس.

شيوخ القرَّاء في دار الحديث

من شروط مدرسة دار الحديث أن يكون فيها مشيخة للقرَّاء يتولاها حافظ للقراءات السبع، وأن يشرف على عشرة من القراء لتعليمهم القراءات السبع، وبهذه الشروط كان لدار الحديث دور هام في تعليم القرآن والقراءات، وأصبح كبار قرَّاء دمشق يتولون هذا العمل فكان منهم:

١- إبراهيم بن فلاح الإسكندري، (ت: ٧٠٢هـ) درَّس وأفتى، وتصدَّر للإقراء فيها.

٢- أحمد بن عبدالرحمن البعلبكي المعروف بابن النقيب، (ت: ٧٦٤هـ) تولَّى مشيخة الإقراء بالدَّار، وكان بارعًا في القراءات، وله يد في الفقه والنحو وغيره.

٣- أحمد بن أحمد بن محمد الرملي، (ت:٩٢٣هـ) تولَّى مشيخة الإقراء بالدَّار وبالجامع الأموي.

الأئمة في مسجد دار الحديث

من شروط من يتولى الإمامة في مسجد دار الحديث أن يكون حافظًا للقرآن جامعًا للقراءات، فتولَّى ذلك كبار القرَّاء ومنهم:

١- شرف الدين السيسي، (ت: ٦٦١هـ) وهو أوَّل مَنْ أمَّ بدار الحديث الأشرفية.

٢- يحيى بن عبدالله الفارقي، (٧٦٣هـ) وكان من أحسن النَّاس صوتًا.

٣ -محمد سعيد الهرباوي العربيلي، (ت: ١٩٨٣م) تعلم ودرَّسَ وتولّى الإمامة فيها.

كبار الرواة في دار الحديث

١- الحسين بن المبارك الزبيدي، (ت: ٦٣١هـ) روى ببغداد وكان إمامًا، متواضعًا، صادقا، ورد الدَّار، وأسمع فيها الصِّحاح، ومسند الشافعي، وغيرها.

٢- محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت: ٨١٧هـ) ورد دمشق فسمع بها من تقي الدين السبكي، وقرأ صحيح مسلم في الدَّار على ابن جهبل في ثلاثة أيام.

٣- عبدالقادر بدران، (ت: ١٣٤٦هـ) سكن بدار الحديث ودرس ودرَّس وألَّف فيها العديد من كتبه.

خزانة كتب دار الحديث

عندما أنشأ «الملك الأشرف» دار الحديث جعل فيها مكتبة ضمَّت أُمهات الكتب التي يرجع إليها الطلبة، وقد ألَّف شيوخ الدار فيها كثيرًا من مؤلفاتهم وأوقفوها على المكتبة، وأوقف «الإمام النووي» رحمه الله الكثير من الكتب على مكتبة الدار، إلا أن الكثير منها أُتلِفَ في الحريق الذي طال الدار في سنة (١٣٣٠هـ).

ومن الكتب الموجودة في وقفية مكتبة دار الحديث:

١- كتاب «جمل الأصول الدال على الفروع» في الفقه، وهو للعلامة محمد بن أحمد بن الربيع الشافعي (ت: ٣٣٥هـ)، وهو في مجلدين.

٢- كتاب «مناقب الإمام الشافعي» للإمام القراب الهروي (ت:٤١٤هـ) وهو في مجلدين، وغيرها من الكتب والمخطوطات القيِّمة التي لا يتسع المقال لذكرها.

سميت دار الحديث بـ «الأشرفية» نسبة إلى الملك الأشرف مظفر الدين موسى وهو من خيار ملوك الدولة الأيوبية عدلا وعلما وجهادا

الفترة العلمية

إن فترة تأسيس «دار الحديث الأشرفية» في دمشق كانت فترة علميَّة بامتياز حيث شهدت تأسيس العشرات من دور القرآن والحديث، منها:

١- دار القرآن الجزرية، أسسها وتولّى مشيختها العلامة محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري (ت:٨٣٣هـ).

٢- دار القرآن الخيضرية، أسسها وتولَّى مشيختها القاضي العلامة قطب الدين الخيضري (ت: ٨٩٤هـ).

٣- دار الحديث البهائية تأسست سنة (٧٢٣هـ) وولي مشيختها الإمام العلامة «الشهاب الأذرعي» (ت: ٧٨٣هـ) نسبة إلى أذرعات الشام (درعا اليوم) شيخ الشافعية في عصره.

٤. دار الحديث السكرية، تولّى مشيختها الشيخ العلامة الإمام «عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية» (ت:٦٨٢هـ) والد شيخ الإسلام «تقي الدين ابن تيمية، ت: ٧٢٨هـ». وغيرها الكثير من دور الحديث والمدارس والمنارات العلمية في دمشق الشام مدينة العلم والعلماء، ذكرها مفصلة الإمام «النعيمي، ت:٩٢٧هـ» في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس» فليراجَع.

خاتمة

وهكذا يتبين لنا مما سبق ذكره الدور الريادي الرفيع الذي كانت تحتله دار الحديث الأشرفية في النهضة الدينية العلمية في بلاد الشام، حيث جذبت كبار العلماء والحفاظ إليها ليدرُسوا ويدرِّسوا فيها شتى العلوم، فقد كانت بحق منارة للإشعاع الثقافي.

الشيخ بكر عبدالله أبوزيد «يرحمه الله»

التحرير

هو بكر بن عبدالله أبوزيد بن محمد بن عبدالله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد، ينتهي نسبه إلى بني زيد الأعلى، وهو زيد بن سويد بن زيد بن سويد بن زيد بن حرام بن سويد بن زيد القضاعي، من قبيلة بني زيد القضاعية المشهورة في حاضرة الوشم، وعالية نجد، وفيها ولد عام ١٣٦٥هـ.

حياته العلمية

درس في الكتاب حتى الصف الثاني الابتدائي، ثم انتقل إلى الرياض عام ١٣٧٥هـ، وفيها واصل دراسته الابتدائية، ثم المعهد العلمي، ثم كلية الشريعة، حتى تخرج عام ٨٧ / ١٣٨٨هـ من كلية الشريعة بالرياض منتسبا، وكان ترتيبه الأول.

وفي عام ١٣٨٤هـ انتقل إلى المدينة المنورة فعمل أمينا للمكتبة العامة بالجامعة الإسلامية.

وكان بجانب دراسته النظامية يلازم حلق عدد من المشايخ في الرياض ومكة المكرمة والمدينة المنورة.

ففي الرياض أخذ علم الميقات من الشيخ القاضي صالح بن مطلق، وقرأ عليه خمسا وعشرين مقامة من مقامات الحريري، وكان- رحمه الله- يحفظها، وفي الفقه: زاد المستقنع للحجاوي، كتاب البيوع فقط.

وفي مكة قرأ على سماحة شيخه، الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز كتاب الحج، من «المنتقى» للمجد ابن تيمية، في حج عام ١٣٨٥هـ بالمسجد الحرام.

واجازه المدرس بالمسجد الحرام الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان، إجازة مكتوبة بخطه لجميع كتب السنة.

وفي المدينة قرأ على سماحة شيخه الشيخ ابن باز في «فتح الباري» و «بلوغ المرام» وعددا من الرسائل في الفقه والتوحيد والحديث في بيته، إذ لازمه نحو سنتين وأجازه.

ولازم سماحة شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي نحو عشر سنين، منذ انتقل إلى المدينة المنورة، حتى توفي الشيخ في حج عام ١٣٩٣هـ- رحمه الله تعالى- فقرأ عليه في تفسيره «أضواء البيان»، ورسالته «آداب البحث والمناظرة»، وانفرد بأخذ علم النسب عنه، فقرأ عليه «القصد والأمم» لابن عبدالبر، وبعض «الإنباه» لابن عبدالبر أيضا، وقرأ عليه بعض الرسائل، وله معه مباحثات واستفادات، ولديه نحو عشرين إجازة من علماء الحرمين والرياض والمغرب والشام والهند وإفريقيا وغيرها، وقد جمعها في ثبت مستقل.

وفي عام ١٣٩٩هـ/ ١٤٠٠هـ، درس في المعهد العالي للقضاء منتسبا، فنال شهادة العالمية (الماجستير)، وفي عام ١٤٠٣هـ تحصل على شهادة العالمية العالية (الدكتوراه).

حياته العملية

لما تخرج الشيخ من كلية الشريعة في عام ٨٧ هـ /١٣٨٨هـ اختير للقضاء في مدينة النبي ﷺ فصدر أمر ملكي كريم

بتعيينه في القضاء في المدينة المنورة، فاستمر في قضائها حتى عام ١٤٠٠هـ.

وفي عام ١٣٩٠هـ عين مدرسا في المسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى عام ١٤٠٠ هـ.

وفي عام ١٣٩١هـ صدر أمر ملكي بتعيينه إماما وخطيبا في المسجد النبوي الشريف، فاستمر حتى مطلع عام ١٣٩٦هـ.

وفي عام ١٤٠٠هـ اختير وكيلا عاما لوزارة العدل، فصدر قرار مجلس الوزراء بذلك، واستمر حتى نهاية عام ١٤١٢هـ، وفيه صدر أمر ملكي كريم بتعيينه بالمرتبة الممتازة، عضوا في لجنة الفتوى، وهيئة كبار العلماء.

وفي عام ١٤٠٥هـ صدر أمر ملكي كريم بتعيينه ممثلا للمملكة في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، المنبثق عن منظمة المؤتمر الإسلامي، واختير رئيسا للمجمع.

وفي عام ١٤٠٦هـ عين عضوا في المجمع الفقهي برابطة العالم الإسلامي، وكانت له في أثناء ذلك مشاركة في عدد من اللجان والمؤتمرات داخل المملكة

وخارجها، ودرس في المعهد العالي للقضاء، وفي الدراسات العليا في كلية الشريعة بالرياض.

مؤلفاته

وله مشاركة في التأليف في الحديث والفقه واللغة والمعارف العامة، طبع منها ما يأتي:

أولا.. في الفقه

١- فقه القضايا المعاصرة (فقه النوازل) ثلاثة مجلدات فيها خمس عشرة قضية فقهية مستجدة في خمس عشرة رسالة:

التقنين والإلزام، المواضعة في الاصطلاح، أجهزة الإنعاش وعلامة الوفاة، طفل الأنابيب، خطاب الضمان البنكي، الحساب الفلكي، البوصلة، التأمين، التشريح وزراعة الأعضاء، تغريب الألقاب العلمية، بطاقة الائتمان، بطاقة التخفيض، اليوبيل، المثامنة في العقار، التمثيل.

٢- التقريب لعلوم ابن القيم (مجلد).

٣- الحدود والتعزيرات (مجلد).

٤- الجناية على النفس وما دونها (مجلد).

٥- اختيارات ابن تيمية، للبرهان ابن القيم (تحقيق).

٦- حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية (مجلد).

٧- معجم المناهي اللفظية (مجلد).

٨- لا جديد في أحكام الصلاة.

٩- تصنيف الناس بين الظن واليقين.

١٠- التعالم.

١١- حلية طالب العلم.

١٢- آداب طالب الحديث من الجامع للخطيب.

١٣- الرقابة على التراث.

١٤- تسمية المولود.

١٥- أدب الهاتف.

١٦- الفرق بين حد الثوب والأزرة.

١٧- أذكار طرفي النهار.

١٨- المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (مجلدان).

١٩- البلغة في فقه الإمام أحمد بن حنبل، للفخر ابن تيمية (مجلد، تحقيق).

٢٠- فتوى السائل عن مهمات المسائل.

ثانيا.. في الحديث وعلومه

١- التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل. ثلاث مجلدات، طبع منها الأول.

٢- معرفة النسخ والصحف الحديثة.

٣- التحديث بما لا يصح فيه حديث.

٤- الجد الحثيث في معرفة ما ليس بحديث للغزي.

٥- الأجزاء الحديثية (مجلد)، فيه خمس رسائل هي:

أ- مرويات دعاء ختم القرآن الكريم، جزء.

ب- نصوص الحوالة، جزء.

ج- زيارة النساء للقبور، جزء.

د- مسح الوجه باليدين بعد رفعهما بالدعاء، جزء.

هـ- ضعف حديث العجن، جزء.

ثالثا.. في المعارف العامة

١- النظائر (مجلد)، ويحتوي على أربع رسائل:

أ- العزاب من العلماء وغيرهم.

ب- التحول المذهبي.

ج- التراجم الذاتية.

د- لطائف الكلم في العلم.

٢- طبقات النسابين (مجلد).

٣- ابن القيم.. حياته، آثاره، موارده (مجلد).

٤- الردود (مجلد)، ويحتوي على خمس رسائل:

أ- الرد على المخالف.

ب- تحريف النصوص.

ج- براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة.

د- عقيدة ابن أبي زيد القيرواني وعبث بعض المعاصرين بها.

هـ- التحذير من مختصرات الصابوني في التفسير.

٥- بدع القراء (رسالة).

٧- خصائص جزيرة العرب.

٨- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (٣ مجلدات)، للشيخ محمد بن عبدالله بن حميد مفتي الحنابلة بمكة ت سنة ١٢٩٦هـ- رحمه الله تعالى- تحقيق بالاشتراك.

٩- تسهيل السابلة إلى معرفة علماء الحنابلة للشيخ/ صالح بن عبدالعزيز بن عثيمين البردي- رحمه الله تعالى-.

١٠- علماء الحنابلة من الإمام أحمد إلى وفيات القرن الخامس عشر الهجري.

١٩- دعاء القنوت.

١١- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد للشيخ حامد بن محمد الشارقي- رحمه الله تعالى- (مجلد، تحقيق).

١٢- نظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان.

١٣- تقريب آداب البحث والمناظرة.

١٤- جبل إلال بعرفات، تحقيقات تاريخية وشرعية.

١٥- مدينة النبي ﷺ رأي العين.

١٦- قبة الصخرة، تحقيقات في تاريخ عمارتها وترميمها.

ولد عام ١٣٦٥هـ في نجد وينتهي نسبه إلى قبيلة بني زيد القضاعية وتوفي عام ١٤٢٩هـ وأوصى أن يصلى عليه في مسجد بجوار بيته

وفاته

توفي رحمه الله في يوم الثلاثاء ٢٨ من محرم ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/٢/٥م، إثر مرض عانى منه ما يقارب خمس سنوات وأوصى أن يصلى عليه في المسجد الذي بجوار بيته لوصيته بذلك كما سمعت وأوصى بتعجيله وعدم تأخيره كعادته وحرصه على السنة حيًّا وميتًا- رحمه الله- وصلى عليه خلق كثير.

علم المناعة؟

د. يحيى سنبل

الإنسان معرض لأعداد هائلة من الميكروبات، موجودة في كل مكان، وعلى كل شيء، في الهواء والماء، وفي الطعام والشراب، وفي الأرض التي نعيش عليها وفي الأدوات التي نستخدمها، بل إن هذه الميكروبات موجودة على جلدنا، وفي أحشائنا، وفي تجويف الفم، وفتحتي الأنف.

هناك أنواع متعددة من الميكروبات، فالبكتيريا والفيروسات والفطريات والطفيليات، كلها عوالم عجيبة، لا تراها العين، لكنها موجودة، ولها تأثير كبير في حياة البشر.

لكن عظمة الخالق لم تترك الإنسان فريسة سهلة لهذه الميكروبات، بل أمدته بجهاز مناعي لحمايته منها، والتغلب عليها.

الجلد الذي يحيط بجسم الانسان يحميه من الميكروبات، ويقف كالحصن المنيع ضد الميكروبات التي تحاول أن تخترقه وتصل إلى داخله، والعرق الذي تفرزه الغدد العرقية الموجودة بالجلد يحتوي على إنزيمات تقتل الميكروبات، أما اللعاب الذي تفرزه الغدد اللعابية فيحتوي على أجسام مضادة تقتل الميكروبات، وإفرازات الأنف هي الأخرى تحتوي على أجسام مضادة تقتل الميكروبات، فالجسم محصن ضد الاعداء الذين يحاولون إيذاءه.

لكن ما هي هذه الاجسام المضادة الموجودة في اللعاب وإفرازات الجسم، مع العلم بأنها موجودة أيضا في الدم، هذه الأجسام المضادة هي أجسام صغيرة جدًا من الجليكوبروتين أي إنها تتكون من البروتين الذي يمثل الجزء الأكبر ونسبته من ٨٢-٩٦ في المائة والكربوهيدرات التي تمثل من ٤-١٨ في المائة، هذه الأجسام المضادة تعمل كما يعمل رجال الشرطة الذين يقفون بالمرصاد للصوص والمجرمين يقومون بالقبض عليهم، وكما يعمل رجال الجيش الذين يحمون البلد، ويحرسون الوطن من الأعداء، ويفتكون بمن يعتدى على أي شبر من الأرض.

معظم الأمراض الخطيرة في العالم تسببها الفيروسات وهي حبيبات متناهية في الصغر

لكن كيف تعرف العلماء على هذه الأجسام المضادة؟ وكيف عرفوا أن هناك جهازا مناعيا لحماية الجسم؟ وكيف تطور هذا العلم حتى صار علما معقدًا؟ هذه قصة طويلة جدا، يقول العلماء إنها بدأت في الصين، وإن الصينيين القدماء كانوا أول من عرف فكرة المناعة.

في ذلك الزمن كان مرض الجدري منتشرا بين الناس، ومرض الجدري في هذا الوقت مرض قاتل، حيث يؤدي إلى موت من ٥-٤٠ في المائة من المصابين به وهو مرض يؤدي الى طفح جلدي، حبوب وبثور وفقاقيع سيئة الشكل، وبعد أن تجف تترك ندوبًا، مثل أماكن الجروح القديمة، وتشوه وجه الشخص الذي يشفى من المرض.

قام الصينيون القدماء بأخذ القشور الموجودة على الطفح الجلدي لمرض الجدري وصنعوا منها مسحوقا يستنشقه الأطفال لوقايتهم من الإصابة بالمرض.

هذا هو العلم.. يبدأ بفكرة، قد تكون بسيطة وبدائية، ثم تتطور، وتصبح علما معقدًا.

كما نرى اليوم حملات التطعيم ضد مرض شلل الأطفال، والتطعيمات ضد الأمراض الأخرى مثل الدرن، والدفتيريا، والسعال الديكي، والتيتانوس، والحصبة، والنكاف، والحصبة الألماني، وغيرها من الأمراض.

العلم يبدأ بفكرة، ويتقدم بفكرة، وما تشهده البشرية من إنجازات، كانت كلها مجرد أفكار.

الفكرة التالية في علم المناعة قام بها طبيب انجليزي اسمه ادوارد جنر Edward Jenner، كانت هي الاخرى فكرة بسيطة، فقد كانت الابقار تصاب بمرض مشابه للجدري يسمى جدري الابقار cowpox، كما أن جدري الابقار يصيب الانسان، لاحظ ادوارد جنر ان الشخص الذي يصاب بجدري الابقار يكتسب مناعة ضد مرض الجدري، فقام بأخذ السائل الموجود في الطفح الجلدي لجدري الابقار، وحقنه في عضد صبي عمره ٨ سنوات، في محاولة لتحصينه ضد مرض الجدري، وبالفعل نجحت المحاولة، ونشر ادوارد جنر تجربته عام ١٧٩٨ ولاقت قبولا واسعا في الأوساط العلمية في هذا الوقت، وكان إنجاز إدوارد جنر أنه استخدم الإفرازات الموجودة في الطفح الجلدي لمرض أقل خطورة وهو جدري الأبقار للوقاية من مرض خطير وقاتل وهو مرض الجدري.

مرض الجدري يسببه فيروس الجدري، ومرض جدري الأبقار يسببه فيروس جدري الأبقار.

والفيروسات عالم عجيب متنوع، وهي متناهية الصغر، تحتوي على جزء من المادة الوراثية إما أن تكون الدنا DNA أو الرنا RNA، هذا الجزء يكون محاطًا بغطاء بروتيني يسمى كابسد Capsid.

ومعظم الأمراض الخطيرة التي يشهدها العالم في هذا العصر تسببها الفيروسات، مرض الإيدز، مرض الالتهاب الكبدي الفيروسي، إنفلونزا الطيور، إنفلونزا الخنازير، مرض شلل الأطفال، وغيرها من الأمراض الفيروسية التي تقلق العالم،

باحث إسلامي

تسببها هذه الحبيبات المتناهية الصغر التي تسمى الفيروسات.

أكثر من ٣٠٠ فيروس تصيب الإنسان وتسبب ٥٠ متلازمة (مرضًا) مختلفة. مع العلم بأن الفيروس الواحد يستطيع أن يسبب أمراضًا مختلفة، والمرض الواحد تسببه فيروسات مختلفة.

استطاع إدوارد جنر (١٧٤٩-١٨٢٣) أن يضع حجر الأساس لعلم المناعة الحديث، وجاء العلماء من بعده ليكملوا مسيرة هذا العلم الخطير.

الفكرة التالية في علم المناعة كانت للعالم الكبير لويس باستير (١٨٢٢-١٨٩٥) وهو عالم في البكتيريا والكائنات الدقيقة، كان باستير يقوم بزرع البكتيريا على أوساط غذائية مناسبة، ويجري عليها تجاربه، كانت لديه مزرعة لنوع من البكتيريا يسمى باستيرلا أفيسبتكا، والذي سمي بعد ذلك كوليرا الدجاج، ترك باستير المزرعة أثناء إجازة، ولاحظ بعد انتهاء فترة الإجازة أن هذه البكتيريا فقدت قدرتها على إحداث المرض للدجاج، كما لاحظ أن الحيوانات التي يتم حقنها بهذه البكتيريا الضعيفة تكتسب مناعة ضد السلالات القوية.

استنتج باستير أن البكتيريا الضعيفة يمكن استخدامها في التحصين ضد السلالات القوية، وظل هذا الإنجاز مستخدمًا حتى اليوم في التطعيمات ضد الأمراض، حيث تعطى للأطفال بصفة منتظمة في الوحدات الصحية ومراكز رعاية الأمومة والطفولة.

قام لويس باستير بتأكيد إنجازه بدراسة التحصين ضد مرض الجمرة الخبيثة Anthrax عام ١٨٨١، وقام العلماء بعد لويس باستير أمثال ريخيت Richet، وهيريكورت Héricourt، وكارين charrin، وروجر Roger بدراسة أمصال الدم، ومصل الدم هو السائل الرائق الذي ينفصل عن الدم المتجلط، وهو الذي يحتوي على الأجسام المضادة، وقد لاحظ العالم فودور Fodor عام ١٨٨٦ التأثير المباشر لمصل الدم الذي اكتسب مناعة ضد مرض الجمرة الخبيثة على البكتيريا العضوية المسببة لهذا المرض.

الدم، هذا السائل العجيب بما يحتويه من خلايا حمراء وبيضاء وصفائح دموية وبلازما، والذي يتجلط إذا تم سحب عينة منه، ووضعت في أنبوبة اختبار، بشرط عدم استخدام مانع تجلط، وإذا تجلط الدم يظهر سائل رائق وهو مصل الدم، وأصبحت دراسة أمصال الدم علما كبيرا يسمى علم الأمصال Serology، وفي عام ١٩٠٢ حصل إميل

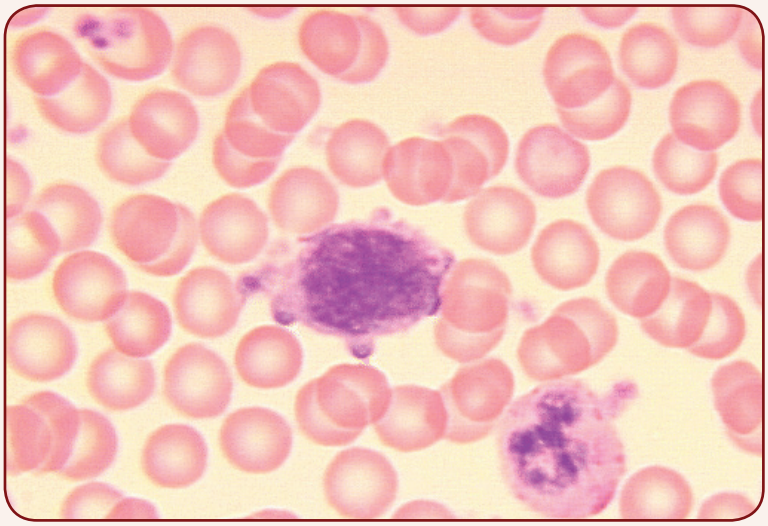

فون بهرنج على جائزة نوبل لقيامه بدراسة العلاج بالأمصال، خصوصا ضد مرض الدفتيريا، ليكون أول عالم يحصل على جائزة نوبل في علم المناعة.

وفي الوقت الذي كان بعض العلماء يدرسون فيه أمصال الدم ويجرون التجارب على حيوانات تسمى خنازير غينيا Guinea Pigs، كان هناك علماء آخرون يدرسون خلايا الدم البيض، وكيف تتعامل مع الميكروبات، فعالم الحيوان الروسي إيليا متشنيكوف (١٨٤٥ -١٩١٦) حصل على جائزة نوبل عام ١٩٠٨ على مجهوده في دراسة الخلايا المتحركة الموجودة في جسم يرقة حيوان نجم البحر الشفافة، ودور هذه الخلايا في الدفاع ضد الأجسام الغريبة التي تقتحم جسم اليرقة، حيث قام بإدخال نبات شائك في جسم اليرقة ولاحظ بعد ساعات قليلة أن هذا النبات الشائك أصبح محاطا بخلايا متحركة وهي الخلايا المناعية، وتأكدت دراسة متشنيكوف بواسطة العالمين كوخ ونايسر Neisser لله Koch، حيث أكدا أن البكتيريا توجد داخل خلايا الدم البيض، وقد كان من المعتقد أن البكتيريا تغزو خلايا الدم البيض لكن متشنيكوف بيَّن أن خلايا الدم البيض في الواقع تلتهم البكتيريا وغيرها من الكائنات الدقيقة، وبذلك يكون هو المكتشف لالتهام الخلايا Phago Cytosis هذا الاكتشاف الذي جعله يستحق جائزة نوبل.

لقد بدأ علم المناعة خطوة خطوة، بالملاحظة، والتفكير، وإجراء التجارب، ومراجعة الأفكار، والتأمل الطويل، وهذا هو العلم، وهذه هي أساليب البحث العلمي، وقد ذكرنا مجهودات بعض العلماء، لكن العلماء الذين أسهموا في تطور علم المناعة كُثُر، ولا يتسع المجال لذكرهم جميعًا.

وما نعرفه اليوم عن علم المناعة وقدرة الجهاز المناعي على التعرف على نوع الميكروب، ومهاجمة كل ميكروب بطريقة خاصة، يجعلنا نتعجب ونتأمل في قدرة الخالق- جل شأنه- وندرك أن الجهاز المناعي في جسم الإنسان عالم كبير تتصرف الخلايا فيه كما يتصرف الجيش في حالة الحرب والسلم، بنظام دقيق، وبأوامر، ويستخدم الأسلحة بدقة ومهارة، ولديه وسائل اتصال، وترتيبات. وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ (القمر: ٤٩).

ويقول جل شأنه: ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾ (الجاثية:٤) فسبحان الله العظيم.

فتاوى لجنة الفتوى في وزارة الأوقاف الكويتية

كيف يصوم طاقم الطائرة؟

توى رقم ١٧٣١

أيهما أفضل، الصيام بالسفر أم الإفطار في شهر رمضان وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بطاقم الطائرة؟

الأفضل للمسافر في رمضان أن يفعل ما هو أيسر عليه من الصوم في رمضان أو الإفطار فيه مع القضاء، فإن كان إفطار الطيار فيه مزيد سلامة وبعد عن الخطر له وللطائرة وللركاب فيكونً الإفطار أفضل وإن كان في صومه خطورة ولو بنسبة قليلة وجب عليه الإفطار.

إفطار راكبي الطائرة حسب الأرض التي تحتها

توى رقم ١٧٣٧

مسافر يركب الطائرة وهو صائم وحان وقت الإفطار في الدولة التي تحلق فوقها الطائرة، ولكن للارتفاع الشاهق للطائرة فإن الشمس لا تزال ظاهرة، فهل له أن يفطر أم ينتظر مغيب الشمس؟

هذه المسألة لم تطلع اللجنة على كلام للفقهاء في موضوعها ومع أن اللجنة تميل إلى أن العبرة بغروب الشمس على المكان الذي تحلق الطائرة فوقه، لأن الطائرة ليست مستقرًا لمن هم عليها ولا أصلا بذاتها وإنما هي تابعة للأرض وبالخصوص للمكان التي فوقه وطبقات العلو تابعة لما تحتها في الأحكام الفقهية ولكن لا يزال الموضوع يحتاج لبحث للاستناد إلى دليل ظاهر، والاحتياط هو في البقاء على الصوم حتى تغرب الشمس على الطائرة ليفطر بيقين.

لصقات النيكوتينيل في نهار رمضان

توى رقم ٥٢٧٢

استعمال لصقات نيكوتينيل خلال شهر رمضان علما بأن هذه اللصقات لصقات طبية تستعمل للعلاج وتساعد المدخنين على التغلب على عادة التدخين.

استعمال هذه اللصقات على الجلد في نهار رمضان لا يفطر الصائم.

بيع طعام لمفطر في نهار رمضان

توى رقم ١٤٣٣

هل يجوز بيع الطعام لمن يتناوله بالنهار في رمضان للمسلمين أو لغير المسلمين؟

لا يجوز بيع الطعام لمن يعلم أنه يتناوله في نهار رمضان من المسلمين إلا أن يكون له عذر يبيح له الفطر كأن يكون مسافرا أو مريضا أما بيعه لغير المسلمين فجائز.

الغوص في نهار رمضان

توى رقم «٤٦٤٠»

سؤال من القاعدة البحرية (فرع الغواصين) عن حكم الغوص في شهر رمضان المبارك، حيث انه يوجد شبهة للغواصين في حالة الغوص واحتمال دخول الماء في الجوف أثناء التدريب والعمليات، فيرجى إفادتنا بفتوى بجواز الغوص في شهر رمضان إن كان للتدريب أو الواجبات والعمليات التي يقوم بها أثناء الدوام الرسمي.

إذا غلب على الظن دخول الماء إلى جوف الغائص أثناء الغوص، فإن كان من الممكن الاستغناء عن الغوص في نهار رمضان فلا يجوز لهم الغوص تحرزا عن إفطارهم.

أما إن تحتم عليهم الغوص في نهار رمضان، فإنه يجوز لهم القيام به، وعلى الغائص أن يبذل جهده في اتقاء دخول الماء إلى جوفه قدر الإمكان، فإذا دخل الماء إلى جوفه رغم الاحتياط فإنه يفطر وعليه الإمساك بقية اليوم، ثم قضاء هذا اليوم بعد انتهاء عيد الفطر، والأولى تأخير هذه التدريبات إلى ما بعد الفطر، ما لم يترتب على ذلك إضرار بالمصلحة العامة.

لاشك أن التجدد ومسايرة العصر من خصائص الرسالة الإسلامية الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان، وهو لازم من لوازمها، وضمان لبقاء قدرتها على التكيف مع متغيرات الزمان والمكان، والاستجابة لمتطلبات المسيرة الإنسانية المتواصلة وحركة الحياة المستمرة في كل عهودها ومجتمعاتها ومعطياتها المختلفة بمعين لا ينضب وعطاء لا يتوقف، ومن مقتضيات الفقه لتحقيق تلك المقاصد عدم الجمود عند موقف واحد دائم في الفتوى أو التعليم أو التأليف والتقنين، بل ينبغي مراعاة مقاصد الشريعة الكلية وأهدافها العامة عند الحكم في الأمور الجزئية الخاصة.

د. عثمان عبدالرحيم
إمام وخطيب في وزارة الأوقاف

D_othman71@hotmail.com

فدية المريض في رمضان

توى رقم «٤٦٤٢»

يعاني شخص ما من خفقان سريع بدقات القلب ويتحتم عليه تناول الدواء ثلاث مرات في اليوم مدى الحياة، وإن ترك هذا الدواء تحصل له مضاعفات، فهل يجب عليه الصوم أم لا؟ وإذا لم يجب عليه فماذا يفعل حسب حكم الشرع.

إذا كان بإمكان هذا المريض تناول دوائه في أثناء الليل ما بين غياب الشمس إلى طلوع الفجر دون ضرر يلحق به وكان الصيام لا يضره فلا يجوز له الفطر، وإن كان الصيام يضره أو كان لابد من تناول بعض الدواء في النهار بحسب مشورة طبيب مسلم عدل فإن له الفطر، وما دام مرضه هذا لا يظن منه الشفاء بعد ذلك فان علية أن يدفع الفدية عن كل يوم يفطر فيه إذا كان مستطيعا وهى إطعام مسكين لقوله تعالى: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾ (البقرة: الآية ١٨٤) ويقدر ذلك في الكويت الآن بدينار كويتي تقريبا عن كل يوم يفطر فيه.

حقن الإبرة في نهار رمضان

توى رقم «٤٦٤٤»

فتاة لديها تكسر في الدم تأخذ كل يوم إبرة في منطقة البطن لتقليل مستوى الحديد في الجسم لتعيش، فهل يجوز لها الصيام أو لا؟ وهل الإبرة تؤدي إلى إفطارها؟ وإذا كانت صائمة وفي عكس ذلك ماذا عليها أن تفعل حسب حكم الشريعة؟

الإبرة إذا كانت في العضل أو في الوريد أو جدار البطن ولم تصل إلى الجهاز الهضمي مباشرة فإنها لا تفطر الصائم، أما إذا وصلت إلى الجهاز الهضمي مباشرة فإنها مفطرة إذا كانت أثناء النهار، وعليه إذا كان الصوم لا يضر بالمستفتية بحسب إخبار طبيب مسلم عدل فإن عليها أن تصوم وتأخذ الإبرة في الليل إذا كان في الوريد أو في جدار البطن، أما إذا كان الصوم يضرها بحسب إخبار ذلك الطبيب أو لم يمكن أخذ الإبرة في الليل وهي في المعدة أو في الجهاز الهضمي فعليها قضاء ما أفطرته بعد شفائها، وإن كان الشفاء منه غير مرجو فإنها تفدي ما أفطرته من الأيام كل يوم بإطعام مسكين.

قرار فقهي لمجمع الفقه الإسلامي (منظمة المؤتمر الإسلامي)
العمل بالرؤية في إثبات الأهلة

اطلع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي في دورته الرابعة المنعقدة بمقر الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، في الفترة ما بين السابع والسابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٤٠١هـ على صورة خطاب «الدعوة الإسلامية» في سنغافورة المؤرخ بـ١٦ شوال ١٣٩٩هـ الموافق ٨ أغسطس ١٩٧٩م الموجه لسعادة القائم بأعمال سفارة المملكة العربية السعودية هناك والذي يتضمن أنه حصل خلاف بين هذه الجمعية وبين المجلس الإسلامي في سنغافورة في بداية شهر رمضان ونهايته سنة ١٣٩٩هـ الموافق ١٩٧٩م، حيث رأت الجمعية ابتداء شهر رمضان وانتهاءه على أساس الرؤية الشرعية، وفقًا لعموم الأدلة الشرعية، بينما رأى المجلس الإسلامي في سنغافورة ابتداء ونهاية رمضان المذكور بالحساب الفلكي، معللاً ذلك بقوله: «بالنسبة لدول منطقة آسيا، حيث كانت سماؤها محجوبة بالغمام، وعلى وجه الخصوص سنغافورة، فالأماكن لرؤية الهلال أكثرها محجوبة عن الرؤية، وهذا يعتبر من الأعذار التي لابد منها، لذا يجب التقدير عن طريق الحساب». وبعد أن قام أعضاء مجلس المجمع الفقهي الإسلامي بدراسة وافية لهذا الموضوع على ضوء النصوص الشرعية، قرر مجلس المجمع الفقهي الإسلامي تأييده لجمعية الدعوة الإسلامية فيما ذهبت إليه، لوضوح الأدلة الشرعية في ذلك. كما يقرر أنه بالنسبة لهذا الوضع الذي يوجد في أماكن مثل سنغافورة وبعض مناطق آسيا وغيرها، حيث تكون سماؤها محجوبة بما يمنع الرؤية، فإن للمسلمين في تلك المناطق وما شابهها تأخذ بمن تثق به من البلاد الإسلامية التي تعتمد على الرؤية البصرية للهلال، دون الحساب بأي شكل من الأشكال، عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم: «صُومُوا لِرُؤْيَتِه وأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِه، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُم فَأَكْمِلُوا العِدَّةَ ثَلاثِينَ»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تَصُوموا حتّى تَرَوُا الهِلالَ أوْ تُكْمِلُوا العِدَّةَ، ولا تُفْطِروا حتّى تَرَوُا الهِلالَ أوْ تُكْمِلُوا العِدَّةَ»، وما جاء في معناهما من الأحاديث.

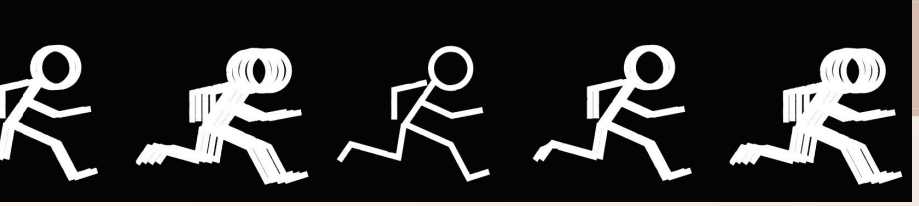

إعداد: خالد خلاوي

ماذا علمنا رمضان عن الإرادة؟

الإرادة هي قصد الفعل والإصرار على تحقيق الهدف، وغالبًا ما تكون إرادة العمل الصالح مخالفة لهوى النفس، مما يعني ضرورة ضبط النفس وحملها على تقبل ما لم تألفه من حرمان أو تعب ومشقة من أجل الغاية النبيلة التي يسعى صاحبها للعمل لها، وهذا ما نتعلمه في مدرسة رمضان بامتياز، فالصوم من أهم وسائل ضبط النفس والتدريب على الإرادة وتقويتها، والفكرة العامة التي تبني عليها وسائل تقوية الإرادة هي أن تُكره نفسك على فعل أشياء لا تحبها، بل هي ثقيلة عليها، ورويدًا رويدًا تألفها النفس وتصبح عادة لها، ولا تعود تجزع من ملاقاة العقبات والصعاب.

وشهر رمضان بمنزلة مدرسة لتربية الإرادة وتقويتها، فطوال ثلاثين يومًا يمتنع المسلم بإرادته واختياره عن الأكل والشرب والشهوة، ومن تمام الصوم الامتناع عن القبائح والرذائل، وعن اللغو واللَّهو وهذه المدة الزمنية كافية لتربية الإرادة، وتقويتها، وشحذها بالقوة والصلابة، ولا يمكن للإنسان أن يكون قويًا، وناجحًا، وعظيمًا، إلا عندما يتسلح بإرادة قوية وإصرار على تحقيق غايته، فإذا أردت أن تقوي إرادتك، فعليك بالصوم ليس في رمضان وحسب، وإنما أيضًا في بعض الأيام المستحبة من السنة؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: «والصوم جُنَّة» (أي وقاية) (رواه الترمذي).

وإلى جانب الصوم يمكن تقوية الإرادة بحرمان النفس من بعض عاداتها التي ألفتها مثل حرمانها من نوع معين من الطعام أو الشراب، أو حرمانها من اللعب بلعبة تحبها على الكمبيوتر أو حرمانها من النوم في فراش وثير، والنومُ على الأرض بلا فراش أو على الحصير.

ومن وسائل تقوية الإرادة أيضًا ضبط النفس في عادات النوم والاستيقاظ وذلك بتقليل عدد ساعات النوم لتوفير وقت للأعمال الصالحة، وقد وصف الله تعالى المتقين بأنهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ (الذاريات: ١٧)، ومن ضبط النفس في الاستيقاظ سرعة القيام من الفراش وتجنب البقاء في الفراش والتقلب فيه لأنه يدفع إلى الخمول والتكاسل، وكان من هدي الرسول ﷺ في الاستيقاظ مسح أثر النوم عن الوجه باليد، لحديث «فاستيقظ رسول الله ﷺ فجلس يمسح النوم عن وجهه بيده» (رواه مسلم).

ويحكى عن المفكر الفرنسي «سان سيمون» أنه علم خادمه أن يوقظه كل صباح في فراشه وهو يقول «انهض سيدي الكونت فإن أمامك مهام عظيمة لتؤديها للبشرية».

ومن وسائل تقوية الإرادة النفسية تعويد النفس على تحمل المشاق والمتاعب وذلك بممارسة بعض أنواع الرياضة الشاقة مثل المشي لمسافات طويلة أو العدو أو رفع الأثقال أو السباحة لمسافات طويلة، ومن أكثر أنواع الرياضة تدريبًا على الإرادة تسلق الجبال الشاهقة أو تسلق الحوائط بواسطة الحبال.

وكل هذه الوسائل التي أشرنا إليها تحتاج إلى المداومة على العمل حتى تعتاده النفس، قال رسول الله ﷺ «أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل» (رواه البخاري).

وقيل: النجاح ليس أمرًا طارئًا بل هو عمل هادف يتكرر يوميًا.

ويقول أحد الصالحين: كابدت قيام الليل عشرين عامًا ثم تلذذت به عشرين عامًا.

وقال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نفسي، مرة لي ومرة علي.

ومن ربى نفسه على الإرادة وعلو الهمة كانت له قوة في مواجهة الصعاب والتحديات، يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: الرجل المقبل على الدنيا بعزيمة وبصر لا تخضعه الظروف المحيطة به مهما ساءت ولا تصرفه وفق هواها، إنه هو الذي يستفيد منها ويحتفظ بخصائصه أمامها، كبذور الأزهار التي تطمر تحت أكوام السبخ، ثم هي تشق الطريق إلى أعلى مستقبلة ضوء الشمس برائحتها المنعشة !! لقد حولت الحمأ المسنون والماء الكدر إلى لون بهيج وعطر فواح.. كذلك الإنسان إذا ملك نفسه وملك وقته واحتفظ بحرية الحركة تجاه ما يواجه من شؤون كريهة، إنه يقدر على فعل الكثير دون انتظار أمداد خارجية تساعده على ما يريد.

وكثير من العلماء تحدوا ما واجههم من صعاب وأنتجوا لنا أعمالا عظيمة، فهذا الإمام ابن تيمية رحمه الله حُبس فأخرج من حبسه علمًا جمًا . والإمام السرخسي رُمي ببئر معطلة فأخرج ٢٠ مجلدًا في الفقه، وأيضًا ابن الجوزي نُفي من بغداد فجود القراءات السبع..

وكان أبوالوفاء ابن عقيل . من فقهاء الحنابلة

ينشد وهو في الثمانين معبرًا عن قوة إرادته وعلو همته:

ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خلقي
ولا ولائي ولا ديني ولا كرمي
وإنما اعتاض شعري غير صبغته
والشيب في الشعر غير الشيب في الهمم.

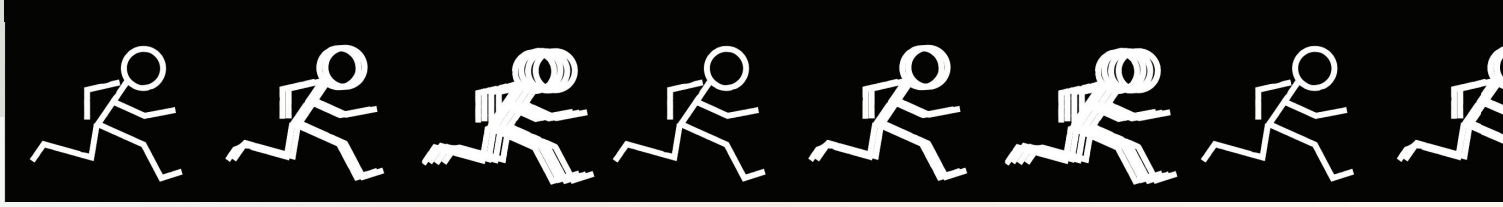

أسرع عداء في العالم

أحكي لكم قصة جميلة متداولة عن قوة الإرادة، بطلها صبي صغير كان يأتي مبكرا إلى المدرسة كل يوم لإشعال النار لتدفئة الحجرة قبل وصول المعلم وزملائه، وذات صباح وصلوا إلى المدرسة ليجدوها تحترق فقاموا بسحب الصبي الصغير وهو فاقد للوعي وهو أقرب إلى الموت منه إلى الحياة.. فقد أصيب بجروح شديدة في نصف جسده السفلي فقاموا باصطحابه إلى مستشفى المقاطعة القريب، وبينما كان راقدًا في سريره مصابا بحروق شديدة وفي نصف وعيه، سمع الصبي الصغير الطبيب وهو يتحدث إلى أمه، فقد أخبر الطبيب الأم أن طفلها ميت لا محالة وهو الأفضل بالنسبة له، حيث شوهت النار الجزء السفلي من جسده، ولكن لم يكن الصبي الصغير يريد أن يموت وصمم على النجاة، وبطريقة ما أذهلت الطبيب تمكن من النجاة، وعندما زال الخطر المميت سمع الطبيب ووالدته يتحدثان بصوت منخفض، فقد أخبرها الطبيب أن الموت أفضل بالنسبة له، حيث دمرت النار اللحم الموجود في الجزء الأسفل من جسده وأنه سيقضي بقية حياته معاقا وغير قادر على تحريك أطرافه، ومرة أخرى صمم الصبي الشجاع على أنه لن يكون معاقا أبدا، وأنه سوف يمشي ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك أي قوة دافعة لتحريك نصفه السفلي فقدماه النحيلتان موجودتان ولكنهما بلا حياة، وأخيرا خرج من المستشفى، وكانت والدته تقوم بتدليك رجليه كل يوم ولكن لم يكن بهما أي إحساس أو تحكم أو أي شيء غير أن تصميمه على المشي كان أقوى من ذي قبل، فعندما لا يكون في السرير كان يجلس على كرسي متحرك.

وفي أحد الأيام المشرقة دفعته أمه إلى ساحة المنزل ليستنشق بعض الهواء المنعش وفي هذا اليوم وبدلا من الجلوس على المقعد المتحرك ألقى بنفسه من عليه وأخذ يسحب جسده على الحشائش جارا رجليه خلفه، وظل كذلك حتى وصل إلى السور الأبيض الذي يحيط بحديقتهم وبعد جهد كبير استطاع رفع نفسه على السور واستند على السور وبدأ في سحب نفسه بطول السور مقتنعا بأنه سوف يمشي وبدأ في القيام بهذا كل يوم حتى تمكن من السير بسهولة حول السور، فلم يرغب الصبي الصغير في أي شيء أكثر من إعادة الحياة إلى رجليه، ومن خلال التدليك اليومي وبإرادة جديدة وعزم قوي تمكن من الوقوف ثم بدأ يمشي متكئا على شيء ثم استطاع المشي بنفسه وأخيرا تمكن من الجري، ولاحقا.. كوّن فريقا للجري في الجامعة، وأخيرا، وفي حديقة ميدان ماديسون مازال يوجد ذلك الصبي الصغير الذي لم يكن من المتوقع أن يعيش، والذي لم يكن ليمشي ولم يكن لديه أمل في الجري...

وبالعزيمة والإرادة استطاع جلين كنجهام إحراز لقب أسرع عداء في العالم..

كلمات في التميز

الإرادة

لا يصل الناس إلى حديقة النجاح، دون أن يمروا بمحطات التعب والفشل واليأس، وصاحب الإرادة القوية لا يطيل الوقوف في هذه المحطات.

جون تشارلز سالاك

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

أبوالطيب المتنبي

إرادة النجاح مهمة، لكن الأهم منها إرادة التحضير للنجاح.

بوبي نايت

تتحقق الكثير من الأشياء المهمة في هذا العالم لأولئك الذين أصروا على المحاولة على الرغم من عدم وجود الأمل.

ديل كارنيجي

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

أبو جعفر المنصور

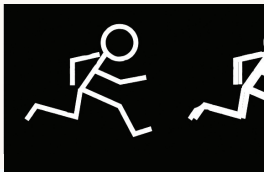

إعداد: هالة محمد

الاحتباس الحراري بدأ قبل التاريخ

قال باحثون أميركيون إن الاحتباس الحراري الذي جاء بسبب نشاط الإنسان قد لا يكون ظاهرة جديدة لأن إنسان ما قبل التاريخ أيضًا قد يكون أثر كذلك في بيئته، وأعلنت منظمة الاتحاد الجيوفيزيائي الأميركي أن الصيادين الأوائل الذين ساهموا في انقراض فيلة الماموث منذ ١٥ ألف عام تقريبًا، ربما ساهموا أيضا في التأثير سلبًا على الأرض وارتفاع درجات حرارتها، وقال الباحثون: إن حيوانات الماموث في المناطق الشمالية ربما كانت تقتات على شجر القضبان وتترك الأعشاب، ومع انخفاض عدد تلك الحيوانات وانقراضها بسبب اصطياد الإنسان لها، انتشرت أشجار القضبان وتغلبت على الأعشاب.

جراح سعودي يشارك في تصنيع قلب باستخدام الخلايا الجذعية

نجح فريق طبي ياباني بمشاركة جراح سعودي في تطوير أنسجة بشرية صنعت قلبًا ينبض في المختبر، وذلك في خطوة علمية طبية غير مسبوقة.

وجرت بعد ذلك زراعة الأنسجة القلبية الجديدة بنجاح في جسم المريض، مما يعني حال اعتمادها دوليا، الاستغناء عن زراعة القلوب البشرية التي تنقل من أشخاص متبرعين، وستعني أيضًا احتمال نجاحها في زراعة بقية الأعضاء البشرية مثل الكبد والكلى والبنكرياس وغيرها.

وقد جرب الفريق في الجامعة اليابانية تصنيع القلب على خمسة مرضى يعانون من الفشل القلبي، وقدرت حياتهم طبيًا بنحو ستة أشهر، ونجحت جميعها وبعضهم عاد يزاول حياته المعتادة بقلب قوي ينبض بصورة طبيعية.

ففي واقعة أقرب إلى الخيال العلمي تمكن فريق في جامعة أوساكا اليابانية من تصنيع أنسجة قلبية بشكل ناجح للمرة الأولى بعد خمسة عشر عاما من المحاولات الطبية العلمية الفاشلة سابقا.

المحيطات أدوية المستقبل

ينظر إلى المحيطات على أنها مصدر هائل للكثير من الثروات في العالم ولكن دراسة جديدة تتوقع بأن تكون أيضًا مصدرًا مهمًا لجيل جديد من الأدوية لعلاج أمراض خطرة في مقدمها السرطان.

ويدرس مركز الاستكشاف البيولوجي البحري في جامعة أبردين احتمال صنع أدوية جديدة من الكائنات البحرية، ويعتقد أن المحيطات ستساعد على فتح آفاق جديدة أمامهم، وسيكون المركز واحدًا من بين ثلاثة مراكز في أوروبا لاستكشاف المصادر الطبيعية في البحار والمحيطات لأغراض علمية، مثل إيجاد أدوية مضادة للالتهابات والأمراض الطفيلية وعلاج أمراض مثل السرطان وغيرها.

حديد تحت الماء!

يعتبر العلماء أن شبكة واسعة من البراكين تحت سطح البحر تضخ مياها غنية بالحديد في المحيط الجنوبي وتلعب دورًا رئيسيًا في امتصاص كميات كبيرة من ثاني اكسيد الكربون، ما يحد من تغيرات المناخ.

وتوصلت مجموعة من العلماء الأستراليين والفرنسيين إلى أن البراكين مصدر رئيسي للحديد الذي تحتاجه نباتات ذات خلية واحدة تعرف باسم النباتات المعلقة (فيتوبلانكتون) لتنمو، وخلال هذه العملية تمتص ثاني اكسيد الكربون وهو المسبب الرئيسي لظاهرة الاحتباس الحراري.

وتمتص المحيطات نحو ربع ثاني أكسيد الكربون الناتج عن حرق الوقود الاحفوري وقطع الأشجار، ويعتبر المحيط الجنوبي الواقع بين أستراليا والقارة القطبية الجنوبية من أكبر المحيطات التي يتم فيها تخزين الكربون.

لسنا وحدنا في الكون!

بعد قضاء نصف قرن في التحقيق جزم عالم أميركي بأن الأجسام الطائرة المجهولة أو الأطباق الطائرة حقيقية وأن الحكومة الأميركية مدركة لذلك وتفرض نظامًا من السرية على الأمر منذ عام ١٩٤٧م.

وقال ستانون فريدمان. وهو فيزيائي وعالم متخصص في صناعة الصواريخ لشبكة «OAL»: بعض الأجسام الغريبة ليست سوى مركبات فضاء يجري التحكم فيها بذكاء، وقال: إن التستر الواسع على وجود تلك الأجسام الغريبة «أكبر قصص الألفية»، وأضاف: بعد ٥٣ عامًا من التحقيق.. أنا على قناعة بأننا نتعامل مع ووترغيت كونية.. هذا يعني أن عددًا قليلاً من الناس داخل حكومات كبيرة كانت تعرف ومنذ عام ١٩٤٧ على الأقل بأن الأجسام الطائرة الغريبة هي مركبات لمخلوقات فضائية، واستشهد بحادثة «روزويل» التي وقعت عام ١٩٤٧ حيث أقرت الحكومة الأميركية بتحطم طبق طائر، إلا أنها سرعان

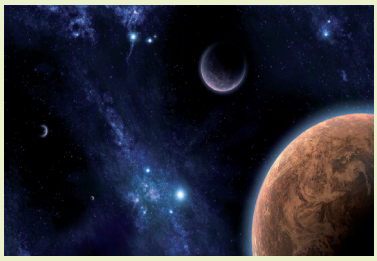

ما تراجعت عن تصريحاتها بالإشارة إلى أنه بالون لرصد الأحوال الجوية.

وانتقد صمت العلماء قائلاً: لماذا يرفض علماء بارزون فرضية أن الأرض ربما بقعة لقضاء العطلات لمسافرين من الفضاء الخارجي؟ واستطرد: أنا على قناعة بأن هناك عوالم أخرى في هذا الكون الفسيح، وبوجود جيران لنا في المجرة.

وكان سلاح الجو الأميركي قد أعلن عام ١٩٩٤، أن الحطام الذي استرده من الموقع عام ١٩٤٧، ليس سوى بالون (منطاد) لرصد الأحوال الجوية تحطم في مزرعة بمنطقة «روزويل» في نيو مكسيكو.

أصغر كوكب فضائي

اكتشف علماء الفضاء في المعهد التكنولوجي في كاليفورنيا ثاني أصغر كوكب فضائي يدور خارج المجموعة الشمسية. فحتى عام ١٩٩٠، لم يشاهد العلماء أيا من هذه الكواكب ولكنهم، ومنذ ذلك الحين والى الوقت الحاضر استطاعوا اكتشاف نحو ٤٠٠ كوكب منها.

ففي أحد المواضع في «هاواي» يوجد تلسكوب موجه نحو النجمة ١٥٦٦٦٨، والتي تنتمي إلى مجموعة هرقل، وتبعد عن الأرض نحو ٨٠ عامًا ضوئيًا، لقد اكتشف العلماء كوكبًا جديدًا اعتبره العلماء أصغر الكواكب القريبة من الأرض تقريبًا.

من هنا وهناك

- بدأت السلطات البحرية الروسية عملية إحياء الطراز المتميز الروسي المنشأ من السفن الطائرة، وهذه السفن تعمل بظاهرة فيزيائية تدعى «مبدأ التأثير الأرضي».
- أظهرت دراسة حديثة إمكانية أن يتوصل الإنسان في المستقبل إلى تخليق خلايا في الجسم البشري مضادة لفيروس مرض نقص المناعة.
- يعمل علماء أميركيون بالتعاون مع الاتحاد الوطني الأميركي للمكفوفين على تطوير سيارة للمكفوفين وسيعرضون نموذجًا أوليًا لها العام المقبل.
- أبدى كثير من علماء الأحياء قلقهم من جراء تعرض عشرات الأجناس من الطيور والأسماك للانقراض بسبب كارثة خليج المكسيك الناتجة عن التسرب النفطي في مياه البحر.
- رصد علماء الفلك الأوروبيون ثقبًا أسود على مسافة قياسية من الأرض ويقع هذا الثقب الذي يعتبره علماء المرصد الفلكي الأوروبي بمنزلة نجوم آفلة في مجرة (رن جي سي ٣٠٠) الحلزونية التي على بعد نحو ستة ملايين سنة ضوئية من الأرض حسبما أعلن المرصد.

تفكيك شيفرة جينات الجمل العربي

توصل خبراء سعوديون وصينيون إلى فك شيفرة الجينات الوراثية للجمل العربي الذي يحظى باهتمام كبير في منطقة الخليج، وفق ما أفاد رئيس مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية محمد بن إبراهيم السويل.

وقال السويل: إن فريقًا من الباحثين في المدينة ومعهد بكين للجينوم في الصين تمكنوا من فك الشيفرة الوراثية للجمل العربي (جينوم الجمل) في إنجاز علمي هو الأول من نوعه على مستوى العالم، وبذلك يدخل الجمل العربي «النادي الحصري» الذي يضم عددًا قليلاً من الحيوانات التي تم فك شيفراتها الوراثية.

وأوضح السويل أن الانجاز سيعود على الاقتصاد الوطني بفوائد كثيرة، حيث سيؤدي إلى تطوير وتحسين السلالات من خلال تعريف الجينات المتعلقة بالإنتاجية وبناء النسيج اللحمي في الجمال، كما سينجم عنه تطوير طرق الفحص والكشف على الأمراض التي تصيب الجمال ودراسة جهازها المناعي المتميز.

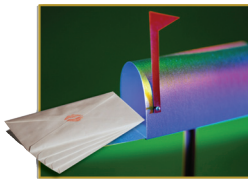

المسجد هو العلاج

ظاهرة الانحرافات الدينية التي ظهرت في بعض المجتمعات المعاصرة تلقي عبئًا على المجتمع في محاولة علاجها، وفي اعتقادنا أن علاج هذه الانحرافات لا يكون إلا ببث الوعي الديني السليم في نفوس الشباب وتعميق جذور الإيمان الحق في قلوبهم.

إن المسجد له دور خطير في التربية الدينية للشباب، ذلك لأن المساجد هي مراكز الإشعاع الديني في المجتمع وهي الرباط المقدس الذي يصل الأرض بالسماء، ولقد كان المسجد في عهد الرسول ﷺ والخلفاء من بعده مدرسة جامعة فيه يتعلم المسلمون أمور دينهم ويناقشون أمور دنياهم، وكان أول عمل قام به الرسول ﷺ غداة هجرته إلى المدينة أن شرع في بناء المسجد وكانت تعقد فيه الاجتماعات الدينية والسياسية وتناقش فيه الخطط الحربية وشؤون المجتمع على اختلافها ولقد كان المسجد في عصور الإسلام المختلفة منارة للعلم ومركز إشعاع للثقافة الدينية على اختلاف فروعها، فعسى أن يستعيد المسجد في عصرنا الحالي مكانته المرموقة التي كانت له من قبل.

محمد السعيد

إلى المُغَفَّلِين !

طالما تعجبتُ كثيرا، وأبحرت في لُجَج الحيرة، وسافرت في فيافي الشك، وقطعت القفار الفكرية ، باحثًا عن جواب يرسو بسفينة أفكاري على شواطئ اليقين والحقيقة.

وكثيرًا ما تساءلتُ: أنحن الآن نحيا في القرن الحادي والعشرين، أم أننا نعيش في الجاهلية وضلالها وخرافاتها وأوهامها، على الرغم من أحدث وسائل العلم والحضارة التي توصلنا لها؟

وكم أشعرُ بالعجب عندما أنظر في شاشة فأرى مشعوذًا يُتمتم بطلاسمَ، أنا على يقين تامٍّ أنه لا يعرف معناها، ولا يستطيع أن يفك أسرارها، أو أن يسبر أغوارها، ويحلل عباراتها، ثم أحدِّق مندهشًا عندما أرى أن هذا المشعوذَ قد أصبح طبيبًا يداوي المرضى عن طريق ذبذبات الهاتف، ولم أكن أتوقع يومًا ما أن أشاهد طبيبًا يصف دواءً على الهاتف، فهذا الدواء اللاسلكيُّ ما سمعنا به من قبل، ولن نسمع به إلا عند الدجالين والمشعوذين.

على كل حال، ليت الأمرَ اقتصر على الطِّب، بل أصبح المشعوذ يدعي أنه يعلم السرَّ وأخفى، والجهر والنجوى، بل أصبح طبيبًا يعلم الأمراض الظاهرة والباطنة، ولكل داء عنده دواءٌ، وهو أيضًا محل نَفسي، يُرشد الحيارى والتائهين الذين أثقلهم الهم والأسى، وأقعدهم الحزن والشقاء، وهو فيلسوفٌ يعالج الأمور بحكمة لم يسمع بها أفلاطون ولا سقراط ولا لقمانُ الحكيم، وهو يتنبّأ بالغيب.

وهذا المشعوذُ ينجّم ، ويقرأ الكفّ، يسترق السمع فيتبعه شهابٌ ثاقبٌ، ولكنّ، ليس من السماء فحسبُ، بل من الفكر النيّر، والعقيدة الصحيحة، التي تكشف زيفه وكَذبه، وترد كيدَه في نحره.. لكنَّ الاستفهام يظل متحفّزًا:

لماذا نعرفُ أنه مشعوذ وكذاب أشِرٌ، وساحرٌ أفّاكٌ، وفي الوقت نفسه نرى كثيرًا من الناس يصدقون كَلامه.

لماذا نقرأ في كل يوم خبرًا عن فضيحة مشعوذ، أو عنَّ قبض على دجال، أو عن فتاة تعرضت للأذى على يد معتد أثيمٍ، أو امرأة تبعت هذا الدجالَ، حتى فرق بينها وبين زوجها وأولادها، أو عن رجل بدّد أمواله سدىً معتمدًا على المنجمين والدجالين.. نقرأ ذلك ونظن أن هذا آخر خبر سنقرأه من هذا النوع، لأن السعيدَ من اتّعظ بغيره، والمؤمنَ لا يُلدغ من جحر مرتين.. ثم لا يُطلّ علينا فجرٌ جديد إلا بخبر جديد عن دجال جديد وعن ضحية جديد!

لماذا نرى، على الرغم من التقدم العلمي والفكري، وعلى الرغم من المسافة الشاسعة التي

الابتلاء

الابتلاء سنة من السنن الإلهية في دنيا البشر، فقد قال الحق تبارك وتعالى في أول سورة العنكبوت: ﴿آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ (العنكبوت:١، ٢).

وثابت في السنة المطهرة أنه كلما اشتد البلاء كان ذلك دليلا على قوة الإيمان والحب الإلهي، فالرسول ﷺ يقول: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلبًا اشتد بلاؤه» (صححه الألباني) والآية الكريمة التي نحن بصددها تواكب الأحداث التي نعيشها وقد قال الله سبحانه: ﴿وبشر الصابرين﴾ وهذه هي الثمرة، فنجد الحق سبحانه يمسح تعب السنين وشقاء الحياة باللمسة الحانية فينسى صاحب البلاء التعب والمعاناة من أثر تلك المعية.

محمد أبوعيد

تفصل بيننا وبين الجاهلية الأولى، وعلى الرغم من الثقافة التي نتعلمها من القرآن والسنة، والتي فضحت المشعوذين، وأظهرت كيد السحرة الكائدين، وعلى الرغم من الثقافة العصرية التي تحوط بنا من كل جانب، من برامجَ علمية إلى صحف فكرية، ومجلات منهجية وإذاعات هادفة.. لماذا نرى علىً الرغم من ذلك كثيرًا من المغفلين الإمّعات الذين إذا قيل لهم:

هناك رجلٌ بتمتماته وطلاسمه يجعل العقيمَ ولودًا، ويجعل الشقي سعيدًا، والغني فقيرًا، والعَزَبَ متزوجاً، والطالبَ الكسولَ متفوقًا.

إن كل هذا يحتم علينا ألا نكتفي بلوم المشعوذين فحسب، بل يجب أن نكافحهم- بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى- لأنهم مفسدون في الأرض، ويَعيثون فيها فساداً وجهلا وضلالاً وفوضى.. وعلينا أن نُنَبّهَ البسطاءَ، ونيرَ عقولهم بنور العلم والمعرفة، وأن نضعَ سياجًا منيعًا، وحصنًا رفيعًا يحول بين المشعوذين وبين تحقيق مآربهم من خلال المغفلين، حصنٌ مبنيٌّ من الهدى والفهم، على أُسٍّ متين من الفكر الحرّ النيّر، واتباع الحق والرشاد.

مصطفى قاسم عباس

النعمة الكبرى والهدية العظمى

﴿فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ (الماعون: ٤-٥)

إن الصلاة تشفي كثيرًا من الأمراض النفسية، ففيها الأمل الكبير والدعاء المفيد.

وكان السلف الصالح يحرصون على قيام الليل وإحياء ساعاته بالصلاة والاستغفار، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.

وقد ورد في السنة «وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام» (الترغيب والترهيب).

وقوله ﷺ «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم...» (مجمع الزوائد)، ولقيام الليل لذة لا يحس بها إلا من جربها.

وقال ابن المنكدر: ما بقي من لذات الدنيا إلا ثلاث: قيام الليل ولقاء الإخوان في الله والصلاة في الجماعة.

ولقد ذكرت الصلاة مع اخواتها في القرآن الكريم مائة وثماني عشرة مرة.

والصلاة هي العمود الفقري للدين، والصلة بين العبد وربه.

والمؤمنون يحافظون على أداء صلواتهم في أوقاتها بإخلاص وتأن واتقان وخشوع.

يقول الله تعالى ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ (المعارج: ٣٤).

وصفوة القول: إن الصلاة نعمة كبري وهدية عظيمة أتى بها منقذ الإنسانية من السماء من عند رب العالمين.. وهنيئا لمن يؤديها بخشوع وتأن وتدبر واخلاص.

وتبا لكل من وجبت عليه ولم يركعها قط في حياته.

وويل لكل المصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ماسلككم في سقر. قالوا لم نك من المصلين﴾ (المدثر: ٤٢- ٤٣).

عبدالسلام سومع

لماذا جعل الله الصيام في شهر رمضان؟

لقد أمر الله تبارك وتعالى عباده بالصيام في شهر رمضان حيث جعل هذا الركن العظيم في شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ولم يجعله في شهر آخر، .. قد يتساءل المرء لماذا اختار الخالق جل شأنه شهر رمضان للصيام؟ إن القرآن الكريم لا يترك الإجابة عن السؤال الباحث عن حكمة هذا التوقيت للاجتهاد من دون الاستنتاج، فآياته البينات قد تحدثت عن «لحظة الميلاد» للأمة الإسلامية الخاتمة تلك التي تجسدت في لحظة الظهور للدين الذي ميز هذه الأمة وجعل من دينها الدين الخاتم لرسالات السماء.

والشريعة العالمية التي استكملت وأكملت للإنسان مكارم الأخلاق، ولقد كانت بداية هذه اللحظة هي نزول الروح الأمين على الصادق الأمين بأولى آيات القرآن الكريم لحظة مطلع الفجر في ليلة من الليالي الوتر في العشر الآواخر من شهر رمضان في غار حراء.

في هذه اللحظة التي أضاءت فيها الأرض بنداء السماء ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ بدأ نزول القرآن في ليلة القدر وهي لحظة «مطلع الفجر» الذي هو مولد النهار وفيها نزل الكتاب الذي ولدت منه الأمة عندما خرجت عقيدتها وشريعتها وحضارتها ووحدتها من بين دفتي الكتاب الكريم.

ولقد كان ذلك الميلاد في شهر رمضان فكان صومه من دون غيره من الشهور الاحتفال الإسلامي بميلاد هذه الأمة في مطلع الفجر من ليلة القدر في رمضان في السنة التي سبقت الهجرة النبوية بثلاثة عشر عامًا.

حسين سباهي

إعداد: التحرير

إلا الصوم

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كل عملِ ابن آدم له، إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابَّه أحدٌ أو قاتله فليقل: إني صائمٌ، إني صائمٌ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

(البخاري ومسلم).

خصوص الخصوص

الصوم عموم وخصوص، وخصوص الخصوص، فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة، وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية.

(المستطرف للأبشيهي ٢٨/١)

باب الريَّان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبدالله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة». فقال أبوبكر رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال ﷺ: «نعم ، وأرجو أن تكون منهم» (البخاري)

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم).

يا باغي الخير أقبل

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين ومردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار فلم يفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب، و ينادي منادٍ يا باغي الخير أقبل و يا باغي الشر أقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة»

(الترمذي)

دعاء «رمضان»

كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال في رمضان يقول: «اللهم أهله علينا باليمن والإيمان والسلامة والإسلام .. هلال خير ورشد.. ربي وربك الله» وفي بعض الروايات أنه ﷺ كان يقول: «الله أكبر.. اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام.. ربي وربك الله»

(الترمذي)

أقوات القلوب

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «القلب إذا أُكره عَمِيَ».
- قال ابن مسعود رضي الله عنه: «العلم أكثرُ من أن يُؤتى على آخره، فخذ من كل شيء أحسنَهُ».
- قال الحسن رحمه الله: «حادِثُوا هذه القلوب، فإنها سريعةُ الدُّثور، واقْدَعُوا هذه الأنفسَ، فإنها طُلَعَةٌ، وإنَّكم إلا تَزَعُوها تَنْزِعُ بكم إلى شَرٍّ غاية».
- وقال أَنْشَرْوانُ: «القلوب تحتاج إلى الحكمة، كاحتياج الأبدان إلى أقواتها من الغذاء».
- قال أحد الحكماء: «لا ينبغي للعاقل أن يُخلي نفسه من واحدة من أربع: عدَّة لمعاد، أو إصلاح لمعاش، أو فكرٍ يقفُ به على ما يُصلِحُهُ مما يفسده، أو لذَّةٍ في غير محرمٍ يستعينُ بها على الحالات الثلاث».

(الكامل في اللغة والأدب للمبرد)

من حِكَم السلف

● قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «سادات النّاس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء»

● وقال حكيم العرب أكثم بن صيفي: «ذللوا أخلاقكم للمطالب، وقوِّدوها إلى المحامد، وعلِّموها المكارم، ولا تقيموا على خُلُقٍ تذمونه من غيركم، وصِلوا من رغب إليكم، وتحلَّوا بالجود يُكسِبكم المحبَّة، ولا تقتعدوا البخل فتتعجلوا بالفقر».

(أخبار العرب ١/١٢).

قيل في الجود

● قيل لأحدِ الحُكماء: مَنْ أجود الناس؟

قال: مَنْ جادَ مِنْ قِلّة، وصانَ نفسه عن المذلّة.

● وقيل: أكملُ الخصالِ ثلاث: وقارٌ بلا مهابة، وسماح بلا طلب مكافأة، وحلمٌ بغير ذُلّ.

● وقيل: لقد انتهى الجود في الجاهلية إلى ثلاثة نفر: حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي، وهَرِم بن سِنان المُرّي، وكعب بن مامة الأيادي.

(أخبار العرب ١/١٣).

الوزير الصغير

مرَّ أحدُ الملوك بغلام وهو يسوق حمارًا، فحادثه فرأى منه عجبًا، فقال له الملك: عظني فإني أراك حكيمًا.

فقال: أيها الملك إذا استوت بك السلامة فجدد ذكر العطب، وإذا هنَّأتك العافية، فحدث نفسك بالبلاء، وإذا اطمأن بك الأمن فاستشعر الخوف، وإذا بلغت نهاية العمل فاذكر الموت، وإذا أحببت نفسك فلا تجعلن لها في الإساءة نصيبًا. فأعجب الملك بكلامه، وقال: لولا أنك حديث السن لاستوزرتك. فقال: لن يعدم الفضل من رزق العقل. قال: فهل تصلح لذلك؟ قال: إنما يكون المدح والذم بعد التجربة ولا يعرف الإنسان نفسه حتى يبلوها. فاستوزره فوجده ذا رأي صائب، وفهم ثاقب، ومشورة تقع موقع التوفيق.

(حياة الحيوان الكبرى ١/٢٤٩).

وصية في تحصيل العلوم

قد عُلم قصر العمر وكثرة العلم فيبتدئ بالقرآن وحفظه، وينظر في تفسيره... وإن صح له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة، وابتداء بأصول الحديث من حيث النقل كالصحاح و المسانيد والسنن ، ومن حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء، فلينظر في أصول ذلك ....، ولينظر في التواريخ ليعرف ما لا يستغني عنه...، ثم ليقبل على الفقه فلينظر في المذهب و الخلاف، ويتشاغل بأصول الفقه وبالفرائض، وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم..، فإن اتسع الزمان للتزيد من العلم، فليكن من الفقه فإنه الأنفع، مهما فسح له في المهل فأمكنه تصنيف في علم، فإنه يخلف بذلك خلفه خلفًا صالحًا، مع اجتهاده في التسبب إلى اتخاذ الولد، ثم يعلم أن الدنيا معبرة فيلتفت إلى فهم معاملة الله عز وجل، فإن مجموع ما حصله من العلم يدله عليه.

(صيد الخاطر لابن الجوزي)

الصيام جُنَّة

الصيام جُنَّة من النار ، وفضيلة من درجات الأبرار، إذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم، فإذا أمرحها في الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحًا، ولا كان صوم هذا صالحًا وصحيحًا.

(الوعظ المطلوب من قوت القلوب ص٨٦)

ثلاثة لن يرى الناس مثلهم

قال إبراهيم الحربي: «أدركتُ ثلاثة لن يرى الناس مثلهم أبدًا، رأيت أبا عبيد القاسم بن سلام، فما مَثَّلْتُهُ إلا بجبل نُفخ فيه روح، ورأيت بشر بن الحارث، فما شَبَّهْتُه إلا برجل عُجِنَ من قرنه إلى قدمه عقلاً، ورأيت أحمد بن حنبل، فرأيته كأن الله جَمعَ له علم الأولين و الآخرين من كل صنف، يقول ما شاء، ويُمسك ما شاء». (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران)

المحطة الأخيرة

اعتكاف أم اعتلاف!

هل نحن نأكل لنعيش أم نعيش لنأكل؟ علمونا في المدرسة الابتدائية اذا سألنا هل نحن نأكل لنعيش أم نعيش لنأكل؟ أن نجيب بأننا نأكل لنعيش ، ومرت السنوات وحفظنا هذه العبارة نحن نأكل لنعيش، وفي شهر رمضان بالذات كنت أسأل نفسي عن مصداقية هذه العبارة، هل نحن فعلاً نأكل لنعيش أم انقلبت فأصبحت (على الأقل في شهر رمضان وخاصة أيام الاعتكاف) نعيش لنأكل، هل أنت تأكل لتعيش أم تعيش لتأكل؟

لا يمر يوم واحد إلا ونجد عشاء بمناسبة المنزل الجديد، عشاء بمناسبة تخرج الملازم، دعوة لحضور زفاف وعشاء، عشاء على شرف... عشاء... إلخ.

فهل نحن فعلاً نعيش لنأكل أم نأكل لنعيش؟

وعلى مدى أكثر من عشر سنوات اعتدت ومجموعة من الأصدقاء الاعكتاف في المسجد الجامع في إحدى المدن في مصر، وكنا نجلس لتناول الإفطار بعد صلاة المغرب حتى تقام العشاء والبعض يشرب الشاي ويأكل المكسرات، وبعد صلاة التراويح نجلس ساعة نشرب الشاي ونأكل الفاكهة والمكسرات ثم بعد صلاة التهجد وقبل الفجر بساعة ونصف نجلس لتناول السحور حتى أذان الفجر.

أربع ساعات تقريبًا في تناول الطعام وساعة في قضاء الحاجة، يعني تقريبًا ربع اليوم يضيع في تناول الطعام، وكنت أقول لهم: هل نحن في اعتكاف أم في اعتلاف؟ هل جئنا لنعتكف ام جئنا لنعتلف؟

وبالطبع كان يزيد الوزن بعد الاعتكاف قرابة ٢ كيلو للفرد!

وكان من لوزام الاعتكاف أقراص الحموضة لمعالجة امتلاء المعدة وأقراص الفحم لامتصاص الغازات وأقراص المغص لتنوع المأكولات.

وكان يحلو لي أن أذكرهم بالأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي صاحب فهارس القرآن والسنة ووقت تناوله للطعام. إذ تذكر مجلة العربي أنه كان يديم الصوم وكان يشتري في أول كل شهر ثلاثين علبة من الخضار المحفوظ (علبة البازلاء ليوم كذا.. وعلبة الفاصوليا ليوم كذا... إلخ) وطعامه يبدأ بملعقتين من العسل الأبيض ثم علبة اليوم ثم الزبادي والفاكهة وفنجان القهوة، وبهذا ينتهي طعامه ولا يكلف إنسانًا من أهل بيته مشقة ما في طعامه أو شرابه (يعني حوالي ربع ساعة) وهذا ما يجب أن يفعله المعتكف.

ثم حضرت الى الكويت وحسبت أن الوضع سيتغير ، فإذا بالطعام- ولكرم أهل الكويت - أضعافًا مضاعفة من كل شكل ولون، ومائدة الإفطار والسحور عليها ما يكفي عشرة أمثال الجالسين .

وأقول للكرماء الطيبين ولسائر المسلمين إن ربع هذه الكمية من الطعام أو نصفها يكفي إن شاء الله، ولنا إخوة في دارفور في السودان وإخوة في بنجلاديش يعانون من الجوع، أليس من الخير ان نرسل لهم بنصف الكمية والنصف الآخر يكفي ويزيد إن شاء الله؟

يقول رسول الله [«طعام الواحد يكفي الاثنين» (البخاري)

والآن يا أخي المسلم: اسأل نفسك هل حضرت المسجد للاعتكاف أم...؟

وهل جئت المسجد لتعتكف أم...؟

وأرجو أن يكون الجواب إنما جئنا لنعتكف، والله الهادي الى سواء السبيل.

جادالله فرحات عبدالباري

نداء

إلى كل محبي وقراء المجلة

يرجى ممن توجد لديه النسخ الأصلية

من مجلة « الوعي الإسلامي » من الأعداد:

التواصل مع ادارة المجلة

صندوق البريد : ٢٣٦٦٧ الصفاة ١٣٠٩٧ ـ الكويت هاتف:٢٢٤٦٧١٣٢ - ٢٢٤٧٠١٥٦ فاكس: ٢٢٤٧٣٧٠٩

البريد الالكتروني:

info@alwaei.com

manager@alwaei.com

الوعي الإسلامي

شهر رمضان المبارك

أسرة التحرير
تهنئكم بحلول